

سیجموند فروید

اليهودية في ضوء التحليل النفسي

مُوسَى والنوح

ترجمة: دكتور عبد المنعم المحفني

مقدمة

ما من أحد من المثقفين إلا ويعرف سيجموند فرويد ، وما من مقال في النقد السينمائي أو الأدبي أو التشكيلي إلا ويحاول أن يستعين ببعض نظريات التحليل النفسي ؛ وبالاختصار فإن فرويد صار بديهية ثقافية ، أو صار أفكاراً عامة يعرفها ويقنها عامة المثقفين .

وأنا - كنزيري من بقية المثقفين - عشقت التحليل النفسي يوماً ، إلا أنني عثرت خلال رحلتي الطويلة فيه بأشياء صدمتني بشدة ، كما لو كانت نوراً باهراً غمر بصرى مرة واحدة ، ودعاني إلى التفكير في معنى هذه الظواهر المتعاقبة . من ذلك مثلاً أن الغالبية العظمى من المثقفين بالتحليل النفسي من اليهود ، وأن دور النشر التي تنشر لهم ، وتروج لأفكارهم يهودية وعملاً أوروبا وأمريكا على وجه الخصوص .

ومنها أن هؤلاء الحلالين والمثقفين يعلمون النفس اليهود ، وأن

غيرهم من الروائيين والكتاب والشعراء اليهود ، مجاهرون بالإلحاد
عندما تكون القضية قضية مناقشة الاعتقاد الديني عامة ، وهم
يهود غلاة متعصبون عندما تكون القضية مفهوم اليهودية على
مستواها الديني أو الأنثروبولوجي أو الاجتماعي أو الاقتصادي !!

وإن المرء ليتعش إزاء هذا التجمع اليهودي الضخم داخل
مدرسة التحليل النفسي ، وإننا لنقرأ قائمة طويلة بأسماء المشتركين في
جمعيات ومؤتمرات التحليل النفسي ، ولا نجد إلا عدداً قليلاً
لا تحصىه أصابع اليد الواحدة من العلماء المسيحيين . . فهناك أسماء :
فرويد ، وإبراهيم ، وأدler ، وستكل ، وفيرينزي ، وريكلي ،
وبولر ، وفوريل ، وأساجيول ، وكرايبلين ، وإيتنجنون ،
وجانيه ، ورايك ، وساخس . . ويكتب إرنست جوتز معلقاً
على هؤلاء جميعاً بأن إحساسهم يهوديتهم كان إحساساً نادياً ،
وكان إيتنجنون مثلاً أشد إحساساً بها ، لدرجة أنه آثر الهجرة
صراحة إلى فلسطين ^(١) ، ويمضى جوتز فيقول : إنه كان للسبحي
الوحيد في المجموعة كلها ، وإنه من طول مباشرته هؤلاء المحللين
اليهود حفظ عنهم قصصاً يهودية وأمثالاً ونكاتاً ، وصار منهم

ومعهم قلباً وقالباً ، وقد لس جوتز بنفسه إحساسهم للرهف
يهوديتهم ، وإحساس فرويد بها بنوع خاص .

وهذا الإحساس الحار يهودية فرويد كان يلون اتجاهاته
السياسية فتراه يكره الاشتراكية لأنها لا تفرق بين الناس بناء على
معتقداتهم الجنسية أو أصولهم السلالية ، ولا تفر الامتياز المنصري ،
وكان فرويد من غلاة اللؤميين بالتفوق المنصري ، حتى أنهم
عندما عابوا عليه الأخذ بنظريات إنكسسون وروبرنسون سميت
الاجتماعيين ، لتغلفها عن الركب العلمي وللمستعذات الاجتماعية ،
أعلن أنه يأخذ بها لأنها تناسب نظره للأمور ، حتى ولو كانت
متخلفة علمياً .

ويقول فرويد في كتابه هذا الذي أقدمه اليوم للقراء : « إن
ليهود فكرة عالية عن أنفسهم ، وهم يعتقدون أنهم أنبل من غيرهم
وعلى مستوى أعلى وأكثر قلماً من الآخرين . . . » .
فيقول : إن سبب هذا الاعتزاز أنهم يصدقون في الواقع ما يقولونه
عن أنفسهم من أنهم شعب الله المختار (ص ١٣٢)

ويصف جوتز ميل فرويد السياسية أنها ليبرالية ، وأنه كان
يصوت مع الحزب الليبرالي . كان فرويد ليبرالياً لأن الليبرالية هي

أنسب المعتقدات السياسية لاتجاهاته القومية ، لأنه لم يكن يجد في الاتجاهات السياسية في زمانه ما يمكن أن يوافق ميوله المنصرية اليهودية ، هذه الليول التي تتضح بشكل سافر عندما قرأ عن دائرة رفاقه وزواره وحواريه في لندن ، وبعد هربه من أوروبا النازية ، فقد كان هناك يهودا المؤرخ البريطاني اليهودي المشهور ، وستيفان زفايج الكاتب اليهودي ، ومالينوفسكي عالم الأنثروبولوجيا اليهودي . وحاييم وايزمان الزعيم الصهيوني وأول رئيس لإسرائيل . وكان فرويد يباهي يهوديته ، وهو يكتب إلى للعهد العلمي اليهودي في لندن يقول : « إني أعز يهودي بنصر » (ص ٩٥٠ جونز) .

وهذا الاعتراز اليهودي هو نفسه الذي جملة ينضم إلى جمعية بنائ بريث ، وهي من أكبر الجمعيات اليهودية انتشارا في العالم ، وأشدّها غلوا في الصهيونية ، وقد التحق فرويد بالجمعية سنة ١٨٩٥ ، وظل عضوا بها إلى آخر يوم في حياته . وكانت الجمعية معروفة بميولها الصهيونية ومبادئها الأممية ، وكانت تمارس نشاطاتها اليهودية الاجتماعية بطريقة علنية ونشاطاتها السياسية سرا .

وفي مارس سنة ١٩٣٨ قبض عليه النازي واستجوبوه لمضويته السابقة ، وكانوا قد أحرقوا كتبه كلها في برلين في مايو سنة ١٩٣٣ ،

وسارع إيتنجتون زميله في بنائ بريث وفي جماعة التحليل النفسى إلى فلسطين في ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٣ ليهدد للإقامة هناك ، وبعدما بشهرين سافر إلى هناك للأبد ، بعد أن حاول جهده أن يدعو فرويد لصحبته ، وأسس هناك جمعية للتحليل النفسى .

وإذا جاز لنا أن نستخدم نفس طرق التحليل النفسى على فرويد ، ونستعيد نظريته في للكبت ، وعودته بفعل الظروف المتعددة ، وما يمكن أن يدلنا عليه هذا الكبت من عوامل ومشاعر خبيثة تفصح من مضمون فرويد وأبحاثه المنصرية القوية ، فإن لنا أن نستشهد بهذه الحادثة التى جرت وقائعها عام ١٩٣٨ ؛ ففي ١٣ مارس من تلك السنة عقدت الجمعية اجتماعاً عاجلاً ، وقرر الأعضاء القرار أمام النازية ، وأعلنوا أن للقر الجديد سيكون حينها يكون فرويد ، وفوراً ارتفع صوت فرويد هادراً ودون تلغم ، وكأنما كان يتكلم من بطن التاريخ أو من اللاشعور أو المو ، على حد تعبير أصحاب للتحليل النفسى : « إنه بعد تحطيم المبدى في أورشليم على يد تيتوس ، طلب الخاخام يوحنا بن سكاى الإذن بفتح مدرسة في أبنيه لدراسة التوراة ، ونحن سنقبل نفس الشيء ؛ إننا جميعاً معتادون على الاضطهاد ، بحكم تاريخنا وتراثنا ، وبعضنا

بحكم تجاربنا الشخصية» (١) .. فترى هنا أن فرويد يعتبر التحليل
النفسي كالتوراة ترانًا يهوديًا ، فإن كانوا قد أغلقوا معبده في
فيناء ، مثلما فعلوا من قبل مع معبد اليهود في أورشلين ، فيفتتح
مدرسة لتعليمه في مكان آخر !!

وإذا كان قوله هذا قد صدر منه مثلما تصدر النكات والكلمات
التلقائية من صاحبها ، وتدل على مكنوناته النفسية في لحظات غير
واعية ، فإن كتابه « موسى والتوحيد » ، والذي رأيت أن
أترجمه « اليهودية في ضوء التحليل النفسي » ، لأنه أهدى عن
تناول موسى والبحث في التوحيد ، وأقرب إلى العناية اليهودية
والترويج لعقيدة اليهود وعبرية شعبهم وشيوخ معتقداتهم ... كل
ذلك باستخدام وسائل التحليل النفسي ومصطلحاته لتبريره وتعزيزه ،
بحيث نستطيع أن نعطى الكتاب عنوان : « التحليل النفسي في
خدمة القضية اليهودية » . . . هذا الكتاب هو عطاء فرويد الواعي
للقضية الصهيونية ، ولقد استخلم فيه منهجًا ونكتيكًا يعد أرقى
الناهج والتكتيكات للوصول إلى هذا الغرض ، عن طريق لوى
الحقائق التاريخية والسير بها إلى نتائج يهودية محضة . وحتى اسم
الكتاب نفسه كان اسمًا عالميًا ، فموسى ورسالة التوحيد مسألان

(١) جونز ص ٦٢٨

تهان للسيحى والمسلم ، ناهيك عن اليهودى ، لكن المحتوى كان دعابة محضة لليهودية . وهو يقول إن اسم موسى كان اسماً مصرياً ، لأن ابنة فرعون التى اقتلته من الماء لم تكن تعرف العبرية ، ويثبت ذلك بالدلائل اللغوية ، ولكن هل تعنى المصرية الاسم أن موسى لم يكن عبرياً ؟؟ . .

ويستطرد فرويد ذاكراً التشابه بين ديانة الأخناتون وبين الديانة اللوسوية ، ويستمد هذا التشابه فى ظواهر الخلقان ، وتحريم الخنازير والصور ، وأكل لحم الخنزير ، وأهم من ذلك كله فى التوحيد . ولكن هذا التشابه فى بعض الظواهر السلوكية لا يدعى أن الجوهر واحد . ولا يمكن أن يكون التوحيد الأخناتونى هو نفسه التوحيد اليهودى ، مثلاً لا يمكن أن يكون التوحيد العربى فى الجاهلية هو نفسه التوحيد الإسلامى ، ضرب الجاهلية كانوا يعبدون الله الأحد ، وأما الأصنام فهم زلقى إلى الله . ومع ذلك فشتان بين التوحيدين !! مع ذلك ، كما ذكرت ، لم يكن الفصل الأول من الكتاب — وهو الذى تناول أشتاتاً من البحوث حول موسى — هو بيت التصيد من الكتاب ، إنما الفصلان الثانى والثالث هما اللذان وفيهما يهاجم فرويد للسيحية هوماً عارماً ، ويمتد مقارنات بينها وبين الطقوس الوثنية فى الديانات العوطمية ، معدداً طقوس التناول

ومناهج الثلاث . . . وحاول فرويد أن يظن الإسلام ، ويقول أنه نسخة يهودية ، ولكنه قبلها يستدر عن جهله بهذا الموضوع ، رغم أنه يكتب فيه من بعد وكأنه يتحدث عن شيء يقيني ، ويظهر حقد المنصرى بشكل صافر غلغا يفتنى على اليهودية أسباب المظلة والشموخ والسوق ، ثم يسلب الإسلام هذه الصفات ، مع أنه — كما يقول — يملك نفس الصفات السابقة ١١

وفرويد في نهجه على الإسلام يردد ما سبق أن رده مستشرقون آخرون ، ولقد سبق أن تناولهم جميعاً الأستاذ العقاد وحلل نواياهم وأبان عن مقاصدهم ، وليس التشابه بين المذائبات اللزقة — إن كان هناك تشابه — إلا لأنها تصدر عن أصل واحد ، وهو الله . وتكتيك فرويد في إهانة المذائبات الأخرى وإعلاء شأنه ، وإضفاء الجدد والخلود والمظلة على دلائله ، وتبرير المذائبات للفايزة ، تكتيك — بكل وسائل التحليل النفسى ومناهجه — بدل على صراقة فكرية وطفولة دينية من باب — لمبق أحسن من لمبتك — التي يكثر ترددها الأطفال . ولم أجد في الكتاب ما يجوز أن نسميه بقواعد لم يقرن الأدبان ، أو شتاتاً من البحوث والنتائج التي يمكن استخلاصها بالنهج على منواله .

ومع ذلك تبقى أهمية ترجمة الكتاب ، لأنه يعد وسيلة رديئة

لتطبيق مناهج علم النفس ونية سيئة - كما يقول الوجوديون -
 لما يهدف إليه من قصد عنصري ، وسبب تاريخية ، لأنه إهانة
 للتاريخ وقواعده ، ثم هو كشف لعالم كثر الحديث عنه وفي مصر
 بالذات ، وبين المثقفين ، وفي أهباء الجامعات العربية ، ولقد سبق
 أن طلب المعهد العلمي اليهودي في لندن من فرويد علم نشر
 الكتاب ، لأنه سيفضح النوايا اليهودية الصهيونية ، ولكنه رفض
 معللاً ذلك بطل فكرية ، وكأنما هو يعز بكنز ثمين قد اختص به
 وحده ، ولقد رفض أن يترك الدنيا إلا والكتاب منشور ، وكأنما
 هو يرفض وداع الناس من مسيحيين ومسلمين ، إلا بعد أن يعلن
 رأيه فيهم بكتابه هذا الذي بصفه لائر ساخس بأنه « وداع
 بصق » (١) .

وكنت أحب أن استطرد في ذكر أسماء اليهود من العلماء
 الكبار الذين تطلق صحافتنا بالإشادة بهم ، والذين أرسلوا إليه
 مهالين للكتاب ، لأنه باقة ورد وقصيدة مدح وأغنية حلوة تتغنى
 باليهودية وتشيد بها وتلهج بذكرها ، ولأنه طلبة تسدد إلى قلوب
 أعدائها ، لليسعيين على الخصوص (وإن كان قد مس الإسلام
 مساً في خمسة سطور فقط) ، ولكني أكتفي بواحد فقط هو أينشتاين

(١) جوتز ص ٦٤١

عالم التسوية ، الذى طاف الولايات المتحدة ليجمع التبرعات لإسرائيل
سنة ١٩٤٨ ، والذى ظل يتحدث فى إذاعات أمريكا وتلفزيوناتها
مدة أربع سنوات ، داعيا إلى العنكة الصهيونية ، مؤثرا فى
سياستها الخارجية ، ضاغطا على رؤسائها ، كي تظل وتوقع إسرائيل ،
حتى رأى قومه أن يمرضوا عليه رئاسة دولتها بعد وفاة حليم
وايرمان . وليس مستغرب أن يوجب إينشتين بحجر الرمح فى
فلسفة فرويد ، وهى نظريته فى الكبت والتى أرسل إليه متحدثا
عنها فى خطابه (١) فى إبريل سنة ١٩٣٦ ، ثم ليس بمستغرب أن
يفصح فرويد ، مراراً وتكراراً ، عن لاشعوره اللبى وامتلأه
بالدين اليهودى — رغم تهجه على البيانات الأخرى ودعوته
الظاهرية إلى الإلحاد — فى تشبيهه لنفسه بيوسف وبموسى عليهما
السلام ، الأول لأنه اشتهر بتفسير الأحلام مقارناً بفرويد ، وأكبر
كثته هو كتاب تفسير الأحلام ، والثانى لأنه رسول اليهودية
مقارناً بفرويد رسول العلاج للنفس ، وكان فرويد يرى فى يونج
ما كان يراه موسى فى يشوع ، فوسى رأى الأرض الموعودة ،
ولكنه لم يرتدعها ، ويشوع هو الذى ارتادها ، ولذلك كان فرويد
بطبع أن يكون يونج هو يشوع العلاج للنفس .

• • •

(١) جونز ص ٦٢٨

والحديث عن فرويد يحرثا حتماً إلى قضايا كثيرة مشابهة ، منها قضية أرثر ميلر ، وتوماس مان ، وفراز كافكا ، وألبرت مورافيا ، وجيمس جويس .



كان الناس ينظرون إلى ميلر ككاتب يساري : شأنه شأن برنيت ، ولم يعرف أحد أنه يهودي إلا عندما تزوج مارلين مونرو للثقة المعروفة ، وعندئذ سلطت عليه الأصواء ، وعندما أعيد زواجهما في المبد اليهودي عرف العالم أن ميلر يهودي ، وعندما استجوبه أمام لجنة الكونغرس في ٢٦ يونيو سنة ١٩٥٦ أقر أنه لم يدرج اسمه قط ضمن أعضاء الحزب الشيوعي الأمريكي ، وأنه رفض محاولات الحزب استدراجه إلى صفوفه . . وعندها قطع أدرك خصومه وأصدقائه التاكثك الذي اتبعه لبال الشهرة والحظوة . كان بين اليهود يهوداً ، وبين غير اليهود يسارياً . وكانت اليهودية إنحيازاً ، بينما كانت آراؤه للعلنة يسارية أو ليبرالية على أقل تقدير ، وعندما وثق زواجه أمام الحاخام عرف انحيازه وبات يهوديته وظهر تدبته .. ويصف دينيس ويلاند^(١) وضع ميلر فيقول : « إن ماثيو أرنولد لو قدر له أن يفسر تعليمية كتابات

Miller, page 11 (١)

ميلر ، لوصفها بأنها دليل على العبرانية أكثر منها سمة من سمات
الهيلينية » ، ولذلك فقد كرمته الجامعة العبرية في أورشلين .
سنة ١٩٥٩ ومنحته وسامها .

ويجس النقاد على أن مسرحيته « مشهد من الجسر » تحليل
نفسى لحياته الخاصة ، وهو يريد أن يوفق بين اعتناقه الليبرالية وبين
حياته في مجتمع رأسمالى أمريكى ، وبين يهوديته وبين المجتمع
السيعى الأمريكى ، وبين صهيونيته وبين ولائه لأمريكا ، ولذلك
يقول إنه يدعو إلى أن يعيش العالم فى « Polis » ، وهى المدينة
بالمعنى اليونانى القديم ، الذى كانت تعيش فيه كل مدينة مستقلة
داخل المجتمع ، ومع ذلك فهى وحدة داخل الكل ، والمدينة تنظم
قبل قدم يعرف فيه الأعضاء - بعضهم البعض شخصياً ، لأنهم
محدودون عددياً ، ويدرك فيها الأعضاء أنهم لن يتجهوا شخصياً
إلا بتبجح المدينة ككل . وفى سنة ١٩٥١ نشرت له قصة قصيرة
بمنوان « It takes a thief » ، وهى عن صديقين - أيللو
وبرنشتين - أمريكيين ، وفيها يبحث أيللو عن أجداده الإيطاليين
فى إيطاليا ، أو حتى عن قبورهم ، ولا يساعده برنشتين فى ذلك إلا
لأنهاره بالمشروع لأنه يبحث عن أصوله . وفى إيطاليا يدلان إلى
معالم ويقدم رجل مجبور ليجلس واصماً أمامه ثلاثة هدم ، وعندما

يهم مفادراً يصبح برنشتين اليهودى : « فينى . . . إنه يهودى » !
ويصف ميلر صوته فيقول : « وكانت هناك نغمة انتصار ،
ونغمة جديدة من الثقة ، وتمال فى وجهه وصوته ، كما لو كان هو
الآن ، ولأول مرة ، الذى يقوم بهذه المهمة السرية ، وأنه قد صار
فى موطنه .

واستدار فينى ناحية الرجل وسأل : لماذا ؟

وقال برنشتين : « الطريقة التى يلف بها اللغافة . إنها نفس
الطريقة التى يلف بها أى اللغافة ، وجدى ... لا أحد آخر يمكن
أن يكون رقيقاً وحائلاً على اللغائف . إنه يهودى يلف لغافته .

إن أبيلو ، المهاجر الإيطالى ، يثر على « مدينته » فى إيطاليا :
يحس فيها الاتهام ، وبرنشتين يحس بمدينته كذلك ، ويحس الاتهام
بنيره من اليهود ... إن إتهام يهودى ! ...

وميلر فى « مشهد من الجسر » يحس أنه قد حان حق الآن
يهوديته ، ولذلك فهو يكتب من الآن عن أبطال يهود معهموم
يهودى ، وهذا هو المفهوم الجديد عن الدراما الذى يحاول أن
يروج له فى مقاله بعنوان « حول المسرحيات الاجتماعية » ،
ليكتب عن خصوصيات يهودية دون أن يهاجم من قبل النقاد

ليهوديته ، بحجة أن اليهود واليهودية وحدات أو مدن تضمها
الوحدات الأكبر ، وأنه لا تناقض في خدمة السيدين : اليهود
والنصارى ، أو إسرائيل وأمريكا ، فاليهود وحدة داخل المجتمع
النصراني ، وإسرائيل وحدة أو مدينة داخل الدولة الأمريكية .



وقضية فرانز كافكا مثل آخر على التضامن اليهودي والعناية
اليهودية ، وما يمكن أن تسهله للعالم من طرر أدبية . إن اليهودية
العالمية هي كريستيان ديور الأدب العالي . وما يروج له النقاد اليهود
ودور النشر اليهودية وتحميه إيملاء على العالم ، يأخذ العالم ببعض
الرفض ، ولكنه رفض يسمح بدخول المخطط الأدبي ساحة الأدب
العالي المعترف به .

وفي قضية « فرانز كافكا » نجد الناقد اليهودي « ماكس
برود » يكتب عن كافكا حتى قبل أن تظهر لكافكا قصص في
الصنف اليومية ، ويختار كافكا كأحسن القصاصين ، حتى من
قل أن ينشر أحده أو يسمح به أحد ، تماما كما حدث مع الشاعر
الإسرائيلي مجنون ، الذي لم يسمح به أحد حتى في إسرائيل نفسها ،
ومع ذلك منحه لجنة بوبل جائزتها .

ويموت كافكا ، ونشر له قصص غير كاملة ، يختلف الناشرون أيما
اختلاف حول ترتيب أبوابها ، ومع ذلك تظل دور النشر اليهودية تروج

لها، حتى يقع اللقنون في أحابيلهم ويحتنون بها كأعماط أدبية عالمية .
ومن أغرب القضايا الأدبية التي روجت لها الصحافة اليهودية
التضخيمات التي دارت حول كتب كافكا . وكافكا يهودي
متعصب ليهوديته ، ومتدين لأقصى حدود التدين ، وغزل بقية حياته
بلرس اللغة العبرية ويؤم محاضرات حول التالود (كتاب اليهود
الثاني بعد التوراة) في المدرسة اليهودية العليا في براغ^(١) ، ولم يكن
يزامل أو يكتب أو يباشر إلا اليهود . وكانت كتاباته التأملية
ثانوية . وقصصه الناعمة قصيرة وضعيفة التركيب وهشة البناء ، ومع
ذلك نال شهرة واسعة بسبب اللغاية ، وبسبب أساطير اليهود
وموضوعاته اليهودية من التوراة . هكذا كانت قصته « وصف
صراع » حول مفهوم الحكمة والاستقرار ، وقصته « الحكم » عن
قدان الإيمان بالدين ، وقصته « تحوّل » حلم مزعج عن الإنسانية
شيبة بقصة أبواب الهي . وقصة القلمة . . . والحكمة . . . كلها
قصص من التوراة ، وعن الدين والفاهيم الدينية اليهودية ، ولا تفسير
آخر لها سوى ذلك ، ومع ذلك فقد أرغى وأزبد النقاد حول معانيها
إلا هذا المعنى الديني اليهودي .

وعلى أساس الاشتباة اليهودية التي لا سارى هو « توماس

مان « ، والحديث في جلدرة مان واستحقاقه لجائزة نوبل لا ينتهي ، وقصة عزفه على وترين ، الألساني والأمريكي قصة مبتذلة ، وحكاية تأييده الأحراب اليمينية ثم تخليه عنها ، ومهاجته لأوروبا ثم ارتداده إليها ، ومقالاته عن الصهيونية وإسرائيل والتضامن اليهودي أمور يعرفها القاصي والفرجاني ، والأهم من ذلك كله ملكته الأدبية التي لم يستطع ناقد واحد أن يؤيدها تأييداً غير مشكوك فيه ، قصصه مبتذلة ركيكة مهلهلة ، ومع ذلك ، ولأنه يهودي وانتهاري نشيط ، استطاع أن يفرض سطره الأدبي على دنيا الأدب ، وبفضل جمالية المصنف والإذاعات اليهودية (١) .

ولعل صنو «مان» في ذلك الكاتب المتفلسف هربرت ماركس Herbert Marcuse الذي أقام لنفسه مركزاً وسطاً بين كل الفلسفات بنقدها جميعاً ، يأخذ منها جميعاً ، ويكسب المال والشهرة ، ويدعو لنفسه ولإسرائيل ، ويحاول أن يخالط بموقف وسط بين العرب وإسرائيل ، ولكنه الوسط الذي يعطى لإسرائيل ويضع العرب ضمن النفوذ الإسرائيلي .



وقضية مورافيا وكتسه ، كأنماط أدبية مشهورة ، شهرتها أكبر من قيمتها ، والسبب أن الكاتب يهودي ، وبحكم التضامن

Thomas Mann : Andrew White page 83. (١)

اليهودى ، لابد أن يمال الشهرة ويفرض فرضاً ، رغم أنه يكتب ميلا
 دراما ، ولا يحسن نسيج قماش قصصه . ولا حبكة أطرافها .. وهو
 يعمى ينال في يمينته ، ولا يسترف بالمال إلا في بعض قصص كتبها
 عندما أراد ركوب متن للد اليسارى في إيطاليا ، وكتبه تبين عن
 ضالة ثقافته ومحدوديتها والتزامه للسبق وميله إلى الموصوعات
 الصحفية وضحالة شخصياته . وعندما تسأل : كيف إذن نال
 الشهرة ؟ لا نجد إلا حواكاً واحداً هو : جواز المرور : يهوديته .

تلك اليهودية التى من أجلها أيضاً نالت قصة جيمس جويس
 « بوليسيس » شهرتها وعندها بسبب شخصية نطلها « بلوم »
 اليهودى الجرى المهاجر إلى إيرلندا ، وللتفصل عن قومه ، والمنزل
 من أسرته . وفيه يضع « جويس » كل أزمة العصر كما يقولون .
 وابن جيمس ذررائيل يقول إن الناس تنشأ فى الدن وليس ينشأ
 إلا السعى وراء الكسب . أنهم لا يتعاونون ، ولكنهم يعيشون
 جزراً معزولة عن بعضها البعض ، لا يهتمها إلا المال ..

وبلوم يعيش معزولاً عرلة مضاعفة ، بل عرلة مضاعفة ثلاث
 مرات : مرة بال ميلاد بعيداً عن إسرائيل الوطن الأم ، حيث اليهود
 قومه .. ومرة فى عرلة عن أسرته وبيته ، حيث هجرته زوجته
 وأحببت غيره ، وهربت ابنته ، ومات ابنه ، وانتصر أبوه .. ومرة

وهو يعيش حياته اليومية يُركل وتُساء معاملته ، لأنه يهودى ،
 وتُفرض عليه الوحدة . ومع ذلك فبلوم يمتلك فضائل أخلاقية تباعد
 بينه مرة أخرى وبين الناس ، فهو عطوف وحليم وشجاع وعادل
 ومنسامح ، وهو دائماً يلتقى بحبال المودة إلى الناس ، إلى الجزر
 الأخرى ، ليصل ما بينه وبينهم . ولكنهم يقطعون حباله فيصرخ :
 « لا فائدة . القوة والكراهية هما المتأرجح .. هذه ليست حياة تصلح
 للرجال والنساء . حياة ملوثة بالإهانة والكراهية . وكل واحد
 يعرف أن الحياة الحقيقية ، هي العكس » .. وهو ينافع عن نفسه
 فيقول : « إن المسيح الذى نحبونه يهودى .. » وهو يقف هو
 نفسه كالسيح معلوباً بصرخ : « ايل ! .. ايل ! .. » ثم يرد على
 نفسه : « أبى ، أدوناي ! وجويس .. يريد أن يقول إن المسيح
 القرن العشرين هو اليهودى : هو بلوم ! !

من أجل ذلك عمد جويس ضمن اليهود وروجت له اليهودية ولاقت
 كقبلة التأييد . وليس الإعجاب بميوليسيس من قبل متفعلينا إلا من
 قبيل مايسونه فى الإنجليزية «سوييزم» .. أو التقليد من جهل ! !
 وبعد .. فقد كانت هذه مجالة أردت بها الخير ... وكلمة
 أردت بها وجه الحق ... والسلام ؟

الطيفى
 ١٩٧٢/٨/١٢

الجزء الأول

موسى "مصرى"

إنه لميل لا يمكن الاستخفاف به ، أن ننكر نسبة إنسان إلى شعب يش عليه ويمده أعظم أبنائه ، وخاصة إذا كان المتوفر على هذا الميل أحد أبناء هذا الشعب^(١) . وعلى كل فلن أدم لأى

(١) موسى هو الذى موسى عليه السلام ، تقول التوراة اليهودية أنه وجد فى نحو القرن الثالث عشر قبل ميلاد المسيح ، وتجمع كتب الدين اليهودية على أن اسم أبيه هو عمران واسم أمه يوشعيد ، وتقول الأسطورة أن ميلاده جاء فى وقت اضطهاد فرعون لأبناء اليهود بسبب النذير الذى حله الكهنة إليه من أن نهايته ستجىء على يد أحد هؤلاء الأبناء ، ومن ثم نضحه أمه فى سلة من يوس وتلقته فى النيل حيث تنجم إمنة فرعون التى تشفق عليه وتعتنه وتسميه موسى (المعنى) .

(٢) يشير فرويد مؤلف الكتاب إلى نفسه كيهودى ، والواقع أن فرويد له أن يتحدث عن موسى ويرى فيه ما يراه ، ولنا أيضاً أن نرى فى موسى عليه السلام وأما عاقلاً ، فكلاهما له دينه ومطقه ، ورأى فرويد هنا جملنا لأنه رأى للتعبين =

اعتبار أن يؤثر على- فانتسى الحقيقة جانباً ، إثباتاً لصلحة قومية

= اليهود في اليهودية وأصولها الفكرية ، وسوف نرى أن موسى لا يهم فرويد بوصفه نبياً بقدر ما يهمه كداعية قومية ، فهو يرى في موسى مثلاً يرى الإيطاليون في ما ترينى مثلاً وغيره من دعاة القومية في البلاد المختلفة .

وفرويد هو الذي أمام التحليل النفسي ، وجاء ميلاده من أبوين يهوديين يكتسبان فريبرج بـ ٦ مايو سنة ١٨٩٥ م وعاش من سن أربع سنوات إلى سن ٨٢ في لبا ، وكان شديد الاهتمام بالفلسفة والتاريخ وهو طالب ، وأحب دارون وترجم إلى الألمانية أحد أجزاء العهد القديم الذي حوى كتابات المفكر الاقتصادي الاجتماعي الأنجليكاني الأشهر « جيمس ستيفنسون ميل » . وأجيب بالكسبية ولكنه لم يبرز فيها تحول عنها إلى الفسيولوجيا والتفكير ، ولم يثره الخائب الملاحي قلب وفضل عليه جانب النفس النظرى ، واشتغل لمدة من الزمن في « ميل الدكتور » « فون بروك » ثم التحق بالمصحات النفسية وتلمذ على « هينز » أستاذ لتفكير الملح ، وقرر الزواج ولم تسعه ظروفه المالية على ذلك فترك البحث العلمي ودرس طب الأعصاب ، وقرأ أن أحد الفرنسيين ويدعى « هنري شاركوف » (يهودى أيضاً) يقوم بحوث رائدة على مرض الهستيريا ، فالتحق إلى باريس ، ولكنه لم يتأثر بشاركوف بقدر ما تأثر بمجوزيف بروير Breuer الطبيب النمساوى الذي قص عليه تجربة مثيرة له في علاج أمراض الهستيريا بالتنويم المغناطيسى حيث يتذكر المريض أسباب مرضه أثناء تنويمه ، ونشر فرويد وبروير بحثهما معاً سنة ١٨٩٥ وأطلقا على الكتاب « دراسات في الهستيريا Studien über Hysterie » وكان هذا الكتاب هو نقطة البداية لا أسس لها بعد علم التحليل النفسي .

وطور فرويد العلاج بالتنويم لكنه علماً بتعطل صحو المريض التام ووعيه الكامل مستخدماً « منهج التذلل الحر » وساعده ذلك على عزل ودراسة ظاهرة المقاومة التي يقاوم بها المريض فشح تجاوبه المكثورة ، وطاهرة تحول عواطف المريض إلى التعليل منه ، وظل هذان المنصرمان منذ ذلك الوقت فكرتين مركزيتين تدور حولهما مناهج العلاج بالتحليل النفسي ، وبعد التحول من العلاج =

مدعاة . وبالإضافة إلى ذلك فإن توضيح الحقائق المجردة للشكثة قد يسبق بصورتها داخل الموقف الذى تتعلق به هذه الحقائق .

وينتفى الإنسان موسى ، محور الشعب اليهودى ، والذى أعطاه دينه وشرائعه ، إلى عصر موغل في البعد ، مما يجعلنا نقاد أول

« بالنسبة إلى العلاج بالتداعي الحر تاريخاً حقيقياً لتحليل النفس وبدأ فرويد منذ سنة ١٨٩٧ يجرى تجاربه على نفسه ويدرس عملياته العقلية اللاشعورية . وهذا النهج الذى طبقه لا يمكن أن يمارسه أى إنسان ، بل هو منهج فاضل في الواقع على فئة قليلة جداً ، ويسمى منهج التحليل الجذائ ، وهو النهج الذى تطور فيما بعد ، وصار يفضى بأن يخضع كل عقل نفسى لتحليل من قبل عقل نفسى محرب . وترابط في أعمال فرويد المحاولات الكليكية والتجربة والتنبه ، وأدى ذلك إلى تقدم جذرى في فهم السمات والمصار والانعزال والفعل الطبيعي كذلك . وتتلخص كتوب فرويد في هذه النقاط (١) الأثر الهيكلي للعمليات اللاشعورية على الشعور والحركة . (٢) الدور المركزى للصراع العقلى في علم الأرواح ، وكذلك في التطور الطبيعي — وكان التسقى في الوسائل الميكانيكية المثقلة ذاتي بلجاً إليها الفرد والتي ينبعث عن طريقها الجول التعريفية من الشعور والحركة (كما في السمكت) ، أو التي يبدل بها هذه الجول (كما في النساء) ، سرّاً من هذا الدور . (٣) جوابات ساء الشخصية . (٤) القوة العقلية صلب الدوافع التعريفية (الجنس والموتوان) . (٥) وأسس هذه النقاط وحوود وأهمية المنسبة العقلية .

وأول كتاب كلاسيكي أسهم في علم نفس الشخصيات الدولية هو كتابه في « تفسير الأحلام » سنة ١٩٠٠ ، وهو يعتبر أعظم كتبه فطنة ، والجدير بالذكر أنه ترجم إلى العربية وتوفر على ترجمه دكتور فاضل هو الدكتور صفوان (دار المعارف) . وجاء فرويد بدراسات في عنى الميلاد وفي الأدب والديانات ، ويترجم هذا الكتاب لطفى فاضل ها آخر كتبه في تطبيق منهج التحليل على

ما ناسأل : هل هذه الشخصية شخصية تاريخية أم أنها شخصية أسطورية ؟ وإذا كان موسى قد عاش ، فقد كان الزمن الذي احتواه هو القرن الثالث عشر أو الرابع عشر قبل الميلاد . وليس لدينا ما يتحدث عن موسى إلا ما ورد عنه في التوراة وتراث اليهود المكتوب . ورغم أن القرار الذي يحسم هذه المسألة سينتفضه اليقين التاريخي النهائي ، إلا أن الغالبية العظمى من المؤرخين قد أعلنوا

== النسي . ونقسم أعمال فرويد بالمرأة القريفة ، فهو قد طرد مبادئ لم يستلها أحد من قبله ، وظلت ذاكرته وقدرته الإبداعية كما هي ، حتى رمى السرطان الميت الذي أخذه وهو في السابعة والسبعين مما اضطره إلى استئصال زوره . ونلاحظ أنه كتب « موسى والتوحيد » وحرره « ناثان ستر » واستخدم في هذا الكتاب أسواقته الكاملة في منهج التحليل النفسي وناقشته [الفريرة بالأساطير لدى الشعوب ومعرفته المبكرة بالتاريخ القديم .

ولقد ووجهت كشوف فرويد وحاسة في أخصبة لدى الأطفال منذ أول لحظة . سنة الشجيرة وسوء الفهم والشريرة وسوء الاستعداد ، ولم تدعش تلك الحسنة فرويد لأنه عرّف من العلاج بالتحليل النفسي مبدأ المقاومة . وكان الاعتراف بالتحليل النفسي طبعاً ، ورغم أن فرويد كان يحمل لقب أستاذ ، إلا أن حاسة فيما لم تمنحه أبداً هذا اللقب ، ولم تتغير أفكاره إلا في السنوات الأخيرة من حياته ، وبجأثير انتقالها إلى الولايات المتحدة ، وفي سنة ١٩٣٠ منح جائزة حوته ، وانتخب سنة ١٩٣٦ عضواً بالجمعية الملكية .

واشتغل فرويد لمدة عشر سنوات وحده في ميدان التحليل النفسي ، وفي نحو سنة ١٩٠٦ انضم إليه عدد من زملائه الذين ارادوا الاحتجاج سنة ١٩٠٨ في أول مؤتمر لتحليل النفسي ، وبهذا صلبين تأسست الجمعية الدولية ==

رأىهم بما يفيد أن موسى قد عاش فعلاً ، وأن الخروج من مصر
الذى قاده قد وقع فعلاً . ونظراً للاعتقاد السائد عن حق ، أن التاريخ
الأخير لشعب إسرائيل لا يمكن فهمه إلا إذا لم نصدق على أن موسى
والخروج (من مصر) واقعان تاريخيتان .

والعلم اليوم صار أكثر حذراً ، ولكنه يعامل التراث بقسامح
أكثر مما كان في الأيام للسكرة للمعثة العلمي .

== التحليل النفسي . وتزوج فرويد من اليهودية ملونا بيرنايز سنة ١٨٨٦ وأحب
سنة أطفال كان أصغرهم الطبيب الشهيرة « آنا فرويد » التي عرمت بحوثها
الطبقة في علم نفس الأطفال . وفي سنة ١٩٢٨ بعد أيام النازية في ألمانيا وصفا
النساء هرب فرويد إلى لندن حوطة من الاضطهاد ، ومات هناك في ٢٣ سبتمبر
سنة ١٩٣٩ بالسرطان . ولعل أعظم الكتب التي تناولت فرويد هو كتاب أرنت
جونز "The Life and Work of Sigmund Freud" (في ثلاث مجلدات
سنة ١٩٥٢ — سنة ١٩٥٥) .

ولكن ، هو التحليل النفسي الذي يردد هنا كثيراً في هذا الكتاب ، والذي
يبدو حول كسوفه ؟

لنا إن الطبيب النمساوي جوزيف بروير (١٨٥٢ — ١٩٢٥) اكتشف طريقة
البحث عن أسباب المستعصية خلال توم المريض بمضطربا ، وكان ذلك قبل
أن يشر « شالوكو » « دبير هابيه » القرمصيان نموتهما في أصول
الأمراس المستعصية . واستعاد فرويد من كل تلك البحوث وفكر منهج لتوم
بمسح التداوي المر وأطلق على العلم الجديد اسم « التحليل النفسي » ، وسار للاسم
الجديد على مر القرون مميزات (١) أنه منهج خاص لعلاج الاضطرابات النفسية
(٢) أنه علم العمليات العقلية اللاشعورية ، أو هو « علم نفس الأعماق » ، ==

وأول ما بليت الطار في شخص موسى هو اسمه . وهو يكتب في العبرية موشيه «Mosche» . ولنا أن نشال من أين أتى الاسم ؟ وماذا يعنى : وكما هو معروف أن قصة الاسم كما ترد في الفصل الثاني من سفر الخروج تخيب على السؤال . ونعلم من القصة أن الأميرة لبحرية التي أنقذت الطفل من ماء النيل أعطته اسمه : « فلاقى النقعته من الماء » يصير اسمه « موشيه » بمعنى لقيط الماء . وهذا هو التفسير اللغوى (للاسم) . لكن الواضح أن هذا التفسير غير مناسب . ويقول أحد الكتاب في مجلة " Judisches Lexikon " founded by Herlitz and Kirschner (By 17, Berlin Jüdischer Verlag, 1931)

« وثبت نجاح التحليل النفسى في سن الأعراس الثانية ، من الفسـتـيـمـيـا والفاوـف والمصار ، ويستزم تطبيق التبرج قوية عداية من الخداع ، والمبالغة بين النفس والفرس من أهمل العلامات الإنسانية ، وتوضف حاج العلاج على إحلال الأعمال العقلية المشورية محل اللاشعورية ، ولكن حدلال ذلك تدرس العبدية مقاومات داخلية هائلة تم في عقل الرئيس . ويرى التحليل النفسى الجياه العقلية من ثلاثة جوانب : الرئيسى والاقتصادى والطبى . ويستند التحليل النفسى من الجانب الرئيسى كل العمليات العقلية ، ويرجع أسبابها إلى الفرائز التي تتكون من مجموعتين طبقاً لتجه التحليل النفسى : الفرائز التي تسمى « فرائز الأنا » ، وتهدف إلى الحفاظ على الذات ، و « فرائز الموضوع » التي تسمى بالعالم الخارجى . ويصطبيل هذين النوعين من الفرائز نجد أنها يحفبان بدورهما فرائز أسمى ما : (١) غريزة الأيروس أو الحب . (٢) غريزة السانتوس أو التقدير التي تؤدى إلى تحصيل كل شئ . وفي التحليل النفسى تسمى قوة الأيروس باسم الفيدو (الطاقة الشهوية) . »

« أن تغير التوترة للامس » هو الذي التقط من الماء « تسيير
 شعبي لعوى ، ولكن صيغة اسم القاعل من الاسم (واسم موشيه
 لا يسمي على الأكثر إلا « الذي يلتقط ») لا تتفق مع هذا التفسير .
 ويمكن تأييد هذا الرأي بحجتين أخريين : الأولى بأنه من السخف
 أن ننسب إلى أميرة مصرية معرفة اللغة العبرية ، والثانية بأنه
 في الغالب أن الماء الذي انثقل منه الطفل لم يكن هو ماء النيل .

« من تحليل النفس من وجهة نظر الاقتصاديه ، أن الفرائر لها كيان
 محدود من الطاقة . وأن إظهار الطفل من وضعت مع استبدال الطاقة والتحليل
 ما أمكن من الجهد في التحريك . ويضرب هذه كمية شكل أو توترة كياناً
 يسمى « مبدأ اللذة » - « الأنا » . والأنا تفتت بقيادة التبع وحسن القدر . ومع
 الاستمرار في الجهد فإن الفرد حلاً عليه يتغير ويتبدل . بدأ اللذة جعل العالم
 الخارج وحده مكانه . ومن « مبدأ الواقع » ، حيث ينظم إظهار الطفل جعل
 الاستكشاف بالقدرة الخارج أن يتحول لتجارب ذاته . وأن يسمح أحياناً وللفترة
 عندما الأنا .

ومن ناحية الطبوغرافية ينص التحليل النفسي إلى الجهاز الطفل على أنه جهاز
 معقد وأحدث اضطراب الحسب يرى أن إظهار الطفل يتكون من « الموالاة » ،
 وهو يحزن لمواضع تمريره . والأنا - وهو التفتت السلطية من الموالاة يسببها
 التبدل بين الماء الخارج ، والأنا الأعلى الذي ينمو من الموالاة ويبصر على الأنا
 ويشكل التوترة والروايات من شأنها كست الفرائر والتميلات النسبة في الموالاة
 عمليات لاشعورية ، بينما الشعور هو وظيفة التفتت العليا من الأنا التي تخص
 بالذات لآلة الخارج .

وهنا نسمى أن توتره ملحوظتين : (١) أن هذه الأفكار العامة تماماً والافتراضات

ومن ناحية أخرى ، قد اقترح كثير من الناس من زمن طويل أن يكون اسم موسى اشتقاقاً من اللغة المصرية ، وبدلاً من أن أسرد كل أسماء اللوثنيين الذين أعربوا عن هذا الرأي ، سأقتبس مقالة من كتاب ظهر حديثاً للدورخ بريستيد :

(The Dawn of Conscience, New York, Charles Scribner's Sons)

History of Egypt) تاريخ مصر (1934, p. 35

ويعد من الكتب التي يرجع إليها . يقول « بريستيد » :

« السلسلة لا يقوم عليها التحليل النفسي ، ولكنها تلجأ مستعانة وبإذابة للمراحة . أما التحليل النفسي فينبغي على ملاحظة واضح الحياة العقلية ، ولهذا السبب أنه كان بياناً نظري لا يزال غير كامل وعرضة للتغيير المستمر . (٢) أنه لا حاجة إلى السبب أن يتحول التحليل النفسي الذي كان أصلاً محاولة لتفسير الظواهر العقلية المرصدة إلى علم نفس الحياة العقلية السوية . ولعل ما يبرر ذلك اكتشاف أن الأحلام وسفطات اليأس التي يردد فيها الأسوياء من الناس تبع عن الوسائط المكتابتية التي تتحدا الأعراس الصغاية . وغرم الخائب النظرى التحليل النفسي على الإقرار بثلاث مسائل : (١) الاعتراف بالذات . (٢) والاعتراف بأهيب الفرائض الجلية . (٣) والاعتراف بالتحول .

وعاش نوره في الظل تخارص عمل الرقيب وتعتيد وتكثت كل الرغبات التي تصطبغها يحدث الأهم ، وعندما يحاول التحلل النفسى رفضها إلى السطح وتذكرها من جديد فإنه يثير مقاومة ، وهذه الرغبات لاتتجعب دائماً عملية كبتها . وتظهر في شكل عرق وتخرج إلى السطح عن طريق جامى وتشكل في هذه الحالة الأعراس الصغاية .

ونفذ هود ، كاشفاته جميع حـ . ، - ١٥٠ - أ. - ١٢ -
في كل عواصم أوروبا . وأمريكا ومصر ، ١٩٠٠ - ١٩٠٠ - ١٩٠٠ - ١٩٠٠ -
هذا الكتاب وثقة المؤرخين الدولى التحليل نفسى .

« من الهم الملاحظة أن اسمه موسى هو اسم مصري ، وهو ليس إلا الكلمة المصرية « موسى Mose » ، والتي تعني « طفلا » ، وهي اختصار للاسم للكون من شقين مثل « أمون موسى » ، أي « طفل أمون » ، أو « بتاح موسى » ، أي « طفل بتاح » ، وهذه الأشكال بدورها اختصارات للشكل الكامل الذي يعنى أن « أمون قد أعجب طفلا » ، أو أن « بتاح قد أعجب طفلا » . والاسم المختصر « موسى » أي طفل ، صار من وقت مبكر شكلا مريحا سهلا للاسم للموتى الكامل ، وليس اسم « موسى » بمعنى « طفل » ، اسما غير شائع في الآثار المصرية ، ولأنك أن والده موسى أطلق على ابنه اسما بجمعه ويضاف إليه ، وهو اسم أحد الآلهة المصرية مثل أمون أو بتاح . ولكن هذا الاسم الإلهي سقط تدريجيا مع الاستعمال ، حتى اقتصر اسم الولد على اسم « موسى » « Mose » . (أضيف الحرف الأخير S إلى الاسم فصار Mosen عند ترجمة الاسم إلى اليونانية في العهد القديم ، ولكن الحرف غير موجود في الترجمة المصرية حيث تكتبته Monheh (أي موسىه) وأنا أخذت هذه الفقرة حرفيا من كتاب برينيد ، ومستمد تماما للإسهام في تحمل مسئولية ما أوردته من تفاصيل ، ويدهشني مع ذلك أن « برينيد » وهو يورد أسماء لها صلة ببعضها البعض قد مرّ مرورا في قائمة أسماء الملوك المصريين على الأسماء التي تشابه في

مدلولاتها الدينية مثل «أح - موسى» (أحمس)، و «توت - موسى»
(تحتس)، و «رع - موسى» (رميس) .

وكان المتوقع أن يستنتج واحد من المؤلفين الكثيرين الذين
تبينوا أن اسم موسى هو اسم مصرى ، أن من يحمل اسما مصريا
كان مصريا هو نفسه ، أو أن يقول على الأقل باحتمال ذلك . ونحن
لا نحس في العصر الحديث أى ارتباط عندما نستخلص استنتاجا
كهذا ، مع أن الإنسان في هذه الأيام يحمل اسمين وليس اسما
واحدا ، ومع أن تغيير الاسم أو اكتسابه في ظروف جديدة شىء
لا يمكن استبعاده .

وهذه الإحالة من الاسم إلى المنصر تكون أكثر رجحانا
فيا يتعلق بالمعصور المبكرة والبدائية ، وهي فعلا فاطمة في ذلك .
ومع ذلك ، وفي أغلب ظنى ، فإنه لا يوجد مؤرخ واحد قد خلص
إلى هذه النتيجة فيما يتعلق بحالة موسى ، ولا حتى واحداً من هؤلاء ،
مثل بريستيد ، الذين لم الاستعداد على افتراض أن موسى « كان
عالمًا بكل حكمة للمصريين »^(١) .

ويمكن أن نخمن الأسباب التى منعهم من التوصل إلى هذا
الاستنتاج ، فربما كانت للكتاب المقدس عندهم رهبة عظيمة ،

ولربما استعملوا أن يشيخوا أن الإنسان موسى يمكن أن يكون شيئاً آخر سوى أمه عبراني . وعلى أى حال فإن ما حدث كان كالآتي : أن الإقرار بأن اسم موسى هو اسم مصري لم يكن عاملاً في الحكم على أصل الإنسان موسى ، وأن أحداً لم يستنتج شيئاً أكثر من ذلك من هذا الإقرار . فإن كان السؤال عن قومية هذا الإنسان العظيم شيئاً له أهمية ، فإن من الواجب أن نرحب بأية مادة جديدة يمكن أن تفيد في الإجابة عليه .

وهذا ما يحاوله بحثي الصغير ، وما يسهم به في تطبيق التحليل النفسي في هذا المجال ، ومن ثم فإن النتائج التي سأتوصل إليها هي نتائج نهم فقط أقلية من القراء الذين لم دراية بالنطق التحليلي ، ولديهم الاستعداد لتذوق نتائج هذا التحليل . وإني لأمل أن يكون لهذا البحث عندكم بعض المصير .

وبنأول موضوعه : أدولف أوتو رانك Otto Rank الذي وضعه سنة ١٩٠٩ ، وقت أن كان ما يزال تحت تأثير تشارلي ، والمعمون من (١) ، واقعة أن كل الشعوب المتحضرة الكبرى تقريباً قد سعت

Schriften zur angewandten seelenkunde. - ١٩٠٩. P. (١)

Deutlich Heft 5.

ليس ودم . بل من قصة . " سمعته " و هذا الكتاب من أفكار
تحت ذلك ودم . (دود)

في وقت مبكر أساطير تدور حول ، وتمتص بالشعر ، أبطالها وملوكها وأمرائها ومؤسسي دياناتها وأسرها المالكة وأمبراطورياتها ومدنها الأسطورية — وبالاختصار أبطالها القوميين ، وحصن تاريخ ميلادهم وسنواتهم للبكرة بيمات خيالية ، وإن التشابه الذي يثير الدهشة ، بل والتمائل الحرفي لهذه القصص ، حتى لو كانت قصصاً لشعوب مختلفة بنمذم الارتباط بينها كلية ، وأحياناً ما تكون متباعدة جداً عن بعضها البعض جغرافياً ، أمر معروف جداً ، وأدهش الكثير من الباحثين . وكما قال « رانك » ، وتبعاً لخطوط مسيج « جالتون » أستطيع أن أقول أن هناك أسطورة تجمع في نفسها أهم خصائص كل الأساطير ، فهي أسطورة تنمى وسط كل الأساطير ، أو « أسطورة متوسطة » مؤداها :

« أن البطل هو ابن والدين لها مكانة من أعلى المكانات ، وأنه كثيراً ما يكون ابن ملك »

« أن إنعابه اعترضه العوائق مثل الزهد أو الغم المؤقت ، أو أن والده كانا يجتمعان سراً بسبب وجود مواع ، أو سير ذلك من العوائق الخارجية . وحلال حل أمه فيه أو قبل ذلك يُحذر أحد للتنشئين الأب أو يتلقى الأب توبيخه من حلم مؤاه أب مهاد الطقل ستكون فيه خطورة على سلامة الأب » .

« ومن ثم فإن الأب (أو من يمثله) يأمر بقتل الطفل للولود
حديثاً أو بترعضه لخطر خارجي ، وفي أغلب الحالات يوضع الطفل
في سلة ويسلم أسرته للأمواج » .

« وحينئذ تنقد الحيوانات الطفل ، أو ينقذه الناس الفقراء ،
كالرعاة ، ويرضع الطفل من أثنى أحد الحيوانات أو تربضه امرأة
ذات شاة متواضعة » .

« وعندما يبلغ الطفل يكتشف اسم والديه اللذين يمتنان إلى
النبلاء ، وذلك بعد أن يخوض محاطر كثيرة وغريبة ، ويحقق الانتقام
من أبيه ، ثم يعترف به شمه فيحقق لنفسه الشهرة والمظلة » .

وتعد أسطورة سارجون الأجادي Ragon of Agade أبعد
شخصية تاريخية تنطبق عليها أوصاف هذه الأسطورة للتوسطة .
وترجع أسطورة مؤسس بابل إلى نحو سنة ٢٨٠٠ قبل الميلاد .
ومن وجهة النظر التي تهمننا هنا قد يعيد أن ننقل الرواية كما يسوقها
هو نفسه .

يقول سارجون :

« إني سارجون الملك القوي ، ملك أحماد . كانت أمي رقيتا ،
أبي لم أعرفه ، بينما كان شقيق والدي يسكن في الجبال . وفي المدينة
التي شأت فيها في أزويراني Azupirani — وقع على شواطئ »

القرات - حلت في ابي الرقيق . حلتى سرا . ووضعتى في سلة
من البردى ، واغلقت فوهة السلة بالقار ، وأدلتى إلى الماء . ولم يفرق
النهر ، ولكن حلتى أبى « أكي » السقاء الذى كان يسحب
الماء ، ورمانى كابته . وجلتى « أكي » ، صاحب الماء ، ستاتيه .
وعندما كنت ستانياً وقمت عشثار^(١) فى حى وصرت ملكاً ،
وحكمت . كلك مدة خمس وأربعين سنة .

وأشهر الأسماء المعروفة فى السلسلة التى بدأت بارجون الأجادى ،
هى أسماء موسى وقورش^(٢) ورومولوس^(٣) . ولكن راكك جعل

(١) عشثار Ashtar : إله سامية كان الفيلينيون يسمونها ، وكانت صيدا
مركزها . وتذكر التوراة أن الملك سليمان بنى لها هيكلان فى القدس ، وتدل الآثار
والنقوش الموجودة بكثرة فى فلسطين على أن ديانتها كانت منتشرة يومها لى
المحصب والكتار ، كما تدل صورها على أنها مصرية الأصل ، وذلك لأن الصور
تقدمها سائلة فى جذعها وهمة لوس ، وقد زينت رأسها صمغتان طويلتان . وعدت
عشتار فى قبرص وصقلية وسردينيا وقرطاجنة ، ونسكاد تكون الإلهة المصرية
إيزيس والإلهة هاتور ، ثم ظهرت فى اليونان وفى الرومان فى شكل أمرودين
وأرتيميس وديانا وجيو . وكان الفينيقيون يقدسون لها القبايح ، ولها آثار رائعة
فى دير القلعة بطنان . (الحلقى) .

(٢) قورش : هو قورش الأكبر مؤسس الإمبراطورية الفارسية (نحو سنة
٥٥٨ إلى ٥٢٨ ق.م) ، وكان قد حلق أستياج ملك ميديا وألحق الفريجة بكمروس
ملك ليديا ، واستولى على بابل ، وصار سيد كل آسيا الصغرى ، واستمرت
الإمبراطورية التى أسسها لمدة أربع مئتين سنة ، وقتل وهو يحارب وخلفه ابنه
سيركس الثانى . (الحلقى) .

(٣) رومولوس : المؤسس الأسطورى لروما ، والتقى لتستمد منه اسمها ، وأول
ملك بانيها عرشها . وتقول الأسطورة أنها حكمتها من سنة ٧٥٣ إلى سنة ٢١٥ ق.م .

إلى جوار هؤلاء، عدداً آخر من الأبطال جمع أسامعهم من عالم الأسطورة أو الشعر، وتنطبق عليهم القصة في كليتها أو في أهم أجزائها، مثل أوديب^(١). وكارثا وباريس^(٢) وتيليقيوس^(٣) ويروسيوس^(٤)

وكان يمشي القتال ويكره الأرسطوفاغلية، ولحق إحدى اللرات فلم يحمله تنقيبته على جنوده، وجبت عامسة هواه، وانثنى رومولوس وسطها، ولم يظهر بعد ذلك. (المضى).

(١) أوديب Oedipe: ولد لايوس ملك طيبة وجوكاستا، وكان التراف له حفر لايوس أن أمه سبقته، ومن ثم أمر بأن يترك أمه عند ولادته، على جبل سيترن. ولكن الرعاة يترون عليه، ويأخذونه إلى ملاط ملك كورته الذي يريه، وعندما يذكر يذهب ليستلم من مستقبه من التراف الذي يقول له أنه سيقتل أباه، وحيث أنه يعرف أن أباه هو ملك كورته، فهو يهرب، ويحترق طريقه على لايوس. أية الملقى.. ويتاركان لأمره، ويقطعه، ويتولى كرون أمر طيبة بعد مقتل لايوس، ولكن أبا الفول يحاصر طيبة ويقتل كل من يسير إليها أو يخرج منها. وبعد كرون أي إنسان يتخذ طيبة من شر أبي الفول أن يتولى عرشها ويترجح ملكتها جوكاستا. ويقتل أوديب أبا الفول ويتولى عرش طيبة ويترجح من أمه جوكاستا. وعندما يحل الحقيقة من بعد يخطأ عليه بئسه ويترك طيبة، تقوده إبنته أنتيجون (المضى).

(٢) باريس Paris أو الكنتفر: هو الابن الثاني لبريغام وحيكوبا، وهو الذي اسطف هيلين الشهيرة وتسبب في حرب طروادة، وتقول الأسطورة أنه اختير ليقول من الأهل من الإلهات الثلاثة حيرا أو أثينا أو أفروديت، فاختار أفروديت، وبذلك استجلب حله حيرا وأثينا على مدينة طروادة. (المضى).

(٣) تيليقيوس Telephos: أحد ملوك الإغريق، جرحه أنجيل بحربه، ولكنه شفى بجل لركة من صدى عس المرة. (المضى).

(٤) يروسيوس Perseus: حلق لإفريخي ابن روس وديانا، قطع رأس ميدوزا وتزوج أندروبيدا، وأصبح ملك تيرتيا، وأسس ميبيتا. (المضى).

وهيراقل^(١) وجيلعاميش^(٢) وأمفيون^(٣) وذيتوس^(٤) وآخرين .

ونحن بمعرفة مصدر ومغزى أمثال هذه الأساطير من كتاب « رامت » ، ولما أشير إلا إلى النتائج التي خلص إليها يضع ملاحظات : أن البطل إسام يقف وقفة رجولية صديقه ، ثم ينتصر عليه في النهاية . والأسطورة موضع البحث تتابع هذا التصل إلى فجر حياة الطفل ، بأن تعمل ميلاده شيئاً لم يكن الأب يريد ، ولكنه يتقذر رغم نوباً أبيه الشريرة تحاميه ، وتعرضه في السلة هو رمز واضح يمثل عملية الميلاد ، فالسلة هي الرحم ، والنهر هو ماء الولادة . وفي عدد لا يحصى من الأحلام تمثل العلاقة بين الطفل وأبويه بعملية جر الماء أو بالإتيان من الفرق في الماء ، وعندما تلتصق

(١) هيراقل Heracles : حلف إله إفريلي ، ابن زيوس والسكيني ، وبشبه هيراقل اللاتيني ، وكانت الإلهة هيرا قد ضببت له ، فأرسلت إليه في هذه حينين لتقتله وتنهائه ، ولكنه ، وهو طفل ، حنقهما بين ذراعيه ، وكبر وصار ذا قوة غارقة . (الملمى) .

(٢) جيلعاميش Oligameesh : ملك ذرسي عظيم ، وحمل واحدة شهيرة من ملاحم العرق الهندية . (الملمى) .

(٣) أمفيون Amphiion : ابن زيوس وأنتيوب ، وهو شاعر وموسيقي . بين حواصل طيبة ، وكانت الأساطير أي من تلتاء حبا لتقم الموانئ قبل سحر صوت الناي الذي كان يرف عليه . (الملمى) .

(٤) زيتوس Zethos : ملك أسطوري من ملوك طيبة الإغريقية ، وهو ابن زيوس وأنتيوب . وهو مشهور شاعته لأسنوا أعياه على الانقام من ديرسيه وماء مدينة طيبة . (الملمى) .

تجيلة شعب من الشعوب هذه الأسطورة بشخصية مشهورة ، فإنما تشير إلى أن الشعب قد اعترف به بطلا ، وإلى أن حياته قد تطابقت مع الصورة النمطية للبطل . والمصدر الباطني للأسطورة هو ما يسمى « الرواية الأسرية » ، التي تدور حول استجابة الطفل ، في علاقته الداخلية بوالديه ، وعلى الأخص موالده ، للتحول ، حيث يسيطر الاحترام والتعظيم المبالغ فيه على الطفل في سنواته الأولى ، ومن ثم يظهر الآباء دائماً في الأحلام والتخيل في دور الملوك والملكات ، ولكن بعد ذلك ، وتحت تأثير التنافس وواقع القتل ، يبدأ التحرر من سيطرة الوالدين ، ويبدأ الاتجاه إلى ضد الأب ، وعلى ذلك تكون الأسرتان في الأسطورة ، الثبيلة والمتواضعة ، هما صورتان للوالدين نفسيهما كما يبدوان للطفل في مراحل الحياة المتتالية .

ولا نبالغ إذا قلنا إن ما سوفه من ملحوظات يفسر شكل نام التشابه في أساطير ميلاد الأبطال والتكرار الكثير لهذه الصورة . ولكن الشيء المثير أن أسطورة ميلاد موسى وطريقة عرضها ، تتفان بشكل منفرد ، حتى لتعارض الأسطورة الأساطير الأخرى الشابهة في قطة جوهرية واحدة .

ولندأ بالأسرتين اللتين تلقى الأسطورة بمصير الطفل بينهما ، ونحن نعرف أن التفسير التحليلي يصنع منها أسرة واحدة ، وأن

التفريق بينهما مسألة دقيقة . والأسرة الأولى التي يولد فيها الطفل ، طبقاً للأسطورة النمطية ، أسرة نبيلة ، وعالماً ما تكون أسرة ملكية ، والأسرة الثانية التي ينشأ فيها الطفل أسرة متواضعة ، من الأسر الدنيا ، تتوافق في ظروفها مع الظروف التي يحيل إليها التفسير . ولم يحدث أن شد هذا التفريق إلا في قصة الملك « أوديب » ، فالرضيع « أوديب » تلفظه أسرته الملكية لتنشئه أسرة ملكية أخرى . وليس من قبيل الصدفة أن توجد في هذا التثل الوحيد في الأسطورة معها ومضة من التشابه بين الأسرتين . فالتعارض الاجتماعي بين الأسرتين — ويقصد به كما نعرف ، أن تبرز الطبيعة البطولية لرجل عظيم — يهبط للأسطورة ثانياً ، حيث تحمل خصوصاً بالتحصيلات التاريخية ، ومن ثم تمد بطلنا بأسرة نبيلة ينشأ بها وتدفعه إلى مكانة اجتماعية أعلى . وهكذا نجد أن « ميروس » مجرد قائد فافع غريب عن الميدين ، ولكن الأسطورة تجعله حفيد ملكهم . ونفس الشيء يحدث في أسطورة « رومولوس » ، فهو كان رجلاً كهذا قد عاش ، فلا بد أن يكون مناسراً مجهولاً وغير معروف السبب ، ولكن الأسطورة تجعله سليل وورث بيت « السالونغا » الملكي

والأمر يختلف في حالة موسى ، فالأسرة الأولى التي ولدته ، وهي أسرة عادة ما تكون في الأسطورة أسرة ميمية ، هي ها أسرة

متواضعة جداً من اليهود اللاويين^(١) ، أما الأسرة الثانية التي ينشأ فيها الطفل البطل ، وهي أسرة ، كقاعدة عامة ، متواضعة ، يحل محلها هنا البيت الملكي للمصرى ، فالأميرة تنشئه كابنها . وهذا الاختلاف عن النمط التقليدي للأسطورة بدأ لكثير من الباحثين كشيء غريب ، لدرجة أن إدوارد ميير وآخرين غيره ، قالوا بأن الشكل الأصلي للأسطورة كان مختلفاً ، فزعون حلم جلاً^(٢) تلقى فيه التحدير بأن ابن ابنته سيكون خطراً عليه وعلى مملكته ، ولذلك كان من نتائج أن الطفل أسلم إلى مياه النيل بعد ميلاده مباشرة ، ولكن الشعب اليهودي يتقده ويريه كإبن من أبنائه . ويتعير رانك فإن « الدوافع القوية »^(٣) قد غيرت الأسطورة وحملتها على

(١) اليهود اللاويون هم سلالة لئى بن النبي يعقوب (إسرائيل) من زوجته الأولى « ليا » ، واحترفوا خدمة الحبل ، بينما احترف أولاد هارون الكهانة في الديانة المصرية ، وليس عامة اللاويين أكثر من خدم ، وبحظور عليهم الاقتسام من المذبح أو ممارسة أى من طقوس الكهانة . وتقول التوراة أن موسى وهارون من اللاويين . (الخلفي) .

(٢) ذكرته أيضاً رواية فلافيوس يوسفوس ، وهو مؤرخ يهودي ولد في أورشليم (٣٧ - ١٠٠ م) ، وشاهد حروب أورشليم على يد تيتوس ، وبسرعة انضم إلى الفريق المنتصر ، وعمل في خدمة تيتوس مع أهله من اليهود ، وكاناه تيتوس لميائه فأعطاه مרבاً ثانياً وبالنسبة الرومانية ، وقرع لكتابة التاريخ من وجهة نظر روما ، ولم يذكر المسيح وكنته إلا مرتين ، وقال عنه : « من يدعى المسيح » . ومن كتبه « تاريخ الحرب اليهودية » ، و « آثار اليهود » . (الخلفي) .

(٣) ص ٥٤ من كتاب رانك . (غرويد) .

الشكل الذى نعرفه بها اليوم .

ومع ذلك فإن للزبد من التفكير يقول لنا أنه لا يمكن أن توجد أسطورة أصلية لموسى ، أسطورة لا تختلف عن أساطير الميلاد الأخرى ، لأن الأسطورة هي إما من أصل مصرى ، أو من أصل يهودى ، وقد نستبعد الفرض الأول ، فليس عند المصريين من الأسباب ما يجعلهم يظنون موسى ، وهو ليس بطلا عندهم ، ومن ثم فلا بد أن تكون الأسطورة قد نشأت بين الشعب اليهودى ، أى أنها أسطورة ترتبط في شكلها الأصل بشخص زعيم الشعب اليهودى ، ولكنها لا تناسب إطلاقاً هذا الفرض ، فإما هو جدوى أسطورة تحمل بطل شعب من الشعوب رحلا أجنبياً ؟

وأسطورة موسى ، كما نعرفها اليوم ، تتكلم للأسف وراء دوائها السرية ، ولو أن موسى لم يكن من أصل ملكى ، لما كان من الممكن أن تخاف أسطورتنا منه بطلا ، ولو بقى كما هو يهودى ، فالأسطورة لم تعمل شيئاً لترفع من مكانته ، ولا يبقى من كل الأسطورة إلا سمة صغيرة واحدة نظل لها فاعلية : التأكيد على أن الرضيع قد عاش رغم القوى الخارجية القوية التى كان من المفروض أن تحدث العكس . وتتكرر هذه السمة في التاريخ المبكر ليسوع ، حيث يقوم للثلاث هيرود بدور فرعون . ولذلك فيحق لنا أن نفترض

أن الذى قام بتعديل الأسطورة ، فى وقت لاحق وبطريقة جافة ، رأى أن من المناسب أن يزود بطله موسى بسمات معينة ، هى السمات التقليدية للبطل ، ولكنها لا تناسب موسى بحكم الظروف الخاصة .

وبهذه النتيجة غير للرؤية وغير المؤكدة كذلك ، يبلغ محتجا بما يته دون أن يسهم أى إسهام فى الإجابة على السؤال الذى يتسأل ما إذا كان موسى مصرياً ، ثم أليست هناك طريقة أخرى وربما كانت أكثر نجاحاً فى دراسة الأسطورة نفسها .

ولنعد إلى الأسرتين اللتين فى الأسطورة ، وكما عرف فإنها متطابقتان بمقياس التفسير التحليلي ، ولكنها مختلفتان بالمقياس الأسطوري ، فهما أسرتان إحداهما نبيلة والأخرى متواضعة . ولكن هناك مقياساً ثالثاً يطبق فى حالة الشخصية التاريخية التى ترتبط بها أسطورة ، وهو مقياس الواقع ، فإحدى الأسرتين هى أسرته فى الواقع ، وهى الأسرة التى ولد ونشأ فيها الرجل العظيم . والأسرة الأخرى أسرة عبر الواقع . إنها أسرة اخترعتها الأسطورة لتحقيق بها أهدافها . وكقاعدة فإن الأسرة الواقعية تتوافق مع الأسرة المتواضعة ، والأسرة النبيلة مع الأسرة المخترعة ، ولكن فى حالة موسى يبدو هناك شيء مختلف . وهنا تلقى وجهة النظر الجديدة بعض الضوء ، فالأسرة الأولى التى يتعرض فيها الرضيع للخطر هى

بكل مقاييس المقابلة الأسرة المخترعة ، والأسرة الثانية التي تدعى
البطل والتي بنشأ فيها هي أسرته الواقعية . فإذا كانت لنا الشجاعة
بحيث قبل هذا الاستنتاج لحقيقة عامة تخضع لها كذلك أسطورة
موسى ، فإننا سعري طريقنا واصحاً . إن موسى مصرى ^(١) ، ومن
المحتمل أن يكون من أصل نيبيل ، وتجمعه الأسطورة يهودياً ، وهذه
هي النتيجة التي نخلص إليها ! ونعريضه للماء كان في محله ، فلكي
تتحقق النتيجة الجديدة فإن النية يجب أن تتغير ، ولكن بلا عنف ،
وهكذا تصبح وسيلة التخلص من الطفل وسيلة لتخليصه .

واحتلال أسطورة موسى من كل الأساطير الأخرى من نوعها
يمكن أن ترجمه إلى سمة خاصة في قصة حياة موسى . فبينما يرقى
الطفل في كل الحالات الأخرى فوق البدايات للتواصية أثناء تقدمه
في الحياة ، فإن الحياة البطولية للإنسان مو سهوطة من رفعته
إلى مستوى أطفال شعب إسرائيل .

(١) يقول R. Meyer في كتابه « Die Mesessagen und »
Mittheilungen der königlich « die Lewiten preussischen
Akademie der Wissen schaften (Berlin 1906)
إن اسم موسى من المحتمل أن يكون هو اسم ينطس Pinchas في أسرة كهنه
Silo . . . هو بلا شك اسم مصرى . ومع ذلك فإن حسنا لا يثبت
أن هذه الأسرة كانت من أصل مصرى ، ولكنه يثبت أنها كانت لها «لغات
بصر (من ٦٥١) ، ولنا أن نتأمل ما هو نوع هذه اللغات التي يمكن أن
تتبعها . (غرويد) .

ولقد قمت بهذا البحث الصغير على أمل أن أفوز منه بمحة ثانية جديدة مدللا بها على ما أسوقه من فكرة أن موسى كائن مصرياً . ولقد رأينا أن الحججة الأولى التي تناولت اسمه لم تكن حجة حاسمة . وعليتنا أن نستمع للمناقشة الجديدة ، تحليل أسطورة التعمير ، دون أن تحقق شيئاً بعد ، ومن المحتمل أن تكون المعارضة التي توجه إلينا هي أن ظروف نشأة وتحول الأساطير هي ظروف غامضة لا تسبح بالترسل إلى نتيجة كالتي توصلنا إليها آنفاً . وأن كل الجهود لاستخلاص نواة الحقيقة التاريخية لابد أن تبوء بالفشل بالنظر إلى عدم الترابط وللتناقضات التي تحيط بالشخص البطولي موسى وللملاحظات التي لا تحظى . والتي نبل على وجود تشبه مقصود تراكم خلال قرون كثيرة ، وأنا نفسي لا أشارك هذا الاتهام السلي ، ولكني لست في موقف لأدحضه .

وإذا لم يكن هناك بين خلاف هذا اليقين يمكن أن نتوصل إليه ، فلماذا عرست هذا البحث على جمهور أكبر ؟ وإلى لأسف أنه حتى نبررى ليس له إلا أن يقصر نفسه على مجرد التلويحات . ومع ذلك فإنه إذا كانت الحجتان اللتان سقناهما قد شدتنا إليهما ، حتى لنحاول أن ننظر بعد إلى النتيجة المستخلصة ، أو التي مؤداها أن موسى كائن عظيم من عظماء المصريين ، فإن آفاقاً رحبة ومبهمة

جداً ستنتفع أمامنا إذ ذلك ، ويمكن أن نفهم إحد ، بماونة بعض
 القروض المينة ، الدوافع التي وحت موسى في مهته غير المادية .
 ويرتبط بذلك بشكل وثيق أن نفهم الدافع المحتمل لسبب عديدة
 ونحوها التشريع والدين الذين أعطاهم موسى للشعب اليهودي .
 إن هذا الدافع المحتمل يستثير أفكاراً تتعلق بأصل الديانة التوحيدية
 عموماً ، ولكن مثل هذه الاعتبارات الهامة لا يمكن أن تقوم على
 احتمالات نسبية فقط ، وحتى إذا وافقنا عليها باعتبار أنها احتمالات
 تاريخية ، وأن موسى كان شخصية مصرية ، فإننا سنكون بحاجة إلى
 حسم ما لا يقل عن قطعة أخرى ، حتى نحسم الإمكانات الأخرى
 الكثيرة التي تلوح ، محتملة من أن يوجه إليها النقد بأنها من نتائج
 الخيال ، وأنها تبعد كثيراً عن الواقع . ورغم أن يكون أن نسوق
 برهاناً موضوعياً يثبت وقوع الفترة التي حوت فيها حياة موسى ،
 والتي وقع خلالها الخروج من مصر ، ولكن ذلك ليس متيسراً ،
 ومن ثم فن الأوفق أن نحجم عن استخلاص أية نتائج تستقيم
 الأخذ بما قلنا به من أن موسى كان مصرياً .

الجزء الثاني

إذا كان موسى مصرياً . . .

حاولت في الجزء الأول من هذا الكتاب أن أدمج بحجة جديدة فكرة أن الإنسان موسى ، محرر الشعب اليهودي ومأنحه الشريعة الموسوية ، لم يكن يهودياً بل مصرياً . وقد لوحظ من زمن بعيد أن اسمه « موسى » مشتق من اللغة المصرية ، ولو أنه شيء لم يسلخ . وقد أضفت إلى هذه الواقعة فكرة أخرى وهي أن أسطورة ترميصة للقاء استلزمت أن تقول إن موسى كان مصرياً ، ولكن الشعب اليهودي كان في حاجة إلى أن يحمل منه يهودياً . وفي نهاية بحثي قلت إن من الممكن استخلاص نتائج هامة وجيدة المدى من فكرة أن موسى كان مصرياً ، ولكني لم أكن مستعداً لإعلان هذه النتائج عل اللأ ، ما دامت أنها نتائج تقوم على إمكانات غريبة . يوردها القليل الموسوعي . ركنا رادت أهمية . . .

المتخلصة ، كلما زاد حدى إزاء إعلانها على العالم وتربيتها لتتقد دون أن يكون لها أساس مضمون — مثل النصب الذى يكون من الحديد ولكن أقدامه تكون من الطين . ولا يوجد ممكن مهما كان إغراؤه ، يمكن أن يحمينا من إثبات الخطأ ، حتى ولو كانت كل أجزاء المشكلة تبدو متلائمة مع بعضها كقطع لنز الصور المقطوعة . وينبى أن نذكر أن للمكس ليس من الضروري أن يكون هو الحقيقة ، وأن الحقيقة ليس من الضروري أن تكون دائماً ممكنة . وأخيراً ظن من المستحب أن أدرج ضمن المدرسين والتالودين^(١) الذين يرصدون أن يمارسوا راعتهم دون أن يباؤا بمدى ماقد تكون عليه نتائجهم من بعد عن الحقيقة . ورغم هذه الشكوك التى ترين على كامل اليوم ، كما كانت فى الماضى ، فإنه من بين سرعات دواصى حرج قرارى بأن أتبع معنى الأول بهذا البحث الجديد ، ولكنى أؤكد مرة أخرى أنه ليس إلا حراً من كل ، وأنه ليس أم حز .



(١) التالوديون : نسبة إلى التالود . وهو الكتاب الثانى والأهمى فى اليهودية ، وهو التوراة . والتالود لغة عبرية معناه التعليم . فهو كتاب التلميم ، وهو يضم الآيات التى وصفت أفعال اليهود الذين يحسون أنرايين تصديراً لشر به لى موسى . ويقطع إر تسحق : اليشا . وهو التبريد الذى ينفى من الأثر تظافى ، وادمره . وهو المعنى على اليشا . (المعنى) .

فإذا كان موسى ، إننا ، مصرياً^(١) فإن أول نتيجة نستخلصها من هذه الفكرة هي بمثابة لفر جديد يصعب الإجابة عليه . وعندما يستند شعب إحدى القبائل^(٢) لقيام بعمل عظيم ، فمن المتوقع أن يعمل أحد أفراد هذا الشعب من نفسه زعيماً له ، أو أن يختار لهذا الدور . ولكن ليس من السهل أن تتكهن بما يمكن أن يعرى مصرياً مرموقاً ربما كان أميراً أو كاهناً أو موظفاً كبيراً ، إلى أن يضع نفسه على رأس حشد من المهاجرين منسحقى الثقافة ، وإلى أن يترك بلاده بصحتهم ، وإن ما هو معروف عن المصريين من احتقار للأغراب^(٣) يحمل مثل هذا العمل من جانب موسى شيئاً

(١) يرد فرود نفسه على ادعائه بمصرية موسى فيقدم هذا السؤال الذى يتضمن إجابة سلبية ، وهو أنه لا يستطيع أن يجيب على السؤال ، ولكن تفسيره السؤال هو تكتيك متعمد ومألوف لأثرة الشك وطلة الفراء ، والابهام بإجابة معينة لا يستطيع القارىء غير الرسمى لقراءتها إلا التلهم بعض ما يشبه فرود إن لم يكن كله . وهناك احتمال لا يورده فرود نفسه وهو أن يكون اسم موسى اسماً مألوفاً بين يهود مصر وبين المصريين أنفسهم كما عرف ذلك من تاريخ اليهود في كل البلاد التى عاشوا فيها ، أو أن يكون الاسم نفسه اسماً سائداً شائعاً مشتركاً في مصر القديمة وبين اليهود . (الختى) .

(٢) لا نرى من ذلك أى تلميح لعدد اليهود الذين خرجوا من مصر (فرود) .

(٣) ملاحظة غريبة من فرود لا أدرى من أين أتى بها ، إذ أن مصر كانت على مر التاريخ ممراً وملاذاً لكل شعوب البحر الأبيض .

غير ممكن ، وإنى لأميل حقيقة إلى الظن بأن هذا هو السبب الذى حدا بالتورحين ، وحتى هؤلاء الذين أقروا بأن اسم موسى هو اسم مصرى ، وسبوا إليه كل حكمة مصر ، إلى عدم الترحيب بفكرة أن موسى كان مصرى ، حتى ولو كانت الفكرة ممكنة بشكل واضح .

وتقع هذه العقبة الأولى عقبة ثانية ، فنحن لا ينبغي أن نسى أن موسى لم يكن قط الزعيم السياسى لليهود المقيمين فى مصر ، وإنما كان مشرعهم ومعلمهم والذى أجبرهم على اتخاذ ديانة جديدة . مازالت تسمى حتى اليوم بالديانة الموسوية ، نسبة إليه . ولكن هل من الممكن لشخص بمفرده أن يخلق ديانة جديدة بهذه السهولة ؟ وعندما يرغب شخص ما فى التأثير على ديانة شخص آخر ، أليس أكثر الأشياء طبيعى هو دفعه إلى تغيير ديانته واتخاذ ديانة الشخص الأول ؟ وكان الشعب اليهودى فى مصر يؤمن بدينين معين ، وإذا كان موسى الذى أعطاهم ديانة جديدة ، مصرى ، فالنتيجة المستخلصة من ذلك إما لا يمكن أن تكون مرفوضة ، وهى أن الديانة الجديدة كانت ديانة مصرية .

وبإزاء هذا الاحتمال عقبة ، وهى التمازج الحاد بين الديانة اليهودية المنسوبة إلى موسى وبين الديانة المصرية ، فالديانة اليهودية ديانة متميزة متباينة ، ولا يوجد بها إله واحد مفرد تام القدرة ،

لا يدانيه أحد ، ولا يقوى على اجتلاء وجهه أحد ، ولا ينفى لأحد أن يحط له صورة ، أو حتى أن يلفظ اسمه . أما في الديانة المصرية ، فهناك من ناحية أخرى عدد مدخل من المعبودات تختلف أهمياتها وأصالتها ، وبعضها تشخيص للقوى الطبيعية الكبرى ، مثل السماء والأرض والشمس والقمر ، ثم نجد تحريداً مثل « ماعت »^(١) & Ment (ويقصد به العدالة والحقيقة) ، أو مخلوقاً شائهاً مثل الترم Ben . ومعظم هذه الآلهة آلهة محلية من أيام تقسيم الأرض بين الأقاليم المختلفة ، ولها أشكال الحيوانات ، كما لو كانت لم تنقلب بعد على أصولها من أيام عبادة الحيوانات الطوطمية^(٢) . وليست هناك

(١) يقول الدكتور عبد النعم أبو بكر (كتاب أختاتون ص ٢٨) أن المصريين يفسدون من تصير ماعت « الحقيقة ، الصدق ، العدالة » ، وأن أختاتون كان يقول إنه يمشي على القنط ، وذلك جعل اسمه « المائت على القنط » ، وسمى عاصمته الجديدة « مقر القنط » . (الملقى) .

(٢) الطوطمية : الطوطم هو حيوان أو نبات أو أي شيء آخر مقدس لدى جماعة أو قبيلة أو جنس من الشعوب البدائية ورمز للجماعة وبصبيتها ، وتعالفه طرق مختلفة طبقاً للمادة والراث ، وتدور حوله طقوسها الدينية وشرائعها الطوطمية هي نظام القوانين والمبادئ التي تصور حول الطوطم يوسفها قوانين وشرائع اجتماعية ودينية . والطوطمية أقدم ديانة عرفها تاريخ الإنسانية ، وهي ليست عبادة الحيوان أو النبات ، ولكن الطوطمية تختلف عن عبادة الحيوانات في أن القبلة التي تدعى بالطوطمية ترى أنها والطوطم من أصل واحد ، تتلا التيفة التي تبطل طوطمها للكنس هو القتب ، ترى أنها والقتب تصعد من أب واحد . ومن أكبر الفلاسفة الذين كشفوا في الطوطمية السلامة الفرنسي دور كايم .

اختلافات فيما بينها ، وتمييز عن بعضها البعض تمييزاً طفيفاً بالوظائف الخاصة التي تنسب إلى بعضها . وتحكي الأناشيد التي تنطى في مدح هذه الآلهة نفس الشيء من كل منها ، وتماثل بين بعضها البعض دون أن يثير ذلك أية شكوك حولها ، وبطريقة تلبسنا بشكل يائس وتربط أسماء المعبودات ببعضها البعض لدرجة أن بعضها يدنو في الدرجة ، فيكفي باسم آخر ، ولعلك نجد أنه في أحسن فترة من حكم « الامبراطورية الجديدة »^(١) سعى الإله الأكبر للدينونة طيبة

== والاسم له Totemism شائع في القنات الأوروبية كلها ، ونجد في القنات الفرنسية والإنجليزية ، وأول من استخدمه مؤلف إنجليزى مشهور اسمه جون لونغ Long ، وكان يصل ترجاء في شركة الهند ، في كتاب له عنوان « أسفار ورحلات لرجلان هندي Voyages and Travels of an Indian Interpreter » سنة ١٧٩١ ، وبعد توالت الكتب التي تستخدم هذا التعبير الذي أخذته فرويد ووضع منه وعن مغلولاته كتابه « الطوطم والمهرم Totem and Taboo » والجدير بالذكر أن أستاذنا الدكتور علي عبد الواحد والى يرى أن الترجمة القائمة في العربية لكلمة « توكيم » الطوطمية ، مع أنها يجب أن تكتب « التوتمية » ، كما يترجم الأستاذ الدكتور « التابو » بأنه نظام المحرم ، أو نظام اللباس الذي يحظر فيه على الأفراد قربان أو لمس أشياء معينة إلا في ظروف خاصة وبطائوس مرسومة ، وبعد اتحاد كثير من وسائل الميطة والمعدن : (كتاب الطوطمية ، سلسلة إنثرا — دار المعارف العدد ١٩٤) . (الخلفي) .

(١) الإمبراطورية الجديدة بدأها الملك تيموتس الثالث حوالي سنة ١٢٧٠ ق.م. بعدد من الحملات في آسيا ، وكان هدف هذه الحملات موحهاً للى مدينة طائش على نهر الدانوس ، وهي التي كانت تترعم المارتن على المصريين ، وذلك أن المصريين بعد طرد الحكوس من مصر وجدوا أن من واجبهم مطاردتهم مطاردة عليها حب الانتقام الذي ظل ينسوق قوسهم لأكثر من قرن من الزمان. وكان لقادش ==

« أمون - رع »^(١) ، وهذا اسم تركيبي ، الجزء الأول منه يعنى إله المدينة التى له رأس كبش ، أما اسم رع فهو إله الشمس الذى عبده مدينة أون وله رأس صقر . وكانت التماويذ والصيغ السحرية والمقنوس تسيطر على صلوات هذه الآلهة ، مثلما كانت تسيطر على الحياة اليومية للمصريين .

« منى خاتم إبراهيم » لأن على مقربة منها كان تل سبتة ' وروح عليه معسكر الكوس ، وعلى بعد ٢٥ ميلا فقط كانت توجد مدينة قفطا وفيها أكبر تلك المعسكرات جيشاً . ولا يخفى ذلك أن مصر لم يكن لها إمبراطوريات من قبل ، فقبل تحوُّميس كان لمصر إمبراطورية لإفريقية امتدت إلى النوبة والسودان والحبشة أو بلاد كوش . (عن حون ولسون - المصاهرة المصرية) . (الحفنى) .

١ (١) أمودرع أحد آلهة مصر القديمة ، وسيد الكرك ، ومائس أنون ، وطهر كلاله فى مصر يظهر الأسرة الطيبة ، ومعنى أمون « المختص » ، وهو إله الهواء الذى لا يرى والذى يستطيع أن يكون فى كل مكان ، ولهذا سهل على هذا الإله أن يكون إلهاً للإمبراطورية الحديثة ، وكان إلهاً عالياً عندما ذهب إلى الخارج عند انتصاح الإمبراطورية ، ولما أصبح مبعوثه إلى جاب مصر فرعون ، وتنافس كبير كهنته على السلطة مع قائد الجيش والوزير ، ونى الختام مع الملك نفسه - وأمون رع هو إله من آلهة الشمس ، ومصر عرفت عبادة الشمس منذ الأول ، وكان قننيس مظاهر متعددة كان كل منها إلهاً مستقلاً ، وأصبح رع إله هليوبوليس هو إله الشمس الذى ضل على « بعده » ، فاستحوذ على السلطة فى هليوبوليس من أنوم الإله الخالق الذى وحد نفسه مع الإله الجديد وصار يسمى « رع أنوم » ، هو ظل كل من أمون رع وإله مستقلاً ، أحدهما الهواء والآخر الشمس ، بالرغم من أنهما اتحدتا تحت اسم أمون رع الذى أصبح الإله الأعظم للأئمة ، ولم يناف على السلطة إلا حياة أنون التوحيدية ، ولما احتل أن أمون كان إلهاً توحيدياً كذلك ، فى البردية المروقة باسم بردية بولات ١٧ التى ترجع إلى عصر ما قبل الأسرة ١٨ يذكر اسم أمون بأنه « الواحد الثمر الذى لا كفه له » . (الحفنى) .

وربما كانت بعض هذه الاختلافات نابعة من التمازج في
البدأ بين الوجدانية الصارمة وبين تعدد الآلهة تملحاً لا نهائياً ،
وبعضها الآخر نتائج لاختلاف في المستوى الفكري ، فديانة تحرب
جداً من الديانات البدائية ، وديانة أخرى تخلق في سواحق التجريد
للناسى . وربما كانت هاتان السمتان هما اللتان تعطيان أحياناً
الإحساس بأن التمازج بين الديانة الموسوية وبين الديانة المصرية
هو تمازج مقصود واستهدف إرازه ؛ مثلاً عندما تنهى الموسوية
عن إتيان أى نوع من أعمال السحر والشعوذة ، فذلك لأن الديانة
المصرية تبيحها ويروج فيها السحر رواحاً عظيماً ؛ أو عندما يقابل
الرجبة النهمة لدى المصرى في أن يصنع تماثيل لألمته من الصلصال
والحجر والمادن ، هذه الرغبة التى تدين لها متاحفنا كثيراً ، يقابلها
في الموسوية النهى نهياً مطلقاً عن تصوير أى كائن حى أو متخيل .

وببقى اختلاف آخر بين الديانتين لم نحصه التفسيرات التى
تقدمت ، فلم يوجد شعب آخر من الشعوب القديمة ، كالشعب المصرى ،
بذل كثيراً لينكر الموت ، وأعد أيماناً إعداد لحياة بعد الحياة ، واتفاقا
مع هذا فإن إله الموت « أوزيريس »^(١) ، حاكم هذا العالم الآخر ،

(١) أوزيريس : كانت في مصر القديمة نظريتان دينيتان ، إحداهما عبادة إله
الشمس والديانات الأخرى للفرقة منها ، والثانية عبادة أوزيريس ، وكان هناك =

كان أكثر الآلهة المصرية جميعها شعبية^(١) وأصالة لا جنال فيها.

== رابع بين النفرين ، ومن المحتمل أن هذا النزاع بدأ من أقدم الصور وظل مستمراً فيها بعد ، ونرى أثر هذا النزاع في التصادم بين الديانتين ، بخصوص النفوس ، فالأولى تخص بملالة النفوس بالشمس التي تقرب لتسريح ثم تفرق في بيئاتها مبيحة اليوم التالي ، والثانية هي علاقة النفوس بالآله أوزيريس وهو إله النفوس لا تعرف حقيقة أسمة . وسواء أكان أوزيريس في الأصل ملكاً عاش وحكم بين الناس ، ثم مات وأصبح ملكاً للنفوس وللملأ للأرض التي كان الموتى يدخلون إليها ، أو أنه كان للملأ قبل ومات ثم لوتد إلى الحياة ، فإن ذلك أمر لا يمكننا أن نعرفه على وجه اليقين . ولكن الذي عرفه علماء أنه عند بدء الأسرات أصبح هو الإله الذي كان قد مات ثم ورد إلى الحياة ليكون الحاكم للبت والحاكم على السموات . وعلى ذلك أصبح هو الملك للنفوس أوزيريس ، كما أصبح ابنه الذي جلس على العرش للآله « حورس » ، وهو الابن الذي يقوم بما يجب عليه نحو أبيه ، والذي قام بعمل ما يلزم ليظل أبوه حياً في الحياة الأخرى . وعلى مر الأيام ازداد شأن ديانة أوزيريس وغطت على العقيدة المتأخرة بأن للنفوس ينصب ضحية الشمس ، (جون ويشون — الحضارة المصرية) . (الخليل) .

(١) يرى البعض أن النزاع بين الآلهة رع وبين الآلهة أوزيريس هو نزاع احتياجي اقتصادي بين الطبقات ، فالآلهة رع هو إله الملك والطبقة المالكة ، والآلهة أوزيريس هو إله الشعب الفقير ، والنزاع الطبقي في مصر القديمة بصورة حسنة إلى حد ما كل جانب . ومع ذلك فإن ديانة أوزيريس ظهرت في الأصل كديانة للملك ، ولكن التطور في مصر نحو الديمقراطية أكسب ديانة أوزيريس صفة لي غوس الشعب ، لأنها صنعت السعادة السخطة لأكثر عدد من الشعب ، والانتقال إلى الحياة الأخرى ، ليصبح الناس وصحة الآلهة أوزيريس . أما ديانة رع فلم تكن تتحول بالحدود إلا للملك وحده ، فملك هو الوحيد الذي له الحق في المتودد إلى الحياة ==

أما الديانة اليهودية للبكرة فلننا عكس ذلك لم نتحدث عن
 النلود لإطلاقة ، ولم يذكر فيها في أى مكان إمكان وجود حياة بعد
 الموت ، وهو أمر تزيد أهميته لأن التجربة التي تلت ذلك (أى
 الديانات الأخرى اللاحقة) قد أثبتت أن الاعتقاد في وجود حياة
 أخرى بعد هذه الحياة يمكن أن يتوافق جداً مع الديانة التوحيدية .
 وكنت آمل أن تبرهن الفكرة التي قول بأن موسى كان
 مصرياً ، أنها فكرة من شأنها أن تكشف وتنبه من رواح مختلفة
 كثيرة ، ولكن أول ما استخلصناه من هذه الفكرة — وهو أن
 الديانة الجديدة التي أعطاها موسى لليهود كانت ديانته هو ، أى
 الديانة المصرية — قد نمت فوق الاختلاف ، بل التمازج البارز
 بين الديانتين .



تثير واقعة غريبة في تاريخ الديانة المصرية — وهي واقعة اعترفوا
 بها وامتدحوها في وقت متأخر نوعاً ما — وجهة نظر أخرى ما تزال
 ممكنة ، وهي أن الديانة التي أعطاها موسى إلى الشعب اليهودي

...الأخرى ومصاحبة الآلهة (الشمس) في غدواته وروحاته . وفي الوقت الذي
 اتجهت فيه الأوزيرية إلى الفس ، رى الملكية ما تزال تحسرها نفس الضيق ،
 فنقول أن الملك هو نفسه الوحيد الذي من حقه أن يصبح أوزيريس بعد الموت .
 (الملك) .

هي ديانتهم ، ديانة من ديانات المصريين ، ولكنها ليست ديانة
مصرية^(١).

في الأسرة الثامنة عشرة^(٢) الجديدة ، عندما جارت مصر لأول
مرة دولة عالمية ، ارتقى العرش فرعون شاب نحو سنة ١٣٧٥ ق. م ،
اسمى نفسه في أول الأمر أمنمحتب الرابع مثل أبيه (أمنمحتب

(١) نلاحظ أن ترويد دائم الخط ، فهو لا يتصور أن تكون مصر الديانات
كلها هو الله ، مع أن هناك مقدسين إلهاماً ترجع الدين في الرسل وسطاء
بينه وبين البشر ، والأخرى هي مدرسة الحادية تعد الدين بظهور أنكر والوحش وبمضكم
الأمم ، ولكن ينبغي أن نذكر دائماً أن ظاهرة الدين والدين التي تسمح عن نفسها
بها التكرار في تاريخ البشرية ، هي خير دليل على وجود مصدر خارج الإنسان
هو الموحى بالدين ، ومصدر داخل الإنسان هو مثلي الوحي به ، وليس تعاقب
الديانات وظهورها عن شئ من شئ إلا لاختلاف عصور البشر بها ، ثم حسب الدرجة
المضارة التي عليها التمس للبشر بالدين . (الحقيق)

(٢) الأسرة الثامنة عشرة من ١٥٥٠ إلى ١٣٥٠ ق. م ، ولوكها ثم أحس
الأول (أخوس) من ١٥٥٠ إلى ١٥٤٥ ، وأمنمحتب الأول من ١٥٤٥ إلى ١٥٢٥ ،
ونحوتمس الأول (نحوتموس) من ١٥٢٥ إلى ١٤٩٥ ، ونحوتمس الثاني من ١٤٩٥ إلى
١٤٩٠ ، ونحوتمس الثالث من ١٤٩٠ إلى ١٤٣٦ ، وحشيشموتس ١٤٣٦ إلى ١٤١٦ ، ومن
ملوكها كذلك حصر الأميراطورية ، ومن أمنمحتب الثاني ١٤٣٩ — ١٤٠٦ ،
ونحوتمس الرابع ١٤٠٦ — ١٣٩٨ ، وأمنمحتب الثالث ١٣٩٨ — ١٣٦١ ، وأمنمحتب
الرابع (أخاتون) ١٣٦١ — ١٣٥٢ ، وسمنطكارع ١٣٥٢ — ١٣٥٢ ، ونوت منج
أتون (نوت صم آمون) ١٣٥٢ — ١٣٤٤ ، وآي ١٣٤٤ — ١٣٤٢ ، وحور محب
١٣٤٢ — ١٣٠٣ .

الثالث^(١)، ولكنه غير اسمه فيها بعد . وغير أشياء أخرى كذلك .
وأك هذا الملك على نفسه أن يفرض على رعاياه ديانة جديدة تنافس
تعاليدهم القديمة وكل ما اعتادوه . وكانت ديانة توحيدية صارمة ،
وأول محاولة من نوعها في تاريخ العالم على قدر ما نعلم . وولد بالتبعية
مع الإيمان بالله واحد . التسامح الديني الذي كان غريباً على العالم
القديم قبل مجيء هذه الديانة للتوحيدية ، واستمر بعد مجيئها زمن
طويل . ولكن حكم أمنحوتب الرابع دام لسبع عشرة سنة فقط ،
وبعد وفاته سنة ١٣٥٨ ق . م مباشرة ، زالت الديانة الجديدة
وصودرت ذكرى الملك الكافر . ونحن نشهد المعرفة القليلة التي
نملكها عنه من آثار عاصمته الجديدة التي بناها ووهبها لإلهه ، ومن
الكتابات المنقوشة على صخور مقابرها . وكل ما يمكن أن نعلمه

(١) أمنحوتب الثالث هو ابن تحوتس الرابع . . . حته الأجنبية ابنة اريانا
ملك ميتاني ، وكان هو وأبوه من الهاربين الفارين . تزوج أمنحوتب الثالث
زوجة مصرية من طلبة الشعب وأتجب أمنحوتب الرابع ، وتزوج أمنحوتب الرابع
من أخته الرشيدة قرتين وأشركه أبوه معه في الحكم ، وأتجب أمنحوتب الرابع
وقرتين ست بنات ، واعتنق ديانة أتون ، واحتفل وهو في سنة الثلاثين بعد ميلاده
وميلاد ديانة أتون ، الأمر الذي يدل على أن هذه الديانة كان عمرها وقتذاك
للاثنين سنة ، وغير اسمه بعد وفاة أبيه من أمنحوتب ، وعي أمنون راضي (من
هنا الشخص) إلى اسم أختاتون وسماه إما «لقيد لأتون» أو «ليسد أتون» ،
وله اختان أختاتون من مسرح الحكم بطريقة مشبوهة لا نعرف تفاصيلها ، وبعد
خلاف صلاح زوجته ، وخلق على الحكم أخوه الأصغر سمضكارع .

عن هذا الشخص العظيم والتريد حقيقة لجدير بأعظم الأهمية^(١) .

إن كل شيء جديد لا بد أن تكون له جذور فيما كان من قبل . ويمكن بعض اليقين تتبع نشأة التوحيد للصوى إلى زمن بعيد بمصر الشىء^(٢) . وفى مدرسة الكهنة فى معبد الشمس فى أون (عليو بوليس) كان الأتجاه لبعض الوقت بطور فكرة إله على ويرر بواحيه الأخلاقية . وكانت ماعت^(٣) إلهة الحق والنظام والعدالة ، ابنة إله الشمس رع . وكانت عبادة إله الشمس فى صعود منذ أمنتحتب الثالث الذى جاء قبل أمنتحتب الرابع وكان والده . ومن المحتمل أنها كانت تعارض عبادة آمون إله طيبة الذى أصبحت ديانتة هى الديانة السائدة . واكتشف الملك من جديد أن إله

(١) أمياه برهتيد « أول لرد فى التاريخ البشرى » . (فرويد) .

(٢) إن ما أذكره هنا يرسم خطى كثنائى برهتيد « تاريخ مصر » (١٩٠٦) و « جر الضمير » (١٩٣٤) ، والفصول للكتابة من الجزء الثانى من « التاريخ القديم » بعبارة كبرديج . (فرويد) .

(٣) ماعت ، أو الدعوة للى ماعت ، أى الحق ، هى دعوة تخص بها عبادة الهة ، وكان أحتاتون صاحب الدعوة وإله أونو يمشى على الحق ، وكان شعار الدعوة للى التوبة هو كلمة ماعت التى يجب أن ترجعها هنا إلى الحقيقة ، بدلا من كلمة الملك أو الحق ، فقد كانت الصراحة فى الحياة الحائلية ، وإبناح الأسلوب الطبيعى فى الفن وصيغ اللغة بالصيغة العامة كانت كلها مملوكة للحقيقة . ونعت أحتاتون نفسه فى أسامته الرسمية بأنه « الذى يمشى على الحقيقة » ، كآما فى الطمام الذى يدهم بالحياة ، وأصبح اسم إله أونو الرسمى هو « الراضى بالحقيقة » . (الحقى) .

الشمس كان له اسم قديم هو أتون^(١) أو أتوم ، ووجد الملك الشاب في ديانة أتون حركة لم يكن هناك ثمة حاجة لخلقها ، ولكنها كانت موحودة ويمكن أن ينضم إليها .

وكانت الظروف السياسية في مصر نحو ذلك الوقت قد بدأت تفرض نفسها بقوة دائماً على الأدبانية المصرية . وكانت مصر عن طريق سيف الفاتح العظيم تحتمس الثالث^(٢) قد صارت دولة عالمية ،

(١) ديانة أتون أو أتوم وسمى كلة أتون قرص الشمس ، وم يكن القرص ذاته للها ، ولكن المصريين الآلهة مثل أمحتوت ، وكان أسحوت الثالث والملكة تيركيان سيرة في بسمرة البرهة اسمها «أتون حسي» ، ويرجع تأليه أتون إلى عصر تحتمس الرابع . وكان لأتون مدد في حياة ، وكان الآلهة أتون على علاقة ودية في أول الأمر بالآلهة أمون ، ثم بدأ الصراع بين كيهنهما . وتوجد مقارنة لطيفة بين أمون وأتون ، وهما اسم أمون المفضي إلى لا يرى والقوة المتشابهة لاسكل شي ، بالرغم من أن اسمه المعروف كان مثل شكل إسان ، ويبلغ عرابه في آخر العهد وفي أكثر أشكاله طرفة ، وكان لا يمكن الوصول إليه إلا بعد طقوس عديدة . أم. أتون لقد كان قرص الشمس دة الواسع القبان الذي لا يمكن حصره في أي إسان . وكانت معابده مفتوحة للجميع ، حتى يتمكن عباده في صراحة ووضوح . وكان صلة له بالمشاكل الإنسانية انحصرت في أن الأشعة التي تنفذ من قرص الشمس تنهي بأيدي تقدم العلامة المبروزة لعلبة العبياء إلى الملك وعائلته . ولا تذكر حصوص العبادة اسم أي إله آخر سوى الآلهة أمون ، والآلوتية أول ديانة موحيدة في العالم . (الحظي)

(٢) تحتمس الثالث كان صغيراً عندما وثى الحكم مد أبيه وأخيه السنوات الأولى والمفسرين من حكمه مفسوراً لأن محنته وروحة أبيه حثيخوت كانت امرأة لدية فالتصفت الحكم منه ، ولكنه ظهر فجأة ولا أحد يدري ما إذا كان قد دبر اغتياله ، وتولى الحكم حوالي أول فبراير سنة ١٢٧٨ ق. م . وحده ٢٥ يوماً فقط جمع الجيش وشارك نحو بلاد زاهي (فلسطين — سوريا) =

وأضيفت إلى الأمبراطورية المصرية النوبة في الجنوب ، وفلسطين وسوريا وجزء من بلاد ما بين النهرين في الشمال . واستكست هذه الإمبريالية في الديانة بحيث صارت ديانة عالمية توحيدية . وما دام نفوذ فرعون قد تجاور الآن مصر إلى النوبة وسوريا فإن الفكرة الإلهية كان عليها أن تتصل عن تحدها القومي ، وكان على إله المصريين الجديد أن يصح كمرعون - السيد القريب غير المحدود - سيد العالم للعروف لدى المصريين . وعلاوة على ذلك ، فإنه كان من الطبيعي ، أنه كما أن الحدود قد انست ، فإن مصر كان يجب أن تتقبل النفوذ الأجبي ، وكانت بعض روجات الملك أميرات أسيرات ، وحق من المحتمل أن يكون التشجيع على التوحيدية قد أتى من سوريا .

ولم ينكر أمنحوتب تبعيته لديانة الشمس في أون . وهو يمتدح في التشيدين الموجهين لأتون ، والذين حفظا حق عهدنا من خلال هوش القبور المصرية ، والذين من المحتمل أن يكونا من نظمه يمتدح الشمس بوصفها الإله الخالق والحافظ لكل الأحياء داخل وخارج مصر ، ويمتدحها بحمية كالتي تتكرر فقط بعد ذلك قرون

= وهرم ملك بادش وأمير يمدو وأمير الليان، ونبي أسطولا، وعر الفرات ، وطارد أمير الليان ، وقرن الليان على بلاد آشور .

كثيرة في الزامير التي تشد امتداداً للاله اليهودي يهوا^(١) . ولكنه لم يتوقف عند هذا السبق للدخس للمعرفة العلمية عن أرضه الشمس ، ولا شك أنه ذهب أبعد من ذلك : وأنه عبد الشمس ليس بوصفها موضوعاً مادياً ، ولكن كرمز لكائن إلهي تتكشف طاقته في

(١) كتب كثير من المؤرخين مؤكدين الصلة بين الآتونة وبين الديانة اليهودية نتيجة لمتاسر كثيرة منها مثلاً التشابه الغريب في التفكير والتكوين بين نبيد أختاتون للاله آمون وبين الزمور ١٠٤ من مزامير داود ، وقد أثار برينليد ثلاث فقرات لموضوع هذا التشابه الكبير ، وقال بنى الباحثين أن هذه التفسيرات للتشابه تدل على الاشتقاق وأن واضح الزامير العبري كان يعرف نبيد الشمس :

| | |
|--------------------------|---|
| للزمور ١٠٤ | نبيد آمون |
| تجعله ظلة ليحبر ليلاً | وعندما تغرب في الأفق الغربي |
| | وتظلم الأرض كالوث .. |
| فيه يدب كل حيوان القومر | ويخرج كل أسد من مريته |
| الأشبال تزجر ليصطط | وكل ما يزحف ولوح . |
| تشرق الشمس فتضئ ول ماؤها | وعندما يطلع النهار ، وتشرق في الأفق ... |
| تربس | تسوي الظلام جيداً |
| الإنسان يخرج ليل عمله ، | يستيقظ الناس ويقفون على أقدامهم |
| وليل شغل في الماء | جميع من في السكون يعملون عملهم |
| ما أعظم أعمالك يا رب ، | ما أكثر أعمالك ! |
| كلها بمكة صنعت ، | لأنها تخفى عن نظر الإنسان |
| ملاة الأرض من غناك | أيها الإله الأوحد ، الذي لا شيل له |
| | لقد خلقت الأرض حسب مقبضك |

(المضارة المصرية ترجمة الدكتور أحمد طوى)

(المعنى)

شعاعاتها^(١) . ولكننا لا نوفي لذلك حقاً إذا رأينا فيه أنه مجرد للؤمن بداية أتون وحاميتها ، وهي الديانة التي كانت موحودة قبله . إن أمنحوتب كان أكثر من ذلك ، فهو قد أضاف شيئاً جديداً حول مذهب الإله العالى إلى ديانة توحيدية : أى أنه أضاف صفة استعبادية ، استبعدت كل الآلهة الأخرى . وتناً كدهذه الصفة فى كلمات كثيرة فى أحد أناشيدته : « أنت أيها الإله الواحد ، لا إله إلا أنت^(٢) » . ولا يجب أن نسي أنه لامتناع للذهب الجديد لا يمكن معرفة محتواه الإيماني قطعاً ، لجانبه السلبي على نفس الأهمية تقريباً : أهمية أن نعرف ما ينبذه .

ومن الخطأ كذلك الافتراض أن الديانة الجديدة ظهرت إلى الحياة مستقلة ومعدة تماماً ، كما ظهرت أثينا من جبهة الإله زيوس .

(١) برينغيد « تاريخ مصر » ص ٤٦٠ ، ولكن ربما لا يكون من الواضح أن الديانة الجديدة للدولة أسسها من حليوبوليس ، لأنها لم تكن مجرد عادة قشعرى ، فكلمة أتون استعملت فى محل الكلمة القديمة « Nuter » ، ونسب الإله ، وواضح أن الإله ليس هو النفس للآلهة . « ومن الواضح أن ما كان لذلك يؤلفه هو القوة التى جعلت بها النفس فيها محبوسة على الأرض » (جبر الصير ص ٢٧٩) . ويرى إيرمان فى صيغة تعبد الإله رأياً مشابهاً (أ . إيرمان : عن الديانة المصرية A. Erman Die Aegyptische Religion سنة ١٩٠٥) : « هناك . . . كانت يقصد منها الصير لى شكل مجرد من واقعة أن الكوكب نفسه لم يكن على عبادة ، ولكنه الكائن الذى يظهر ذاته فى الكوكب » . (فرويد) .

(٢) برينغيد : تاريخ مصر ، ص ٣٧٤ . (فرويد) .

وبدو أن كل شيء يشير بالأحرى إلى أن الديانة الجديدة قد تقوت خلال حكم أمنمحيوتب لكي تحقق لنفسها وضوحاً ومثانةً وعتوقاً وتسامياً . وقد يكون هذا التطور قد وقع تحت تأثير الممارسة الدينية بين كهنة آمون التي رفعت رأسها ضد إصلاحات الملك . وفي السنة السادسة من حكم أمنمحيوتب نما هذا المداء لدرجة أن الملك غير اسمه ، وصار الآن اسم الإله آمون الحامي جرمًا منه . وبدلاً من أمنمحيوتب أسى نفسه أختاتون^(١) . ولم يحدف الملك من اسمه فقط اسم الإله المكروه ، ولكن من كل النقوش ، وحتى من حيثما وجد في اسم أيه أمنمحيوتب الثالث . وهذا تغيير اسم مباشر غادر أختاتون طيبة التي كانت تحت حكم آمون وبني عاصمة جديدة أسفل النهر ، وأنهاها أختاتون (أفق أنون) . ونسى آثارها الآن باسم تل العبارة^(٢) .

(١) إن أكتب اسم أختاتون كما يكتبه برهليلد Ikhnaton ، (ويكتب أحياناً أختاتون Achnaton) وبني الاسم الجديد لذلك نفس المعنى تقريباً للاسم السابق : « قد رمى الله » . فلن يترك اسم جودفري Godfrey الإنجليزي وجودفريد Ghotthold الألماني . (فرويد) .

(٢) في هذا المكان عثر سنة ١٨٨٧ على المراسلات بين الملوك المصريين وأمتهم وأتباعهم في آسيا ، وهي مراسلات ثبتت أهميتها الكبرى لمرتنا بالتاريخ . (فرويد) .

وكان اصطهاد الملك موجه أساساً إلى آمون ، ولكن ليس ضده وحده ، ففى كل أعماق الأمبراطورية أغلقت المعابد ومنعت الصلوات وصودرت للمتلكات الخاصة بعبادة آمون . والواقع أن حاس الملك قد ذهب إلى أبعد من ذلك ، حتى أنه أمر بالسحق فى النفوس فوق الآثار القديمة حتى يزال اسم الإله كلما جرى استعماله فى صورة الجمع ^(١) . فلا عجب والحال هذا أن تتبر هذه الأوامر رد فعل تمصبياً انتقامياً بين الكهنة للذين أقصوا وبين الشعب الماصب ، وهو رد الفعل الذى استطاع أن ينفس عن نفسه بعد وفاة الملك ، فديانة أتون لم تعبد لها صدى بين الشعب ، وربما كانت قد تمهدت داخل نطاق دائرة صغيرة حول شخص الملك ، ويمحيط الغموض بنهاية حياته ، ونحن نعلم عن خلفاء له عديم قليل وعمرهم قصير من أسرته ، واضطرب بسرعة روج ابنته للمسى توتانخاتون ^(٢) إلى العودة

(١) تاريخ مصر : برينلند ، ص ٣٧٣ . (ثرويد) .

(٢) هو توت — عنخ — أتون الابن الأصغر للملك العظيم أسحوب الثالث وخليف الملكة ترمين والملك أخناتون ، ولكنه أخ غير شقيق ، وعندما بدأ الملك أخناتون يتبع طريقاً صالحاً به كهنة آمون تمردت عليه ترمين وسكتت قسراً بعيداً وظلت على مبادئ الثورة وأخذت معها أسحوب توت — عنخ — آمون . ولم يبق أخناتون وأخوه مسحكارع على تيار الثورة الفاضلة وانحيا من المسرح وتولى الملك توت — عنخ — أتون الشاب الصغير وتزوج من بنت أخيه الثالثة الأميرة عنخس — ان — با — أتون ، وسرعان ما حصح لتيار الرضى وغير اسمه إلى توت عنخ آمون وأسلم زوجته إلى عنخس — ان — با —

إلى طيبة وإحلال اسم الإله آمون محل اسم أنون ، وأعقب ذلك فترة من الفوضى حتى نجح القائد حور عجب سنة ١٣٥٠ قبل الميلاد في استعادة النظام ، وانطلقت الأسرة الثامنة عشرة الجديدة ، وضاعت في نفس الوقت فتوحاتها في النوبة وآسيا . وفي تلك الفترة الحزينة التي أعقبت موت أخناتون عادت ديانات مصر القديمة إلى الظهور ، وكانت ديانة أنون في نهايتها ، ودمرت وسلبت عاصمة أخناتون ، واحترقت ذكراه كإسان حيث شرر .

وتو لاحظنا الآن بعض السمات السلبية لديانة أنون فإن ذلك يخدم غرضاً لنا معيناً ، فني للقام الأول نلاحظ أن ديانة أنون تُستمد منها كل أنواع الأساطير والسحر والشموعة^(١)

== آمون وركو الهلانة عائداً إلى طيبة وانتهت الثورة الأخناتونية بالشل ، ولكن لولا الاتحاد لم تنجح من البلاد ، وقضى الملك الجديد ثمان سنوات في منهي البذخ ، ومقبرة مشهورة في الآثار المصرية بالبذخ السرف ، وسرعان ما حدث انقلاب وتولى قائد الجيش حور عجب الملك فأعلن رسمياً أن أفراد عائلة الهلانة مفسدون ، واعتبره كهنة آمون أول ملك شرعي منذ وفاة الملك أمنمحتب الثالث ، وبذلك ضمت الثورة تماماً واتصرت الرجعية وبحث كل أثر لطيفة أنون وحمرت ذكرى المراسم المصديب أخناتون وسنخكبرج وتوت عنخ آمون وأبي ، وبعد أن تم استمرار الرجعية أعادت سلطان الآلهة آمون — رع واستمر ذلك أربعة قرون . (فرويد)

(١) يقول آرثر ويجيل (حياة وعصر اخناتون Arthur weigall : the life and times of Akhnaton سنة ١٩٢٣ م ١٩٢١) إن أخناتون لم يهرب بوجود جسيم بعد الإسان عنه لئلا أهواله مصطراً إلى اللاجوه إلى حماويه ==

ثم هناك الطريقة التي مُثل بها إله الشمس : ليس كالطريقة التي كانت سائدة في الأزمان البهيمية ، بواسطة هرم صغير وصغر ، ولكن - وهذا شيء يكاد يكون معقولا - بواسطة قرص مستدير تخرج منه شعاعات تنتهي بأبد شريفة . ورغم كل الحب لقفن في فترة العمارنة ، لم يوجد تمثيل شخصي واحد لإله الشمس أنون ، أو أننا نستطيع أن نحول عن قبة ، أنه لن يوجد^(١) .

وأخيراً فهناك صمت تام حول أوزيريس إله الموت وملكة الموتى . ولا تعرف الأناشيد ولا النقوش على التماثيل شيء عما كان ربما أقرب شيء إلى قلب المصري . ولا يمكن التمييز عن معارضة ديانة أنون للديانة الشمسية بأوضح من ذلك^(٢) .



= سحرية لا عدد لها : « إن أختاتون ألفت بكل هذه الصيغ في النار ، وكلس الجن والأرواح الخبيثة والأرواح الطيبة والسيخ واصناف الآلهة وأوزيريس نفسه بكل بلاطة ، وكسهم ملجأهم في الأله حتى تحولوا إلى رماد » . (فرويد) .
(١) ويجمال ، الترجمة السابق من ١٠٣ « لم يسبح أختاتون بسبح أي صورة مخوفة لأنون . وقال الملك إن الإله البعيد لا شكل له ، وطال على هذا الرأي طوال حياته » . (فرويد) .

(٢) لميرمان ، الترجمة السابق من ٩٠ « لم يسبح الزيد عن أوزيريس وملكة الموتى » . ويقول بريستيد في « بحر السحير » (ص ٢٩١) . تمجيد أوزيريس تحملاً ، ولم يعد يذكر في أي سجل لأختاتون أو على أي من قبور العمارنة » . (فرويد) .

إلى لأجاف الآن باستخراج النتيجة الآتية : إذا كان موسى
مصرياً ، وإذا كان قد دخل إلى اليهود ديانته هو نفسه ، إذا قد
كانت تلك الديانة هي ديانة أخناتون ، ديانة أتون .

. فقد قارنت في الفصول المتقدمة الديانة اليهودية بديانة الشعب
المصري ، ونبت إلى أنها مختلفتان عن بعضهما . والآن سنقارن
الديانة اليهودية بديانة أتون ، وبغنى أن نتوقع أن نجد أنها
مختلفتان أصلاً . ونعرف أن هذه المهمة ليست بالمهمة السهلة . وقد
لا صرف الكثير عن ديانة أتون ، والفضل في ذلك يرجع إلى
الروح الانتقامية لكهنة آمون . ولم صرف الديانة الموسوية إلا في
شكلها النهائي كما حددته لها الكهنة اليهود بعد النبي ، أي بعد
موسى بنصر ثمانمائة سنة . فإذا كنا نستعد ، رغم هذه المادة غير
البشرة ، بعض الإشارات التي تتوافق مع افترضنا ، فإن لنا أن
نقيمها حقاً تقييماً عالياً .

وهناك طريق قصير لإثبات ما افترضناه من أن الديانة الموسوية
ليست سوى ديانة أتون ، ولكي أخشى أن يقال لي أن مثل هذا
الطريق متعذر ، فالمقيدة اليهودية ، كما هو معروف جيداً ، تقول :
« Schema Jisroel Adonai Bioheni Adonai Eched » . فإذا لم

يمكن التنبه بين اسم آتون للمصرى (أو أنوم) وبين الكلمة العبرية أدوناي Adonai وبين الاسم الإلهي السوري أدونيس^(١) Adonis هرد صدقة ، ولكنه نتيجة وحدة بناءية في اللفظ والمعنى ، وإنما نستطيع أن نترجم الصيغة اليهودية : « اسمع يا إسرائيل ، إن إلهنا آتون (أدوناي) هو الإله الوحيد » . وإن للأسف غير أهل كلية لأن أجيب على هذا السؤال ، وكان في مقدوري أن أمّر على أقل القليل من الإجابة عليه في الكتب المعنية^(٢) ، ولكن ربما كان من الأوفق لنا ألا نيسر الأمور هكذا . وعلاوة على ذلك سنضطر إلى العودة إلى مشاكل الاسم الإلهي .

ومن السهل أن تنبهن خطأ التشابه ، وكذلك خطأ الاختلاف بين الديانتين ، ولكنها لا تنيرنا كثيراً ، فكلاهما أشكال لتوحيد مدقق ، وسيسيل إلى أن نُرجع إلى هذه البسمة الأساسية ما هو متشابه في كل منهما . ولكن التوحيد اليهودي في بعض قضاياه لا يقل تزمناً

(١) أدونيس : المصود القليلي فن فيلوس الجليل ، حرفة خنبر برى ، ومسخة معقروت زهرة . (الملقى) .

(٢) لغزات قليلة فقط في كتاب ويغال السابق الذكر ص ١٢ ، ١٣ حيث يقول : « ربما كان الإله أنوم الذي وصف بأنه الشمس القلرية ، من نفس أصل أنون الذي كان يقدس عموماً في شمال سوريا ، وربما قلته كانت إحدى المسمات الأجنبية ، وكذلك حاجيتها ، قد حُطبت إلى هليوبوليس وليس إلى حية » . (نرويد)

عن التوحيد للمصرى - مثلاً عندما يمنع كل تصور مرثى للاله . على أن أم الاختلافات الجوهرية - بصرف النظر عن الاختلاف في اسم الإله - هو أن الديانة اليهودية تمسك تماماً عن عبادة الشمس ، التي استمرت الديانة المصرية في مشايعتها . ولقد أحسنا عند مقارنة الديانة اليهودية بالديانة الشعبية للمصرية ، أنه إلى جانب التعارض في البدء ، فإن هناك في الاختلاف بين الديانتين عصباً من التناقض للتصود . ويبدو أن إحساساً ذلك له ما يبرره عندما نستبدل في مقارنة الديانة اليهودية بديانة آتون التي طورها أخساتون ، كما نعرف ، في عهد متصدد للديانة الشائسة . وأحسنا - وعن حق - أن الديانة اليهودية لم تتصلت عن أى شيء بعد القبر ، ومنهج هنا شأنه هو منسوب ينحو إلى التزام أدق أشكال التوحيد . ويحتق هذا الاندهاش إذا عدنا من الديانة اليهودية إلى ديانة آتون وتصورنا أن هذه السمة قد قلت من الديانة الأخيرة ، حيث كانت ضرورة من الضروريات بالقسة لأختانون في محاربة الديانة الشائسة ، التي كان إله الموت أوزيريس يلعب فيها ربما دوراً أكبر من أى إله آخر من آلهة الموائم العليا . وانفاق الديانة اليهودية مع ديانة آتون في هذه النقطة الهامة هو الحجة القوية الأولى المؤيدة لافتراضنا ، وسنرى أنها ليست الحجة الوحيدة .

لم يحط موسى اليهود ديناً جديداً فقط ، إنما من المؤكد كذلك أنه أدخل عادة الختان . ولطه النقطة أهمية حاسمة في مشكلتنا ، ولم يحدث أن ناقشها أحد . والواقع أن التوراة يقص هذه النقطة كثيراً ، فهو من ناحية يرجع عادة الختان إلى أيام زعماء القبائل ، كعلامة للعهد بين الرب وبين إبراهيم ، ومن ناحية أخرى يذكر النص في قرة غامضة بشكل خاص أن الرب عصب من موسى لأنه أهل هذا العرف للقدس ، واقترح أن يدبجه كعقاب . ولكن زوجة موسى ، وهي من أهل مديان ، أخذت زوجها من عصب الرب ، بأن أجرت العملية بسرعة . وعلى أى حال فهذه تحريفات لا ينبغي أن تصل سبيلنا ، وسنكتشف دوافعها حالا . ويتبقى في الواقع أن السؤال للتعليق بأهل الختان له إجابة واحدة : أن مصدره مصر . ويقص علينا هيرودوت^(١) ، أبو التاريخ ، أن عادة الختان كانت تمارس من زمن في مصر ، وتأيد قوله بنفسه المومياوات ، وكذلك بالرسومات على حدران القمار . ولم يتسع شعب آخر من شعوب شرقي البحر الأبيض ، كما يصل إليه علمنا ، هذه العادة . ونستطيع

(١) هيرودوت : مؤرخ إغريقي يطلق عليه اسم « أبو التاريخ » ، ولد في هاليكارناس نحو سنة ٤٨٤ ومات نحو سنة ٤٢٠ ق.م . ، وعرف بأسفاره الكثيرة ، وفيه عليا في كتبه كل الأحداث والأساطير التي من شأنها أن أبرزت العالم القديم الذي كان يحيط به عالم اليونان ، وناقى كان يطلق عليه العالم القديم ، وعيظه مصر وميديا وفارس ، وهو القائل « مصر حبة النيل » . (المخطي) .

أن يقول عن يقين أن الساميين^(١) والبابليين^(٢) والسومريين^(٣) لم يَكُونُوا يَحْتَنُونَ . والتوراة نفسه يقول مثل ذلك فيما يذكره من تواريخ عن سكان كنعان^(٤) ؛ وهو ما يفترضه في قصة اللامعة التي وقعت بين ابنة يعقوب وأمير سيشيم^(٥) . واحتال أن اليهود في مصر

(١) الساميون : نسبة إلى سام بن نوح ، ويطبق على القبائل البدوية التي كانت تسكن فلسطين وشبه الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين والأردن . واشتهر التمييز في التاريخ المعاصر بين أبناء النماء السامية ، على أن تميز النماء السامية كان يقصد به أصلاً النماء لليهود . — (الحلقى) .

(٢) البابليون : نسبة إلى بابل، وهي مدينة تمتد إلى الدنيا القديمة، وما تزال آثارها موجودة في العراق على نهر الفرات على بعد ١٦٠ كيلو مترا من العاصمة بغداد ، بناها حوراي النظيم مؤسس لـإمبراطورية بابل . ومن ملوك بابل نبوخذ نصر الثاني الذي استولى على أورشليم سنة ٥٨٧ ق. م. وأسر اليهود وساقهم أسامة في أعداد عظيمة إلى بابل .

(٣) السومريون: سكان سومر، إحدى الإمبراطوريات القديمة، في الشرق الأوسط، وكانت لها حضارة ولغة ، ولكنها درست باستيلاء بابل عليها سنة ٢١٠٥ ق. م .

(٤) الكنعانيون . سكان فلسطين الأصليين ، وهم قبائل سامية ظهرت أولاً على ساحل الخليج العربي ، ثم انتقلت إلى سوريا وفلسطين ، وهم أعدى أعداء اليهود .

(٥) عندما استخدم رواية التوراة يمثل هذه الطريقة الاستبدادية والتصنية وأليس عليها لأثبت ما أقول كما تراعى في ذلك، وأرفض شهادتها دون أية شبهة عندما تتعارض مع حقائقى ، أعرف جيداً أن أعرض نفسي بهذا إلى النقد السيئ مما يطلق بـتجاهي ، ولأن أسقف قوة براهين . ولكن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن أن أعامل بها مادة تدألف الوثوق بها — كما أعرف جيداً — قبل هذه الاتهامات للفسوة . وأأمل أن يأتي التعبير فيما سدد عندما نكون قد كشفنا عن تلك الدوافع السرية وليس إلى البنية في أية قضية من سبيل ، وعلاوة على ذلك ، قد تقول أن كل المؤلفين الآخرين قد فعلوا مثلاً . (فرويد) .

قد اختاروا استخدام الختان في أى أمر آخر سوى فيما يتعلق بالديانة
التي أعطاهم إياها موسى ، أمر يمكن رفضه كشيء لا يزداد عنه .
والآن ليسكن في بالنا أن الختان كان يمارسه الشعب في مصر بوصفه
عادة عامة ، ولتوافق اللحظة على الافتراض المتباد الذى يقول بأن
موسى كان يهوديا يريد أن يمرر بنى حمه من اعتماد سيد أعلى
مصرى ، وأن يسير بهم إلى خارج البلد ، ليطوروا لأنفسهم وجونا
مستقلا تملأه الثقة بأنفسهم — وهو مطلب حقه فعلا . فأى مغزى
يمكن أن يكون في أن يمرض عليهم في نفس الوقت ممارسة عادة
قبيحة حولتهم افتراضا إلى مصريين ، وكان من شأنها أن تنقذ كرم
لمصر بقلة فيهم ، بينما ما كان من الممكن أن يكون هدعه إلا شيئا
آخر : وهو أن يحس شعبه بأنه قد صار غريبا على البلد الذى عرف
يهودية ، وأن يتغلب على حنينه إلى « قدور لحم مصر » ؟
لا مغزى هناك ، ومن ثم فالواقعة التي بدأت منها ، والاقتراح الذى
أضفته عليها ، كلاهما متعارض مع الآخر شدة ، حتى أنى لأجرؤ
على أن أخلص إلى النتيجة الآتية : إنا كان موسى قد أعطى اليهود ،
ليس فقط ديناً جديداً ، ولكنه أعطاهم كذلك شرعة الختان ، فموسى
ليس يهودياً ، ولكنه مصرى ، وإذن تكون الديانة اللوسوية احتمالا
ديانة مصرية : هي ديانة آتون — بسبب ممارستها للديانة الشائمة —
والتي تتفق معها الديانة اليهودية في بعض نقاطها البارزة .

وكالا حظت سابقا ، يحاق اقتراض أن موسى لم يكن يهوديا بل مصريا لتفزا جديدا . إن ما فعله - يمكن فهمه بسهولة إذا كان يهوديا - يصبح غير مفهوم من مصري - لكن إذا وصفتنا موسى في عهد أحناتون وضممناه إلى هذا الفرعون ، لحل التفرز ، وليرز دافع محتمل يجيب على كل أسئلتنا . فلنفترض أن موسى كان بيلا مرموقا ، وربما كان حقا من أعضاء البيت لئالك كما تقول الأسطورة ، ولابد أنه كان على وعى بإمكانياته العظيمة ، وكان طموحا وجم النشاط ، وربما رأى نفسه في مستقبل مظلم كزعيم لشعب وحاكم من حكام الامبراطورية ، وأنه كان من المؤمنين للتبعين للديانة الجديدة ، بحكم صلته الوثيقة بفرعون ، وأنه كان يفهم فهمها كاملا مبادئها الأساسية وجعلها مبادئه . وبموت لئالك وما أعقب ذلك من رد فعل ، رأى كل آماله ومشاربه تدمر . فإذا لم يكن في وسعه أن يتنكر لمعتقداته المريزة عليه الأثيرة عنده ، فإن مصر إذن لن يكون لديها ما يمكن أن تمنحه إياه أكثر من ذلك . لقد فقد بلده الأم . وفي ساعة اليأس هذه عثر على حل غير عادي . إن أحناتون الحالم جعل نفسه غريبا عن شعبه ، وترك عالم إمبراطوريته يتهاوى . ووضعت طبيعة موسى الإيجابية حطة لتأسيس إمبراطورية جديدة ، والعثور على شعب جديد يمكن أن يعطيه الديانة التي احقرتها مصر . وكا نرى

فهي محاولة بطولية أن يتنازل ضد قهره ، وأن يثر في أنجاسين على ما يعرضه عن الخسائر التي مني بها من خلال كارثة إختناون . وربما كان في ذلك الوقت حاكماً لإقليم الحدود ذاك (السي جوسينا Goasen) ^(١) الذي — ربما في « عهد المكسوس » ^(٢) استقرت به بمصر القبايل السامية . وهؤلاء اختارهم ليكونوا شعبة الجديد . وكان ذلك قراراً تاريخياً ^(٣) !

(١) في لغة مصر القديمة « جوشن » وفي التوراة « جيسان » . (الخطي) .
(٢) المكسوس ، أو اللوك الرعاة مشتق من كلمتي ميكا وكاسي ومعناها الحاكم الأجنبي ، والكلمة مصرية قديمة ، والاسم ورد في المردية المروعة باسم بردية تورين ، ولم يبدو أسبويون استعبروا منطقة الدفريقية من مصر وهدنوا العابد والمدن واستعدوا الأهال وحكموا من منف وكوبوا الأسرة الخامسة عشرة ، وملكوها سنة . ويدهي اللؤلؤح اليهودي القناع يوسفوس أن المكسوس هم السراييون . ولكن تلوح الملكة حنشيسوت تقول طبع ذلك ، ونحسب أن مصر حكمها في يوم من الأيام أماب من آسيا لم يكونوا يبدون رع ، ولكن كانوا يبدون الإله ست وعاصمتهم ألهيس ، ولكن « كاموس » المصري ناز عليهم وحرر مصر منهم وطاردهم إلى حتى فلسطين ، ومن بعدها لم تلم لهم «أمة» بعد أن استعبروا يحكمون مصر ١٠٨ سنة . (الخطي) .

(٣) إذا كان موسى موثقاً من المواطنين المصريين الكبير فيوسما أن قهره أنه مناسب لدور الزعيم الذي له مع اليهود ، وإذا كان كاهناً فإن فكرة إعطاء شعبه ديناً جديداً لابد كانت فكرة قريبة من قلبه ، ولولا الخطي كان موسى سيستمر في مهنته السابقة ، ولكن أميراً من أصل ملكي يمكن أن يكون الاثنين مما بسهولة : الحاكم والكاهن . وفي تقرير فلافيوس يوسفوس (الآثار اليهودية) الذي يقبل أسطورة تعريجه للقاء ، ولكن يبدو أنه يعرف روايات أخرى خلاف رواية التوراة ، يظهر موسى كقائد مصري يقوم حلة متصورة في أثيوبيا . (فرويد) .

وأقام علاقات معهم ووضع نفسه على رأسهم وقاد الخروج
 « بقوة القديس » ، ويمكن افتراض أن هذا الخروج قد تم بطريقة مخالفة
 تماماً لرواية التوراة في سلام ودون أن يكون هناك من تبعه فيه .
 وجعلت سلطة موسى الخروج ممكناً ، ولم تكن هناك قوة مركزية
 يمكن أن تمنحه .

وطبقاً لنظريتنا فإن الخروج من مصر قد تم بين سنتي ١٣٥٨
 و ١٣٥٠ ق.م ، أي بعد موت أخناتون ، وقبل استعادة حارعب^(١)
 لسلطة الدولة . ولا يمكن أن يكون هدف الترحال إلا أرض

(١) ومعنى ذلك تاريخاً مبكراً بحدود قرن مما يفرقه معظم المؤرخين ، الذين
 يفترضون أن ذلك حدث في الأسرة الخامسة عشرة في عهد ماريوتاج ، أو ربما أقل
 من ذلك بقليل ، لأنه يبدو أن السجلات الرسمية تشتت على فترة حكم حارعب
 التي تطلعت استلاء ملكين للعرش . (فريد) .

حارعب : أو حورعب ، قائد جيش مصر في الفترة التي أعقبت الثورة على الملك
 أخناتون ، وقد أعاد الأسرى إلى ديارهم في البلاد بقوة السلاح . وبه تم تأكيد قوة الرجعية
 وانصارها على العديد الذي أتى به أخناتون ، وقد أعلن في بداية حكمه أن أعضاء
 أسرة المهرثة ملحدون ، واعتبر أول ملك شرعي بعد موت أمنموب الثالث ،
 وهو الملك الذي عا كل أثر لطيفة آتون ، وحرم ذكرى القرائة للصدى .
 (الخليل) .

مريوتاج : هو الابن الثالث عشر لرمسيس الثاني ، وتوفي شهراً مصر أيامه
 بانتصاراته ، ولأول مرة يأتي ذكر كلمة إسرائيل في نص مصري في القرون التي
 اكتشف وأطلق عليه اسمه والذي يشهد بتفريق جيوش الملك لإسرائيل .
 (الخليل) .

كنعان ، فعد امهيار سيادة مصر اجتاحت البلد جعافل الأراميين ،
يُحْضَمون ويُسْجَون ، وهكذا أَوْضَعُوا مِنْ أَيْنَ يُمْكِنُ لَشَعْبِ أَوْتِي
الْقُدْرَةِ أَنْ يَسْتَوِي عَلَى أَرْضٍ جَدِيدَةٍ . وَنَعْرِفُ هَؤُلَاءِ الْحَارِيِّينَ مِنْ
الرِّسَالَةِ الَّتِي وَجَدْتَ سَنَةَ ١٨٨٧ فِي أَرْشِيفِ أَطْلَالِ مَدِينَةِ الْعِمَارَةِ ؛
وَيُطْلَقُ عَلَيْهِمْ فِيهَا اسْمُ عَابِرِي HEBREI ، وَاسْتَقْبَلَ الْاسْمُ - وَلَا أَحَدٌ
يَعْرِفُ كَيْفَ - إِلَى الْفِرَاقَةِ الْيَهُودِيَّةِ ، لِلْمَجْرَانِيِّينَ (Hebrews)
الَّذِينَ وَفَدُوا فِيهَا بَعْدَ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَسْكُونِ أَنْ يَشَارَ إِلَيْهِمْ فِي
رِسَالَةِ الْعِمَارَةِ .

وَكُنْتَ الْقَبَائِلَ ، الَّتِي كَانَتْ أَقْرَبَ الْقَبَائِلَ تَهْرَبًا إِلَى الْيَهُودِ
النَّازِحِينَ مِنْ مِصْرَ وَقَتَهَا ، نَعِيشُ كَذَلِكَ حَنَوَى فِلَسْطِينَ -
فِي أَرْضِ كَنْعَانَ .

وَالْمَنَاعِ الَّذِي تَصَوَّرْنَاهُ كَسْبَ الْخُرُوجِ هَوَمًا يَنْسَجِبُ كَذَلِكَ عَلَى
الْأَخْذِ بِالْخَلْقَانِ . وَنَعْرِفُ بِأَيَّةِ طَرِيقَةٍ تَنْفَعُ الْكَائِنَاتِ الْإِنْسَانِيَّةَ - كُلَّ
مِنَ الشُّعُوبِ وَالْأَفْرَادِ - نَجَاهَ هَذِهِ الْعَادَةِ الْقَدِيمَةِ ، الَّتِي لَمْ تَعُدْ مَفْهُومًا
تَهْرَبًا . وَمَنْ لَا يَمَارِسُونَهَا يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا كَعَادَةٍ غَرِيبَةٍ حَقًّا وَيَحْذَرُونَهَا
مَضْفَرَةً نَوْعًا ؛ وَلَكِنْ أَوَّلَئِكَ الَّذِينَ احْتَارُوا الْخَلْقَانِ يَضْرِبُونَ بِهَ
لِأَنَّهُمْ يَحْسَبُونَ بِأَنفُسِهِمْ أَسْمَى مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ مُكْرَفُوا ، وَيَنْظُرُونَ
بِاحْتِقَارٍ إِلَى الْآخَرِينَ ، الَّذِينَ يَبْلُغُونَ لَمْ غَيْرِ مُطَهَّرِينَ . وَحَقُّ الْيَو

يسبب اللطم السيحى وبإيديه : « كلب لم يختن »^(١) . والصدق أن موسى ، وكان هو ضمه محتونا بوصفه مصرياً ، كان له نفس الرأى . وكان على اليهود الذين رقتهم غادر موسى بلفه ، أن يكونوا بديلاً أحسن من المصريين الذين خلفهم ورائه . وما كان يجب أن يكونوا أدنى منهم في أى ظرف من الظروف . وكان يتعى أن يحمل منهم « أمة مقدسة » — فهكذا قيل تحديداً في نص التوراة — وكلاماً لتقديهم بالذرة فقد أخذهم بالعادة التي جعلتهم على الأقل مساوين للمصريين . وأكثر من ذلك أنه كان يجب لهم لو أن مثل هذه العادة عزلتهم ومستهم من الاختلاط بالشعوب الأجنبية الأخرى التي سيلتفون بها خلال ترحالهم ، مثلاً ابتعد المصريون عن كل الأجانب^(٢) .

(١) هنا ما يقوله فرويد ، ولكننا في بلاد إسلامية ، ولم يحدث أن قلنا ذلك لأحد من المسيحيين ، وإخواننا المسيحيون أشبههم شيوعاً على ذلك ، ولعل القارئ يلاحظ أن كثيراً مما يكتبه فرويد من مثل هذه المقصودات التمسك لا يستند لها من واقع . ولست أدري من أين يأتي بهذا الكلام الغريب ، فطوال عمرى ، وكسالم لم أسمع شئ ولا أحداً من شئ ولا من الشعوب العربية ، على قدر ما سافرت ، يقول مثل هذا الكلام . (المحقق) .

(٢) يذكر هيرودوت الذى زار مصر نحو سنة ٤٥٠ ق.م فى وصفه لأسعاره سنة للمصريين تظهر تشابهاً منهجاً مع الملاحع المعروفة عن الشعب اليهودى الأكثر حداثة . « إنهم فى كل النواحي أكثر تدنياً من غيرهم من الشعوب . وينسبون كذلك عنهم بكثير من عاداتهم ، مثل الختان ، الذى أخذوا به قبل غيرهم لأسباب —

ومع ذلك فقد سارت الرواية اليهودية فيما بعد كما لو كانت قد ضاقتها نتيجة الأفكار التي انتهينا إلى الكشف عنها توا ، ظلوقة على أن الختان عادة مصرية أدخلها موسى بصي تقريباً

«تصلق بالثظافة ؛ ثم ياخترزقم من الخنازير، ولاشك أن ذلك راجع إلى اعتقادهم أن ست قد أساب حورس عندما كان متغيباً في شكل خنزير أسود ؛ وأخيراً وبصير أكثر ظنهم قبلر ، التي لا يأكلونه أبداً أو يضحون به ، لأنهم بذلك يبصرون إيزيس ذات القشرون . ومن ثم فإن المصري سواء كان رجلاً أو امرأة ، لا يجرؤ على تقبيل اليونان ، أو على استعمال مكبته أو سيفه أو وعائه لطبخ ، أو على تناول لحم ثور عطيف لو كان قد استعمل في قطع هذا اللحم مكبناً بملكك يونان . . . وفي صيق مترفع ظفروا إلى الشعوب الأخرى التي كانت غير نظيفة ، والتي لم تكن قريبة منهم من الآلهة » (من ليرمان : « من الديانة المصرية من ١٨٦١ (Hermet : Die Aegyptische Religion) ولا ننسى هنا طعماً ما يشابه ذلك في حياة الهند . وتشاغل استطراداً في الكلام ، ما الذي أصلى الشاعر اليهودي هاينر Helne في القرن التاسع عشر فكرة التكموى من ديانته بوصفها « الزماء القادم من وادي النيل . والتلفعات المربعة للقماء المصريين » ؟ (غرويد) .

حورس : إله مصري ، ابن الإله أوزيريس من الآلهة إيزيس ، وكان ست أحو أوزيريس قد قتل ، ومن ثم خرج حورس ليقتل عرش أبيه ويملك منه من ست ، وانكسرت إيزيس لابنها ، وظل الصراع حاداً بين حورس الطفل الإلهي وبين ست ، وتمحور كل منهما إلى فرس هوى ، وتسلطت ليريس وانكسرت الآلهة لحورس وأصلوه وظيفة أبيه ملكاً في طيبة ، أما ست فاحص إلى نبح الآلهة واحتياؤه . ولما الصراع بين ست وحورس مسعونة على بردية تسمى بردية شدر يبنى . (الخلق) .

هاينر : هري هاينر ، شاعر ألماني يهودي ، ولد في دسلدورف ومات في هامبورغ (١٨١٧ — ١٨٦٦) ، عرف بشعره الساخر القاتم ، وله قصائد وله نوحات حول سفراته كتبها بالفرنسية والألمانية . (الخلق) .

الاعتراف بأن الديانة التي قلها إليهم موسى كانت مصرية كذلك .
ولكن لليهود حبصاً قروية بدرحسون بها هذه الراقصة ، ولعلك فإن
الحقيقة حولي اللتان كان لابد من شفضا كذلك .

— ٤ —

وعند هذه النقطة أتوقع أن أسع عتاباً بأنى قد بنيت نظريتي
- التي تضع موسى للمصرى في عهد أخناتون ، واستمدت من الوضع
السياسى للبلد الذي كان فيه في ذلك الوقت قراره بحماية الشعب
اليهودى ، وسلمت بأن ديانة أنون هى الديانة التي أعطاهما لشعبه ،
أو أنها الديانة التي أحلهم بها ، والتي كانت قد أبطلت من مصر
نفسها توا - وعند هذه النقطة أتوقع أن أسع عتاباً بأنى قد بنيت
هذا الصرح من التخصينات بيقين عظيم ، لا توجد أسس كافية
في المادة نفسها تبرهن عليه . وأعلن أن هذا الكتاب لن يكون له
ما يبرره ، فلقد سبق لى في القسمة أن أكدت عنصر الشك ،
ووضعت علامة استفهام أمام الأقواس ، كما تراءى لى ، ويمكن لذلك
أن أجنب نفسى مشقة تكراره عند كل نقطة داخل الأقواس .

وقد تواصل بعض من ملحوظاتى النقدية المناقشة ، فجوهر بحثنا ،
وهو اعتماد التوحيد اليهودى على حادثة التوحيد في التاريخ المصرى ،
قد خننها وألح إليها عدد من الباحثين . ولست في حاجة إلى

الاستشهاد بأقوالهم هنا ، حيث أنه لم يحدث أن استطاع أحدهم أن
 يقول لنا عن الوسائل التي تبدى بها هذا النظام . وحتى إذا ارتبط
 هذا التفوذ بجدية موسى ، كما ارتنى ، فلا بد لنا أن نزن الاحتمالات
 الأخرى ولا تقتصر على الاحتمال الذى احترامه هنا . ولا يجب أن
 نفترض أن انهزام ديانة أتون قد أنهى تماماً الاتجاه التوحيدي من
 مصر ، فقد تحملت الكارثة مدرسة الكهنة فى أون ، وهى المدرسة
 التى قامت على ذاك الاتجاه ، وربما كانت قد شدت أحياناً بأكلها
 بعد أحتاتون إلى مدار فكرها الدينى . ومن الجائز جداً لذلك ،
 فكرها ، أن يكون موسى قد أتم العمل ، حتى ولو لم يكن قد عاش
 فى زمن أحتاتون ولم يقع تحت نفوذه الشخصى ، حتى ولو كان مجرد
 تابع للمدرسة أون أو مجرد عضو فيها . ويؤحر هذا التنصين تاريخ
 الخروج ويغره إلى الزمن للفترض عادة ، وهو القرن الثالث عشر
 قبل الميلاد ، وإلا فليس هناك ما يركيه ، وعلينا أن نبد القراسة التى
 اكتسناها ونحن سفذ داخل أهداف موسى ، وأن نأق بعيداً ففكرة
 أن الخروج قد سهلته الفوضى التى صاحبت مصر ، قد حكمت اللد
 ملوك الأسرة التاسعة عشرة الذين حاءوا بعد أحتاتون ، وحكموها
 بيد قوية . ولا تتوافق كل الظروف ، الداخلية والطارحية ، التى
 يسرت الخروج معها فى الفقرة التى أعقت مباشرة موت الملك الصال .

واليهود أدب ديني غني بإضافي علاوة على التوراة ، توجد به الأساطير والخرافات التي نسجت عبر القرون حول صورة زعيمهم الأول الضعفة ومؤسس ديارتهم ، والتي توحى ذاته وحملتها غامضة في نفس الوقت . وقد توجد مبشرة في تلك المادة بعض النع للثورة شرعاً ، والتي لم تجد مكاناً في أسفار موسى الخمسة . ونصف إحدى هذه الأساطير بطريقة حدابة كيف أبان طوبح الانسان موسى من نفسه في طفولته ، عندما أحذه فرعون بين ذراعيه ورعه مداعماً إلى أهل ، خطف الطفل ابن الثلاث سنوات التاج من فوق رأس فرعون ، ووضع على رأسه هو . وانزعج الملك لذلك التذير، وحرص على استشارة أهل الحكمة عنده^(١) . . . ثم يقال لنا مرة أخرى من بطولات منتصرة خاضها بوجهه صابطاً مصرياً في الحبشة ، وأنه ، في نفس الارتباط ، هرب من البلد ، لأنه كانت له أسبابه للخوف من حسد نفر من رجال البلاط ، أو من فرعون نفسه . وتضفي قصة التوراة نفسها سمات معينة على موسى ، يميل الواحد إلى تصديقها . وهي تصفه كلإنسان غضوب حاد الطبع — مثلاً في حماة يقتل ملاحظ المال القط الذي أساء معاملته عامل يهودي ، أو مثلاً ، في استيائه من مروق شعبه ، يحطم الألواح التي أعطاهها له الله فوق جبل سيناء . والواقع أن الله عاقبه أخيراً لعمل ارتكبه عن غير

(١) توجد نفس الحكاية مع تغيير طفيف لدى يوسيفوس . (فرويد) .

صبر -- ولم يُقل لنا ماذا كان . وطالما أن سمة كنتك ليست من السمات للمجدة ، فقد تكون ضللاً حقيقية تاريخية . ولستأ نرفض بالمثل أن كثيراً من سمات اليهود التي أدرجت في تصورهم للبكر للإله ، عندما حملوه غيورا ومتجهاً ولا يسهل لإرضاءه ، قد استمدوها أصلاً من ذكراهم لموسى ، لأنه في الحقيقة لم يكن هو الإله غير المرن الذي قادم خارج مصر ، بل كان الانسان موسى .

ونستحق سمة أخرى تنسب إليه اهتماماً خاصاً ، فيقال أن موسى كان « بطلاً في الكلام »^(١) -- وهذا يبنى أنه كان مصاباً بمعوق في النطق أو ماسع منه -- ولذلك اضطر أن يستعين بهارون (الذي يسمى أخوه) ليعاونه في مناقشاته للفروضة مع فرعون . وتلك أيضاً قد تكون حقيقة تاريخية ، ويمكن أن نضيفها عن رضى إلى محاولة جعل صورة هذا الإنسان العظيم حية . وربما كان لها مع ذلك معنى آخر وأكبر أهمية . وقد نستحضر القصة واقعة أن موسى تحدث لغة أخرى ، ولم يكن يستطيع أن يتفاهم مع مصريه الجدد السامعين دون مساعدة مترجم -- على الأقل ليس في مذاة اتصالها . ومن ثم يكون التأكيد الجديد لافتراس : أن موسى كان مصرياً

(١) يقول القرآن : « واحمل عظمه من لاني ينفخوا نول » ، سورة طه ، آية ٢٨ . ويقول سفر الخروج : « بل أنا ثقيل الهم واللسان » ، الإصحاح الرابع . (المفسر) .

وسدو الآن كما لو كان قطار القسكر قد بلغ منتهاه ، على الأقل الآن . ومن افتراض أن موسى كان مصرياً ، سواء أثبت ذلك أم لم يثبت ، لا يمكن استخلاص شيء أكثر من ذلك الآن . وليس بوسع أى مؤرخ أن ينظر إلى القصة التى يرويها التوراة عن موسى والخروج ، بأكثر من أنها أسطورة دينية ، قلبت إحدى الروايات البعيدة لصاحبة اتجاهاتها . ولنا نعرف ما الذى كانت عليه الرواية الأصلية . أما ما كانت عليه الاتجاهات التى أصحلت الانحراف فى الرواية ، فهذا ما نحب أن نخمنه ، ولكننا نستطيع فى الغلام بحكم جهلنا للأحداث التاريخية . ولن يضلنا أن النظرية التى نحاول بها إعادة بناء الرواية لا نترك مكاناً للكثير جداً من سمات النص الإنجيلي المتنوع للشاهد — الأوثنة العشرة ، المرور عبر البحر الأحمر ، والتنزىل للقدس على جبل سيناء . ولكننا لا نستطيع أن نبقى بعيداً أكثر من عندما نجسد أنفسنا فى تعارض مع البحوث التاريخية البقطة لمصرنا .

وهؤلاء للؤرخون المحدثون الذين يمثلهم خير تمثيل إدوارد مير^(١) يجمعون نص التوراة فى جملة واحدة حاسمة ، فهم يملكون

(Edouard Meyer) : Die Israeliten und ihre Nachbarstämme (١)
{ 1906 } .

أن القبائل اليهودية التي أصبحت فيما بعد شعب إسرائيل ، قد قبلت في وقت معين ديناً جديداً ، ولكن هذه الحادثة لم تقع في مصر ، وليس كذلك عند قدم حل في شبه جزيرة سيناء ، ولكن عند مكان يدعى « مَرْتَبَة قَادَش Meribut-Qades » ، وهو واحة تتميز بوفرة بناييمها وآبارها ، في البلاد الواقعة جنوب فلسطين ، بين الطرف الشرقي لشبه جزيرة سيناء والطرف الغربي لشبه الجزيرة العربية ، وهناك اعتنقت هذه القبائل عبادة الإله يهوه Jahue ، وربما كان ذلك عن القبيلة العربية « المديانيين » الذين كانوا يعيشون في الحواري ، ومحسب أن القبائل الأخرى المجاورة كانت هي الأخرى من أتباع ذلك الإله .

ومن المؤكد أن يهوه كان إلهاً ركائياً ، وكما نعرف فإن مصر تمحو من البراكين ، ولم يحدث أن كانت حال شبه جزيرة سيناء ركائية ، ولكن البراكين ، من ناحية أخرى ، التي ربما كانت ما تزال حية حتى مرحلة متأخرة ، توحد على طول الطرف الغربي لشبه الجزيرة العربية . ولا بد أن أحدهما الجبال هو حل حوريب سيناء Sinai Horeb الذي يعتقد أنه مقر يهوه^(١) . ورغم كل التعبيرات التي طرأت على نص التوراة ، نستطيع أن نميد - نبعاً

(١) ينبغي نص التوراة فقرات مكية تقول لنا أن يهوه هم من سيناء إلى مَرْتَبَة قَادَش . (فرويد) .

ليبر — بناء الشخصية الأصلية للإله : إنه مارد مهلك متمطش إندماء يسير بالليل ويجنب صوء النهار^(١) .

وكان الوسيط بين الشعب والإله عند هذا الليلاد لداينة جديدة يسمى موسى ، وكان زوج ابنة كاهن من أهل مدين اسمه يثرون ، وكان يرعى قلعامته عندما تلقى الدعوة . وداره يثرون في قادش ليمطيه تمليات .

ويقول إدوارد مير أنه فعلا لم يشك أبداً في وجود نواة من الحقيقة التديمية في قصة الأسر في مصر ، والبقاثة التي وقعت للصرين^(٢) ، ولكنه صراحة لا يعرف المكان الذي جرت فيه تلك الواقعة للمتوف بها ، ولا يعرف ما الذي يفظه بها . وهو لا يريد أن يستمد شيئا من المصريين إلا عادة الختان ، وهو يرى بحثنا المبكر مفكرتين هامتين . الأولى أن يشوع طلب من الشعب أن يقبل الختان « ليدخرج عار مصر »^(٣) ، والثانية بما رده عن هيودوت من أن الفينيقيين (الذين ربما هم اليهود) والسوريين في فلسطين اعترفوا أنفسهم بأنهم تعلموا عادة الختان من المصريين^(٤) .

(١) المرجع السابق ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٩ .

(٣) يضع فرويد التمس السابق بين توسين ، ولكنه يرد في صغر يشوع الإصحاح الخامس الفقرة الثانية هكذا « قد دحرجت عنكم عار مصر » . (الحقن) .

(٤) المرجع السابق ص ١١٩ .

ولكن مير لا يهضم فكرة وجود موسى مصرى ، وهو يقول « إن موسى الذى نعرفه هو جد كهنة قادش ، ومن ثم فهو بالنسبة إلى العقيدة صورة لأسطورة النسب وليس شخصا تاريخيا » . ولذلك لم ينصح واحد من أولئك الذين عاملوه كشخص تاريخي (فيما عدا أولئك الذين يقولون التراث برمته كحقيقة تاريخية) في ملأ هذا الشكل الفارغ بأى مصون ، وفي وصفه كفردية متجسدة ؛ ولم يكن لديهم شئ يقولونه لما عما حقه أو عن رسالته في التاريخ^(١) .

ومن ناحية أخرى يظل مير يردد علينا دون ملل علاقة موسى بقادش ومديان « صورة موسى للرنبطة ارتباطا وثيقا بمديان والأماكن للقدسة في الصحراء... »^(٢) . إن هذه الصورة لموسى ترتبط ارتباطا متلاما بقادش (مائة ومرة) ؛ وتكمل الصورة بملافة المصاهرة بالكاهن المدياني . ومن ناحية أخرى فإن الارتباط بالخروج ، وقصة شبابه في جبلها ، ناموسان كلية ، وبمجرد شيئين لضرورة أن يتلام موسى في قصة متصلة الأجزاء مترابطة^(٣) . وهو يلاحظ أيضا أن كل السمات التي تنصنها قصة شبابه موسى قد حدثت فيما بعد . « إن موسى في مدين لم يمد مصريا ، وحفيدا

(١) المرجع السابق ص ٤٥٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٧٢ .

لفرعون ، ولكنه راع يهوى يهوا له . وفي قصة الأوثى العشرة ،
 يفتى ذكر علاقته السابقة ، رغم أنه كان من الممكن استخدامها
 استخدامها مؤثراً ، وينسى تماماً الأمر الصادر بقتل الطفل الإسرائيلى
 المولود الأول . ولادور لموسى إطلافاً فى الخروج وفى هلاك المصريين ،
 بل لا يرد ذكره . وتقيب كلية فى موسى الأكر تأحرأ سمات
 البطل الذى سبق اقتراضها فى الطفولة ؛ إنه ليس سوى زحل الله ،
 صاحب المعجزات ، الذى روده يهوا بالقوى انطراقة^(١) .

ولا يبعنا أن نهرب من الإحساس بأن موسى قادش ومديان
 هذا ، الذى يمكن للرواية أن تنسب إليه كذلك انتصاب حية فظة
 كإله بارى* ، هو شخص مختلف تماماً عن المصرى الحليل الذى
 استقرأناه ، الذى كشف لشعبه ديناً حرم فيه السحر والشعوذة كل
 التحريم . وربما لم يكن اختلاف مصر* بنا موسى عن موسى اللدبى
 بأقل من اختلاف الإله الصالى أتون عن السارد يهوا على حبله
 الربانى . وإذ سلنا بأى نصيب من الصحة للمعلومة التى يقول بها
 المؤرخون الحديثون ، فليتنا أن سلم كذلك بأن الخيط الذى تمنينا أن
 نسجه من اقتراض أن موسى كان مصرىاً قد اقطع للمرة الثانية ؛
 وأنه اقطع هذه المرة ، كما يبدو ، دون أى أمل فى ربطه من جديد .

(١) المرجع السابق ص ٤٧ .

ولكن مخرجاً من هذه للشككة كذلك يصح على غير التوقع ،
فلقد استمرت اليهود التي كانت ترى في موسى صورة تتجاوز
كل من قادش وتؤكد الشهرة التي أكتسبها إياها الرواية ، وقام بها
حريمان Grezmann وآخرون . وفي سنة ١٩٢٢ اكتشف إدريست
سبلان^(١) اكتشافاً له أهمية حاسمة ، فلقد وجد في سفر النبي هوشع
Hosea (في النصف الثاني من القرن الثامن) آثراً لا يخفى به
لرواية تفيد أن مؤسس ديانتهم موسى قد صادف نهاية عنيمة في
تمود شعب العنيد للناكس ، لأنهم كانوا قد هجروا في ذلك الوقت
الديانة التي أقامها^(٢) . وليس هوشع وحده الذي يقول هذه الرواية ،
فهي تتكرر في كتابات معظم الأنبياء اللاحقين ، وطبقاً لسبيلين
فإنها في الواقع كانت الأساس لكل التوقعات اللاحقة للمسيح .
وحوالي نهاية النبي في مابل دب الأمل بين الشعب اليهودي في
عودة الرجل الذي قتلوه بملفة من مملكة اللوثي ليقود شعبه المدام —

Ernst Sellin : Hose und Seine Bedeutung für die (١)
Israelitisch Religionsgeschichte (1922)

(٢) يشير فرويد إلى النص الواردة في سفر هوشع الأصحاح الثاني عشر الآية ١٢
« وهرب يلقوب إلى صحراء أرام وخدم إسرائيل لأجل امرأة » ولأجل امرأة
دعى . وبنيهم أمدد الرب إسرائيل من مصر وبنيهم مخلص . أظلمه إسرائيل
عزلة فترك دناؤه عليه ويرد سيده هارو عليه » - (للفتي) .

وربما ليس شعبه وحده — إلى عالم السادة الأبدية . ولا توجد في
مجالنا الحاضر الارتباطات المحسوسة بمصير مؤسس ديانة لاحقة .

ولست طبعاً في موقف يسمح لي بتقرير ما إذا كان سيلين قد
فسر تفسيراً صحيحاً التقرات للمية في أسفار الأنبياء . فإذا كان
مصيباً مع ذلك فربما جاز لنا أن نصلق من الناحية التاريخية الرواية
التي أقرها هو ، لأن مثل هذه الأمور لا تخترع بسهولة ، ولا يوجد
دافع واضح يدفع صاحبها إلى اختراعها . وإذا كانت هذه الأمور
قد حدثت فعلاً ، فإن الرغبة في تناسيها رغبة فطرية بسهولة ،
ولا حاجة بنا إلى أن نتقبل كل تفاصيل الرواية ، وبظن سيلين أن
أرض شيتيم Shitim شرق الأردن هي الأرض التي يشار إليها
بوصفها مسرح هذا العمل العنيف . وسنرى رغم ذلك أن احتيار
هذا الموضوع لا يتفق مع نظريتنا .

ولترأى سيلين ، ولنتعرض معه أن موسى للمصرى قد قتله
اليهود ، وأن الديانة التي اشتراها قد هجرت ، فهذا يسمح لنا بأن
نقول خيوطنا أمسد دون أن تتعارض مع النتائج للأمانة للبحث
التاريخي . ولكننا نأسف بأن نستقل عن المؤرخين في النواحي
الأخرى ونشمل الدرب الذي نسير عليه وحدنا بنور متوهج .
ولكن الخروج من مصر بظل هو نقطة بدايتنا ، ولا بد أن عدد

اليهود الذين رحلوا عن البلد مع موسى كان عدداً كبيراً ، وما كان ذلك الرجل الطموح بمشارب الضخمة أن يحفل بحجاجة صغيرة . ومن المحتمل أن المهاجرين كانوا في البلد وقتاً يكتفي تكاثروهم إلى شعب عديد . ولن نضل يقيناً مع ذلك إذا افترضنا مع غالبية الباحثين أن جزءاً قط من أولئك الذين صاروا فيها بعد الشعب اليهودي قد حضروا لمصير المبودية في مصر ، وبمعنى آخر فإن القبيلة العائدة من مصر انضمت فيها بعد في البلد الواقعة بين مصر وكنعان إلى القبائل الأخرى المتأخرة والتي كانت تقيم هناك لبعض الوقت . وهذا الاتحاد ، الذي ولد منه شعب إسرائيل ، عبر عن منه في اعتناق دين جديد ، عام بالنسبة لكل القبائل ، هو دين يهوا . وطبقاً لما يقوله ميير فإن ذلك حدث في قادش تحت غوز للديانيين . وبعد ذلك أحس الشعب بأنه قوى حتى ليتمكن أن يقوم بنزوح كنعان . ولا يتلالم مع محرمي الحوادث هنا أن تقع تلك الكارثة التي حلت بموسى وديانته على الأرض شرق الأردن — وإعنا لا بد أنها وقعت في زمن يسبق الاتحاد بوقت طويل .

ولا شك أن عناصر كثيرة متنوعة للغاية أسهمت في تكوين الشعب اليهودي ، ولكن أعظم الاختلافات بين هذا الشعب قد اعتملت حتماً على ما إذا كان شعب اليهود قد عاش صلا الاغتراب

في مصر وما حرى منه ، أم لا ؟ ومن وجهة النظر هذه قد نقول
 إن الأمة قد صعبها اتحاد عنصرين ، وهو أمر يتوافق مع هذه
 الواقعة : وهي أنه بعد فترة قصيرة من الاتحاد السياسي ، انفلق الاتحاد
 إلى حزنين — مملكة إسرائيل ، ومملكة يهوذا . والتاريخ يحب
 أمثال هذه التعديلات التي يستفيد فيها نفسه ، والتي ينضم فيها من
 جديد يرى الانتماءات السابقة ، وتنصح فيها من جديد الأقسامات
 التي كانت موجودة من قبل . ولعل أبرز مثل على ذلك — وهو
 مثل معروف جداً — هو حركة الإصلاح ، عندما دخلت إلى العصور
 من جديد ، وبعد فترة تزيد على الألف عام ، بالحدود بين جرمانيا
 التي كانت ضمن الدولة الرومانية ، وبين الجزء الذي ظل دائماً مستقلاً .
 ومع الشعب اليهودي لا يسعنا أن نتحقق من أن الوضع السابق
 للأمر قد نصت من جديد بمخالفته . ومعلوماتنا عن تلك العصور
 ليست مؤكدة كلية ، بحيث يسعنا أن نفترض أن للملكة الشمالية قد
 استوعبت اليهود الذين كانوا يقيمون أصلاً فيها ، بينما سكن الملكة
 الجنوبية اليهود المائدون من مصر ؛ ولكن الأقسام اللاحق في
 هذه الحالة كذلك ، لا يمكن فصله عن الاتحاد الذي حدث في الفترة
 الأولى . والمحتمل أن اليهود المصريين كانوا أقل عدداً من اليهود
 الآخرين ، ولكنهم ظلوا على أنهم كانوا على مستوى ثقافي أعلى ،

وكان لم تأثير أم على التطور اللاحق لشعب ، لأنهم استحصروا معهم تراثنا كان ينقص الآخرين .

وربما قد استجلبوا شيئا آخر ، شيئا أكثر انضاحا من مجرد التراث ، فمن بين الألفاظ الكبرى في عصور ما قبل التاريخ اليهودية ، الألفاظ المتعلقة بأسلاف اللاويين ، حيث يقال إن أصلهم إحدى قبائل إسرائيل الإثني عشرة ، قبيلة لاوى . ولكنه لم يحدث أن كانت لإحدى الروايات المرأة لأن نعان في أى مكان سكنت تلك القبيلة أصلا ، أو ماهر الجزء من أرض كنعان الذى غزوه قد خصص لها ، فقد احتلوا الأماكن التى لها الأهمية الأكثر بالنسبة للكهنة ، ومع ذلك كانوا متبرين عن الكهنة ، فاللاوى ليس بالضرورة كهانا ، وليست اللاوية اسما لطبقة . ويقدم اقتراحنا من شخص موسى نفيرا ، فليس من المصدق أن إسماعا عظيما مثل موسى المصرى كان من الممكن أن يقترب من شعب غريب عليه بدون أن تكون له بطاقة . فلا بد أنه قد استجلب منه حاشيته ، أتباعه للقرين ، كتهته ، وخدمه . وهؤلاء كانوا اللاويين الأصليين ، ونسك الرواية بأن موسى كان لاويا ، ويبدو أن ذلك نشوء شفاف لواقع الأمور . فاللاويون كانوا شعب موسى ، وهذا الحل يؤيده ما ذكرته في مقال سابق : أنه في العصور اللاحقة نجد أسماء مصرية قطع بين

للملايين^(١) . ومن الجائز أن نفترض أن عدداً لا بأس به من ذاك الشعب الموسوي قد أملت من للمصير الذي حاق به وبدياته . وتكاثروا في الأجيال التالية واختلطوا بالشعب الذي عاشوا بينه ، ولكمهم ظلوا على وثافتهم لسيدم ، يحملون ذكراه ، ويحفظون تقاليد نماليه . وفي زمن الاتحاد مع أناع يهوه شكلوا أقلية لها نفوذها ، أهل تخافياً من الباقين .

وأقترح — وهو ليس إلا اقتراحاً حتى الآن — أنه بين سقوط موسى وتأسيس ديانة في قادش ود حيلان واحتضيا ، وأنه ربما اصرم كذلك قرن . ولست أتيين طريقى حتى يمكننى أن أسنيقن بما إذا كان للصريون الجلد ، كما أوتر أن أسمى أولئك الذين عادوا من مصر تمييزاً لم عن اليهود الآخرين ، قد التقوا بأقاربهم في النهم بعد أن كان أولئك قد ارنضوا ديانة يهوا أو قبل أن يحدث ذلك . ربما كان القول الأخير هو الأكثر احتمالاً . وهو لا يحدث أى اختلاف بالنسبة للنتيجة النهائية ، فإن ما حدث في قادش هو انقضاء بين الطريين ، والتدور الذي لمبته فيه قبيلة موسى غير قابل للتخطئة .

(١) يتوافق جداً هذا الانعكاس مع ما يقوله يهودا Yehuda عن التأمير الصرى على الكتابات اليهودية المبكرة . أنظر ١٠١ س يهودا : Die Sprache des Pentateuch in ihren Beziehungen Zum Agyptischen (١٩٢٢) . (محروية) .

وهنا يجوز لنا أن نعود إلى عادة الخلقسان التي أمدتنا مراراً
 بمخدمات هامة . ولقد صارت هذه العادة كذلك قانوناً عن قوانين
 ديانة يهوه ، وحيث أنها ترتبط بمصر ارتباطاً وثيقاً ، فإن الأخذ بها
 لا بد أن يعنى إذعاناً لشعب موسى ، وما كان لذلك الشعب
 — أوللاويين القدين يترجمونه — أن يطرحوا جانباً تلك العلامة التي
 تدل على تكريمهم . وكانوا يريدون أن يتقنوا الكثير من ذبائحهم
 القديمة ، وكشس تلك كانوا يرضون بالاعتراف بالمعبود الجديد
 وبكل ما كان يقوله الكهنة للديابريون عنه . ومن المحتمل أنهم
 حاولوا الحصول على المزيد من التنازلات . ولقد ذكرت آفا أن
 الطقوس اليهودية تفرض اقتصاداً مميّناً في استخدام اسم الله ، وبدلاً
 من يهوه كان عليهم أن يقولوا أدوناي Adonai . ومن المفرد أن
 نفسن هذه الوصية في مناقشتنا ، ولكنها مجرد فرض ، وكما هو
 معروف فإن النهى عن التعلق باسم الله هو من المحرمات البدائية ،
 وليس من الواضح تماماً السبب بالضغط الذي يحدد به في الوصايا
 اليهودية ، وإياه لأمر محل نقاش أن يحدث هذا تحت تأثير دافع جديد .
 ولا سبب يدعو إلى افتراض أن هذه الوصية طغت بشكل حاسم ،
 فلقد استخدمت كلمة يهوه في تشكيل أسماء شخصية ذات مدلولات
 دينية — أى استخدمت في تركيبات مثل يشوع وياهو ويوحنا .

ومع ذلك فهناك شيء غريب في هذا الاسم ، فن للعرف أن علم
تفسير التوراة يقر مصدرين للألفار الستة ، ويسميان «ي» و «أ» ،
لأن أحدهما يستخدم اسم يهوا للقدس ، والثاني يستخدم اسم إلوهيم
Elohim ؛ والواقع أنه إلوهيم وليس أوتاني . ولرعا جاز لنا هنا أن
نردد ملحوظة أحد المؤلفين : « إن الأسماء المختلفة دليل واضح على
آلهة مختلفة أصلاً »^(١) .

وقد سلمنا بأن الأخذ بمادة الختان كدليل على أنه في وقت
أسيس الدين الجديد في قادش حدث التقاء ، ونحن نعلم أن الالتقاء
كان بين كل من «ي» و «أ» ، والتمسكان تتفقان ، ولذلك ينبغي
أن نرجعهما إلى مصدر مشترك ، إما أنه مصدر مكتوب أو رواية
شفاهية . وكان الهدف المقصود هو إثبات عظمة وقوة الإله الجديد
يهوه . وحيث أن شعب موسى كان يملق مثل هذه الأهمية الكبيرة
على تحريرة خروج من مصر ، فكان لابد أن ينسب تحريره إلى
يهوه ، وكان لابد من ترويق هذا العمل بساعات تمت العظمة الخيفة
لهذا الإله البركاني ، مثل حمود المدحان الذي تحول إلى حمود من نار
في الليل ، أو العاصفة التي قست الماء حتى أغرقت فيضانات الماء
الراجعة للطاردين .

Hugo Gressmann : Mose und Seine Zeit (Göttingen, (١)

1913) P. 66 . (غرويد)

ومن ثم أقرون الخروج بتأسيس الديانة الجديدة ، وأنكرت
 الفترة الطويلة التي بينهما ، وقيل إن تزييل الوصايا العشرة كذلك
 جرى ليس في قادش ولكن عند قدم الجبل للقدس وسط مظاهر
 انفعارات بركانية . وألحق هذا الوصف مع ذلك ضرراً بليغاً
 بذكرى موسى الإنسان ؛ فقد كان موسى وليس الإله البركاني ،
 هو الذي حرر شعبه من مصر . ومن ثم كان لابد من تعويضه ،
 ولقد عوض بنقله إلى قادش أو إلى جبل حوريب سيناء ، وبوضه
 في مكان الكاهن للدياني . ولسوف ناقش فيما بعد كيف أرضى
 هذا الحل ميلاً عاجلاً آخر لا يقاوم ، فمن طريقه تحقق نوع من
 التوازن ، واستطاع يهوه أن يسطر سلطانه من حبله في ميدان ،
 فيما نقل وحرد ونشاط موسى إلى قادش والبلد الواقع شرق الأردن .
 وكانت هذه هي الطريقة التي صار بها واحداً مع الشخص الذي أظم في
 بعد الديانة اللوسوية ، وهو زوج ابنة يثرون للدياني ، الرجل الذي
 أعاده اسمه موسى . ونحن لا نعرف مع ذلك شيئاً شخصياً عن هذا
 اللوسى الآخر — موسى الأول ، موسى المصري ، بحجبه تماماً ، إلا
 احتمالاً فيما يبدو من دلالات تظهرها التناقضات الموجودة في التوراة
 في وصف موسى ، فهو برصف كثيراً بأنه متسيد حامى الطبع ،
 وعنيف ، ومع ذلك بقاءً ، ، أيضاً أنه كان أكثر الناس حياءً
 « ودعاء » ، ومن المصاح أن الصفات الأخيرة ما كان لها مع

لموسى المصرى الذى حطط لشعبه مثل تلك الشروعات العظيمة والصعبة ، ورعا كانت تحصى الآخر ، المديانى . وأظن أن لى ما يبرر فصل الشخصين عن بعضهما البعض ، وتصور أن موسى المصرى لم يحدث أن كان فى قادش أبدا ، وأنه لم يسمع أبدا باسم يهوه ، بينما لم يضع موسى المديانى قدما فى مصر ، ولم يعرف شيئا عن أنون . ولكى توحد بين الشمين فى شعب واحد ، كان زماما على الرواية أو الأسطورة أن تحضر موسى المصرى إلى مديان ، ورأينا أن أكثر من تفسير واحد قد أعطى لها .

• • •

- ٦ -

إننى على استمداد تام لأن أسع من حديد العتاب بأنى قد صفت بنائى المعاد للتاريخ المبكر لقبيلة إسرائيل يبين غير لائق وليس له ما يبرره . ولئى أحسن أن هذا النقد قاس جدا طالما أنه يحد صدق فى حكمى أنا ، وأعرف أنا نفسى أن هذا البناء المعاد له مواضع الضعيفة ، ولكن له كذلك مواضع القوة . وعلى العموم فإن الحجج المؤيدة لاستمرار هذا العمل فى نفس الاتجاه تنتصر . ويحتوى سجل التوراة الذى أمامنا على شواهد تاريخية قيمة — بل على شواهد لا قدر لها قيمة ، ولكنها شوهت بتأثيرات مفرضة ،

واستكملت تاجات الاحتراف الشاعري . وفي عملنا استطعنا من قبل أن نشأ بواحد من هذه النزعات المشوكة . وسهيدنا هذا لا اكتشاف في طريقنا . إنه لحق لكشف النطاء عن النزعات المشوكة الماثلة . وإذا وجدت أسباباً للإقرار بالتشويشات التي أتت بها ، فلسوف نستطيع أن ندفع إلى الضوء بالمزيد من الجري الحقيقي للأحداث .

ونبدأ بأن نبين ما يقوله البحث النقدي للتوراة عن كيفية كتابة الأسفار الستة^(١) — كتب موسى الخمسة وكتاب يشوع ، لأنها وحدها التي تهتمنا هنا . ويعتبر أقدم المصادر المصدر المسمى « ي » ، أو المصدر الذي يتناول يهوه والذي يظن أحدث الباحثين أنهم يسمون في مؤلفه على الكاهن أبياتار Abiatar^(٢) أحد المعاصرين للملك داود^(٣) . وبعد ذلك بقليل ، ولا يعرف لم كان

(١) أظن ملحة الأجيل Bible في الطبعة الحادية عشرة من Encyclopaedia Britannica (دائرة المعارف البريطانية لسنة ١٩١٠) . (لرويد) .

(٢) سمر صموئيل الثاني الأسطاح الخامس عشر . وقد اختط ابن الملك داود ، وحا أدونيا وسليمان على من خلفه ، وانصر أبياتار لأدونيا على سليمان ، وعندما مات داود وتولى سليمان الملك من أبياتار وطرده من الكهانة . (سمر الملوك الأول الأسطاح الثاني) . (الحقي) .

(٣) أنظر : Auerbach : Wüste und Gelobtes Land (1932) (لرويد) ذلك داود من نصيباً من وسط يهودا ، تولى الملك وهو جد سبي ويعتبر من مؤسسي ما يسمى مملكة يهودا ، وخلفه على الملك سليمان ابنه . (الحقي) .

ذلك القليل ، يأتي المصدر السامي الإيلوهمي والذي ينسب إلى الملكية الشمالية^(١) . وبعد دمار هذه الملكية سنة ٧٢٢ ق . م . صم أحد الكهنة اليهود أجزاء من «ى» إلى أحراء من «أ» ، وأضاف إليها إسماءات من هذه ، وأطلق على مجموعته اسم «ى أ » . وفي القرن السابع أضيف السفر الخامس «الثنية» ، وقيل أنه قد عثر عليه حديثاً بأكله في المبد . وفي الزمن الذي تلا تدمير للعبد ، في سنة ٥٨٦ ق . م ، خلال النفي وبعد العودة ، وضع مايسى بالتشريع الكهنوتي وأعيدت كتابته ، ورأى القرن الخامس عشر مهاجرة محددة لمادة التوراة^(٢) ، ومنذ ذلك الوقت لم يتناول التعبير هذه المادة .

-
- (١) كان استروك سنة ١٧٥٢ أول من يرى المصدر الذي ينسب إلى يهو والمصدر الذي ينسب إلى إيلوهم . (فرويد) .
- الملكية الشمالية . يقال إن الدولة اليهودية كانت ثلاث دول ، ملكية في الشمال عاصمتها ساربا ، وملكة يهوديا في الجنوب ، وملكة الحليل في الوسط ، وليس هناك من الآثار ما يدل على ذلك سوى ما يقوله التوراة اليهودي وهو من تدبير كلمة اليهود وخاصة عزرا الذي يسميه القرآن الكريم «مزمشر» . (الحفي) .
- (٢) من المؤكد تاريخياً أن المودج اليهودي تعدد نهائياً كنتيجة لإصلاحات عمرها وعيها في القرن الخامس قبل الميلاد ، أي بعد النفي وحلال حكم ملوك فارس الذين كانوا أعداء لإسرائيل . وطبقاً لحسابات فإن سنة ٩٠٠ سنة تقريباً . مرت منذ ظهور موسى . ومن طريق هذه الإصلاحات أخذ الشعب التخطيطات التي تهدف إلى تدمير الشعب المختار مأخذ الحد : وطبق الاقصال عن القتال الأخرى بالقوة بمنع الزواج المختلط وأمر البناموخ (الأسفار الحقة) ، وهو التصحيح الأسلي للسمعة ، في سورته المحددة ، وتم إعادة كتابة ما يسمى باسم المنصرح الكهنوتي . ويسمى بقبا مع ذلك أن الإصلاح لم يأخذ بأية إجماعات حديثة ، ولكنه خلق ببساطة الاقتراحات السابقة ودمجها . (فرويد) .

ومن المحتمل أن تاريخ الملك داود وتاريخ عصره كُتبه أحد معاصريه . وهو تاريخ حقيقي ، قبل هيرودت « أو التاريخ » بمئتي سنة . وسنأخذ بفهم هذه للأثر إننا تصورنا وجود تأثير مصري ، في حدود الفرض الذي افترضناه . وكان هناك اقتراح^(١) بأن الإسرائيليين الأوائل ، كُتبه موسى ، كان لهم يد في اختراع أول ألف باء^(٢) اللغة العبرية . وليس موصفاً بالطبع أن نعرف إلى أي مدى تقوم الروايات عن المصور السابقة على المصادر البكرية أو على الرواية الشيعية ، وأن نعرف مدى الفترة التي انقضت بين حادثة ما وبين تثبيتها بالكتابة . ومع ذلك فإن النص كما نجد اليوم بقص علينا ما فيه الكفاية ، من تاريخه هو نفسه . وتركزت قوتان متميزتان ومتعارضتان أثرهما عليه ، فمن ناحية كان على تغييرات معينة أن تعمل عملها فيه ، مزيفة النص طبقاً ليول مستسرة ، فتقطع منه وتزيد عليه حتى استحبال إلى ضده ، ومن ناحية أخرى سيطر

== التوراة هو كتاب اليهود ، ويتألف من ٣٩ سماً ، والمعنى الحرفي لكلمة هو « التسليم » ، ويصحب لكل عزرا كتابة التوراة عن طريق إعادة كتابة التراث . أما اليهود فهو كتاب اليهود الثاني ، وإذا كان التوراة قد وضع بعد موسى بنحو ألف عام . فالعهد وضع بعد التوراة بعدة قرون . (المعنى) .

(١) أنظر كتابه بلوغا السابق ص ١٤٢ .

(٢) إذا كانوا حقيقيين إلى التمس من صنع الصور والتمثيل فقد كان ذلك دالماً لهم إلى التدخل عن الكتابة بصور اللغة الهيروغليفية عندما اتخذوا علامات الكتابة لتجديد من لغة جديدة . (فرود) .

عليه وورع مقامه مشوق إلى أن يستيق كل شيء كما هو ، لا يزال
 ما إذا كانت التفاصيل تقارب مع بعضها أو أنها تلمى بعضها البعض .
 وهكذا يمكن أن توجد في كل مكان تقريباً محذوفات بصورة مدعشة ،
 ومتكررات معوقة ، ومتناقضات ظاهرة ، وإشارات لأشياء لم يُقصد
 توصيلها أبداً . وإن تشويه للنص لا يختلف عن الجرعة . ولا توجد
 صعوبة في تنفيذ العمل ، ولكن في التخلص من الآثار . وكان يوسعا
 أن تمنى أن تعطى كلمة « تشويه » المعنى للزوج الذي لما الحق فيه ،
 مع أنها لا تستخدم الآن في هذا المعنى ، وكان يجب أن تمنى ، ليس
 فقط « تفسير للظهر » ، ولكن كان يجب أن تمنى كذلك « التعريف » ،
 و « الوضع في مكان آخر » . وهذا هو السبب في أنه في كثير جداً
 من التشويشات في النصوص يجوز لنا أن نتمتع على أننا سنعد المادة
 المكتوبة والمنسكرة مخفية في مكان ما ، ولو في شكل مقابر ومنزع
 من ارتباطه الأصلي . وكل ما هنالك أنه ليس من السهل دائماً
 التعرف عليه .

والبول المشوكة التي يريد أن نكتشفها لابد أنها أثرت على
 الروايات قبل أن تُكتب . ولقد اكتشفنا إحداها ، وربما كان
 أقواها جميعاً . وقلت أنه عندما عبد الإله الجديد يهوه في قادش كان
 لابد من حمل شيء لتجسيده . والشئ الواقعي أكثر أن قول أنه كان

جميع إقامته أولاً وأن يوسع له مكان ، وكان يجب أن تباد آثار
 الديانات السابقة . ويبدو أن هذا قد يتباح مع دين القبائل المستقرة ،
 فلم يسمع عنها شيء من بعد ، ولكن المهمة لم تكن سهلة مع القبائل
 العائدة ، فلقد كانت مصيبة على ألا يلب منها الخروج من مصر ،
 وموسى الإنسان وعادة الختان . وإنها حقيقة أنهم كانوا في مصر ،
 ولكنهم غادروها مرة أخرى ، ومن الآن فصاعداً لا بد من رفض
 كل أثر لتنفيذ للمصرى . وتم التخلص من موسى بأن قل إلى
 ميديان وقادش ، وأدمج في شخص واحد بالكاهن القوي أسس ديانة
 يهود . وكان لا بد من استبقاء الختان ، وهي أكثر العلامات دلالة
 على الرضى على الاعتراف على مصر ، ولكن رغم كل الشواهد
 الموجودة ، بذلت كافة الجهود الممكنة لفصل هذه العادة عن مصر .
 ولا يمكن تفسير الفترة الحيرة في سفر الخروج ، المكتوبة في أسلوب
 غير مفهوم تقريباً ، وتقول أن الله كان غامضاً على موسى لاهله
 الختان ، وأن زوجته اللدانية أهضمت حياته بإجراء عملية ختان
 سرية ، إلا بأنها تناقض شتى للحقيقة الكاشفة . وستصادف
 ما قريب بقعة أخرى ابتدعوها سيدف لإطالة تنفة صنعة لها
 شهادتها المزججة .

وليس في الإمكان تماماً وصفها بأنها اتجاه جديد — إنها ليست

سوى استمرار المحاولة نفسها — عندما نشر على محاولة لإسكار أن يهوه كان إلهاً حديثاً ، إلهاً غريباً على اليهود ، إنكاراً تاماً . ولهذا السبب نسجت أساطير الآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب . ونصر ديانة يهوه أن يهوه كان إله هؤلاء الآباء . هنا حق — وعلى يهوه نفسه أن يترف به هو نفسه — لأنهم لم يبدوه تحت هذا الاسم ^(١) .

ولا تضيف ديانة يهوه شيئاً عن الاسم الآخر الذي كان يعبده . وهنا انتهرت الفرصة لتوجيه ضربة حاسمة إلى الأصل المصري لعادة الختان . وقيل إن يهوه قد طلبها إلى إبراهيم من قبل ، وأقامها كعلامة على الميثاق المضروب بينه وبين نسل إبراهيم . وهذه ، على أى حال ، بدعة حقارة بوجه خاص ، لأنه لو شئنا أن نستعمل علامة يميز بها أحد الناس عن سائر الشعب ، لا اخترنا شيئاً لا يمتلكه الآخرون — وهو بالتأكيد شيء ليس عند الملايين من الناس . والإسرائيلي الذي يحد نفسه في مصر ، سيجد أن عليه أن يقر بأن المصريين كلهم إخوته ، لأن الميثاق الذي بينه وبين يهوه ، هو نفسه الميثاق الذي يجمعهم لإحوة في (الرب) يهوه . وليس من الممكن أن يجهل الإسرائيليون الذين حققوا نص التوراة أن المصريين كانوا

(١) إن اليهود على استخدام الاسم الجديد لا تضيح أكثر فيها ، ولو أنها تصبح أكثر تمرشاً قديمة . (غرود) .

يمارسون عادة الغشاش . وقر ذلك الفقرة التي يوردها مبير من سفر
يشوع إقراراً صريحاً ، ومع ذلك كان لابد من إخفاء الحقيقة بأى ثمن .
ولا يمكننا أن نتوقع من الأساطير الدينية أن تولى إنشاءها
مشككا إلى الارتباطات المطلقة ، وإلا أحيات الكراهية إحساس
الشعب عن حق إزاء تصرف إله يتخذ ميثاقا مع آباءه يتضمن
تكميلات متبادلة ، ثم يتجاهل شركاءه الشريرين لقرون إلى أن
يظروا له خطأ أن يكشف عن صفة مرة أخرى لنسبهم . وأكثر من
ذلك إثارة للدهشة المفهوم من إله « يختار » شجاة شعباً من الشعوب ،
ويجعله « شعبه » ويقيم من نفسه إلها لهم . وأعتقد أن هذه هي
الحالة الوحيدة في تاريخ الديانات البشرية . وفي الحالات الأخرى
يتبنى الشعب وإلهه إلى بعضهما بلا انفصال ، فهما واحد منذ البداية .
وإنه حقيقة ، أن سمع أحيانا عن شعب يأخذ في عبادة إله جديد ،
ولكننا لم نسمع عن إله يختار شعباً جديداً . وربما تقترب إلى فهم
هذا الحدث الفريد عندما نذكر في الارتباط بين موسى وبين
الشعب اليهودي . إن موسى نزل إلى اليهود ، حلهم شعب ، إلههم
« شعبه المختار » ^(١) .

(١) كان يهوا إله براكين بلا جدل . ولم يكن هناك سبب يدعو سكان مصر
إلى عبادته . ولست بالقادر أول من يدهى التثنية بين اسم يهوه وبين حدد
اسم إله آخر: جوبيتر وجوفيس (Jove, Jupiter, Jovis) . والاسم المركب =

وكان هناك بالإضافة إلى ذلك هدف آخر لإدخال الآباء في دين يهوذا الجديد . فقد تلاشوا في كنعان ، وارتبط ذكرهم بأماكن

= يوحنا، المذكور -رثيائس الكلمة السريّة يهوذا، وله من يشابه إلى حد ما اسم حوشرى والاسم القوطي للساوى له هاجيال ، صار أحد الأسماء الأكثر شيوعا في المسيحية الأوروبية في أشكال حوهان وحوى وجين وحوان . وعنده بعد الإيطاليون إحتاج الاسم في شكل جيوغانى ثم يسمون أحد ألقاب الأسوع جيوغيدى يدهون مر . أخرى إلى الصور ، لتألف رعا لا يبنى شيئا أو رعا كان يبنى الكنيسة حدا . إن إنكابات جديدة لدى ، ولو أنها غير مؤسدة كثيرا ، تتنوع هنا ، فلكه كانت البلاد حول الحوض الشرق البحر الأبيض ، في تلك القرون المظلمة التي لم يكن البعث التاريخي بدأ في تكتشفها ، كما يبدو سرحا لأختارات بركانية متعددة وعسيفة ، كان لابد أن تترك أثرا عميقا على السكان . ويعرض ليمتاز *Werra* (مؤرخ) أن الدرر الأخير لدى حلق ظهر الملك ميبوس في كوسوس *Knossos* كان كذلك نتيجة زوال ، وكانت الإلهة الأم العظيمة حيث تدعى كريس ، كما كانت بعد احتلال كل مكان من العالم الأيبي . ورعا أسهمت للملاحظة التي تقول أنها لم تكن تسمح أن تسمى بيتها صد هجوم قوة أقوى ، في تغلبها من مكانها لاله ذكر ، وس ثم كان لاله الراكين الحق الأول في شغل مكانها . وما يزال الإله ديموس يحمل اسم د القدي يهر الأرم . ولا يكاد يوجد شك في أنه في تلك الأوقات العاصفة حلت الآلهة المذكورة على الآلهة الموثقة (ورعا كانت في الأصل من أبنائها) . وإن مصر فالاس أثينا *Pallas Athene* المؤثر موع حاض وكان بلاهك الفكل الحق للآلهة الأم ، والتي صمرت خلال الثورة الدينية وصارت ابنة ، انزعجت فيها أمها ، وحيل بها للأبد وبين الأمومة عتصى المصانة التي أصبحت على السريه . (فريد) .

ويقصد فريد من شمه اقتدار هنا أن موسى والإله كليهما لم يكونا من شعب اليهود ، وأن موسى والإله كليهما كان غريبا على اليهود ، بحيث أن موسى قد ترك شعب المصري ويعتبر اليهود دينه الجديد ، فلكه صار اليهود شعب المختار أي القدي اختاره بدلا عن شعب المصري . (الحق) .

ممينة في البلد وربما كانوا هم أنفسهم أسطال كنعانيين أو معبودات
عالية أتبعها الإسرائيليون المهاجرون معبودات لهم في تاريخهم الكبر .
ويأحيائها يقدمون الدليل ، كما ترى ، على أنهم ولدوا وترأوا في
البلد ، وأنهم يرفضون الكراهية التي نلتصق بالمعاري الأجنبية .
وكان ذلك تحولاً دكياً : لم يسلطهم يهوه سوى ما كان لأسلافهم في
يوم من الأيام .

وفي الإسهامات اللاحقة إلى ص للتوراة واجه الليل إلى تحب
ذكر فادش بجاحا ، وصار مسرح تأسيس الديانة الجديدة هو جبل
حوريب ميناء للقدس بشكل قاطع ؛ ولا يتضح الدافع ، وربما لم
يكونوا يريدون أن يذكروا بنفوذ ميثيان ، ولكن كل التشوهات
اللاحقة ، وخاصة التشوهات التي لحقت بالتشريع الكهنوتي ، تخلف
غرضاً آخر ، فلم تعد هناك أية حاجة لتمييز مواسم الأضاح التي
جرت في الزمان العبد نحو اتجاه معين ، فقد حدث ذلك منذ زمن
صيد . ومن ناحية أخرى ، بذلت محاولة لإرجاع بعض قوانين
وشرائع الحاصر إلى عصر مبكر ، ولإقامتها كقاعدة على القانون
المرسوم ، تستمد منها دعواها في القدسية والقوة للزمنة . ومهما
ربت صورة المصور القديمة هذه الطريقة ، فإن الإجراء لا ينقصه
نبرر ميكولوجي معين . لقد عكس حقيقة أنه خلال الكثير من

القرود . اهضت نحو ثمانمائة سنة بين الخروج وبين عملية تثبيت نص التوراة التي قام بها مزرا ونحميا — سارت ديانة يهوه في حط تطوري رجبى توج باندماج (وربما كان ذلك لدرجة التماثل الفعل) مع الديانة الأصلية لموسى .

وهذه هي النتيجة الجوهرية : المحتوى المصري لتاريخ اليهود الدينى .

• • •

— ٧ —

بين كل أحداث التاريخ اليهودى القديم الذى آكل الشعراء والكهنة والمؤرخون على أنفسهم تصويره فيها تلا ذلك من عصور ، كانت هناك حادثة بارزة دعت إلى طمسها ألسن الدوافع الإنسانية وأكثرها وصوحا . هذه الحادثة هي مقتل موسى الزعيم والمحرر العظيم ، والذى أحس بها « سيلين » من كلام الأنبياء . ولا يمكن نسبة حدى سيلين بالعلياى ، فهو محتمل جدا . فموسى الذى تدرب في مدرسة أخناتون استخدم نفس الطرق مثل الملك . لقد كان يعطى الأوامر ويفرض ديانتته على الشعب^(١) ، وربما كانت ديانة موسى

(١) في تلك العصور ما كان من المحتمل تحريفاً أن يكون هناك أى شكل آخر من أشكال التفرد . (غرويد) .

أكثر تعصباً من ديانة سيده ، ولم تكن له حاجة لاستبقاء أى ارتباط بديانة إله الشمس طالما أن مدرسته أون لن تكون لها أهمية لشعبه العريب . وواجه موسى نفس للصير الذى واجه أخانوف ، للصير الذى ينتظر كل العناء المستديرين . ولم يكن يوسع شعب موسى اليهودى كذلك أن يحصل مثل هذه الديانة الروحية ، وأن يجد فيها تقدمه إشباعاً لحاجاتهم ، كما حدث للمصريين أثناء الأسرة الثامنة عشرة . وفى الحالتين حدث نفس الشيء : ثار أولئك الذين أحسوا أنهم ما يزالون تحت الوصاية ، أو الذين جردوا ، وألقوا عنهم عبء ديانة فرضت عليهم . ولكن بينما انتظر المصريون الوديعون حتى رفع عنهم القدر الشخصى المقدس لفرعونهم ، أخذ الساميون الهج قدسهم فى أيديهم وتخلصوا من طاعتهم^(١) .

وليس بوسمنا كذلك أن نصر على القول بأن نص التوراة الذى نحفظ لنا لا يبدنا لنهاية كتبك التى حدثت لموسى . ونصف رواية « التيه فى البرية » — التى ربما جرت فى زمن حكم موسى —

(١) من الواضح حقاً أننا نادراً ما سمعنا خلال آلاف السنين التى استغرقتها التاريخ للمصرى (المصري) من انقلابات عميقة أو انقلابات الترافعة . وللتأريخ الأهورى مثلاً يبنى أن تريد دهشتنا . وربما كان السبب طبعاً أن النسخ^{١٠٠} من النصين قدم الأهرامات الزمنية وحدها لاغير . (عروة يه)

سلسلة من التمردات الخطيرة ضد سلطته ، التي أخذت مع معاقبة
 العُمردين عقاباً وحشياً بأمر يهوه . ومن السهل تخيل أن إحدى
 تلك التمردات انتهت إلى خاتمة أخرى خلاف ما يورده النص
 ويُذكر في النص أيضاً تكرر الشعب للديانة الجديدة ، ولو أنه يذكر
 كجهد حادث . أنه قصد المجلد القهبي ، حيث تحول حرق ألواح
 القانون تحولا أريياً ، ونُسب إلى موسى نفسه ، ورد إلى سخطه
 الفاضب — ويجب أن يفهم هذا الطريق فيها رمزا (لقد حرق
 القانون) .

وجاء وقت عندما أسف الشعب على اغتيال موسى وحاولوا
 نسيانه . وحدث ذلك بالتأكيد في وقت للتجمع بقادش . وعلى
 ذلك فلو قرب الزمن الذي وقع فيه الخروج من زمن تأسيس ديانتهم
 في الواحة ، وممحو موسى الآخر بدلا من موسى الذي أسس
 الديانة ، بالمساعدة في تأسيسها ، حينئذ لا يتحقق قطع الإشباع لزاعم
 شعب موسى ، ولكن يتحقق كذلك بنجاح إخفاء الواقعة للؤلؤة
 لإزاحتها بطريقة عنيفة . والواقع أن من غير المحتمل غالباً أن موسى
 كان من الممكن أن يشارك في الأحداث التي حرت في قادش ،
 حتى ولو لم تختصر حياته .

وهنا ينبغي أن نكشف عن نتائج تلك الأحداث ، فلقد وصفت

الخروج من مصر في الزمن الذي تلا زوال الأسرة الثامنة عشرة (سنة ١٣٥٠ ق. م) . وربما حدث حيثئذ أو بعد ذلك بقليل ، لأن المؤرخين المصريين أدرجوا السنوات التالية باعتبارها سموات عمتها القوضى في حكم حارحوب ، الملك الذي أنهاها وحكم حتى سنة ١٣١٥ ق. م . والمساعدة الثانية لتحديد التاريخ — وهي الوحيدة — يقدمها لوح ميرنبتاح (١٢٢٥ — ١٢١٥ ق. م) الذي يمتد الانتصار على اسيراءل (اسرائيل) وتدمير محاصيلهم . ولسوء الحظ فإن أسر هذا القرح مشكوك فيه ، ويؤخذ كدليل على أن القبائل الإسرائيلية كانت قد استقرت في ذلك الوقت في كنعان^(١) . ويستخلص ميربحق من هذا القرح^(٢) أن ميرنبتاح لا يمكن أن يكون هو فرعون الخروج كما كان يفترض من قبل . وبني أن يكون الخروج قد حدث في فترة أسبق . ويبدو لي سؤال : « من كان فرعون في وقت حدوث الخروج ؟ » سؤالاً غامضاً ، فلم يكن هناك فرعون في ذلك

(١) حية المرجع السابق ص ٣٣٢ . (غرويد) .

(٢) يقول القرح : « والأمراء منطرحون على الأرض يصيحون الرحمة ، ولا يرفع واحد رأسه من أهل الأقواس النخسة ، الخراف تقتضو ، وليلاد جيتا لد أسكنت ، ونهيت كسان وأصابها كل شر ، وسيفت عبقلان ، وهم على حزر ، وسارت ينم (كبد) - يمكن له وجود ، وإسرائيل حريت ، وزالت بذرتها ، وأمبعث ظلمين أرملة مصر ، وجميع الأرائس أسحت عاذة كلها ، وكل من كان غير مستقر أصبح مرتعاً بمرنبتاح » (حون وبلسون : الحسارة المصرية ترجمة لذكثور أحمد طري) . (الحفني) .

الوقت ، لأن الخروج حدث في الفترة التي تخللت حكمين ، ولكن لوح مرتبط لا يلقى بأي صوء على التاريخ المحتمل للامعاج وقبول الديانة الجديدة في قادش . وكل ما نستطيع قوله في يقين هو أنها وقعا في زمن معين بين سنة ١٣٥٠ وسنة ١٢١٥ ق . م . وحلال ذلك القرن فلنعرض أن الخروج كل قريبا جداً من التاريخ الأول ؛ وأن أحداث قادش لم تكن سيئة عن التاريخ الثاني ؛ وضعل أن نستبقى الجزء الأكبر من الفترة للرحلة التي تخللت الحداثين . ويرم وقت طويل نسبيا لتبرد عواطف القبائل العائدة بعد مقتل موسى ، ولكي يقوى نفوذ شعب موسى ، اللاويين ، كما يفرض ذلك سلفا الانتقاء في قادش . وقد يكنى أعضاء جيلين ، أي ستين سنة ، ولكنه بالتقريب فقط . والتاريخ المستخلص من لوح مرتبط يقع في وقت مبكر جداً ، ولما كنا نعرف ذلك من فرصنا ، فإن افتراساً واحداً يقوم على افتراض آخر ، وهو أننا مصطرون إلى الاعتراف بأن هذه النقشة تصح عن نقطة صميفة في البناء . ولسوء الحظ فإن كل شيء مرتبط باستقرار الشعب اليهودي في كنعان غامض ومشوش بدرجة عالية ؛ وبالطبع قد تستخدم وسيلة افتراض أبـ الاسم في لوح إسرائيل لا يشير إلى القبائل التي تحاول تتبع مصيرها ، والتي نوحدهت فيما بعد في شعب إسرائيل . فصلا عن أن اسم

المايرو Eabiru (عبرانيون) مند عصر الممارسة انتقل
كذلك إلى هذا الشعب .

وعندما كان يحدث أن قبائل مختلفة تتوحد في أمة تضل نص
الديانة ، فن الجائز جداً أن لا يكون الحدث على قدر عظيم من الأهمية
بالنسبة لتاريخ العالم ، ولكن من الممكن أن يكتسح سيل الأحداث
الديانة الجديدة ، ولكن يهوه قد اتخذ مكانه في ركب الآلهة القديمة
التي صورها فلوير^(١) ، ولكن قد « قد » شمه بجميع قائله
الاثنتي عشرة ، وليس فقط العشرة قائل التي ظل الأنحلو سكسون
يبحثون عنها طوال تلك اللدة . وربما لم يكن الإله يهوه الذي قاد إليه
موسى للدياني شعباً حديثاً ، ربما لم يكن كائناً عظيماً بأي حال من
الأحوال . فلقد كان إلهاً فظاً . ضيق العقل ، محلياً ، عديمياً ومتعطشاً
للدماء ، وكان قد وعد أتباعه أن يعطيهم « أرضاً تفيض لبناً وعسلاً » ،
وشجعهم على أن يخلعوا البلد من سكانه الحاليين « بحمد السيف » .
ومن للدهش حقاً أنه رغم كل هذه المراجعات لنص التوراة فقد أصبح
للكثير أن يبق ، وبه تعرف على طبيعته الأصلية . وليس من المؤكد

(١) فلوير : حوستان فلوير ، كاتب فرنسي ولد في رويس (١٨٧٦ — ١٨٨٠)
مؤلف الرواية الشهيرة « مدام بودوى » (١٨٥٧) ، و « سالاسو » (١٨٨١) ،
وكان يهتم بالأسلوب كثيراً ، كما كان يريد أن يقدم صورة لواقع ومع ذلك يصنعها
بها خيالية (الحق)

أن ديانتها كانت ديانة توحيدية حقيقية ، وأنها أنكرت شخصية الله للمعبودات الأخرى . وربما كان يمكن أن إلها يهوه كان أكثر قوة من كل الآلهة الثورية . وعندما اتحد تتابع الأحداث طريقاً آخر تماماً مما كانت مثل هذه البدايات تجعلنا نتوقع ، فلا يمكن أن يكون هناك إلا سبب واحد لذلك . والجزء واحد من الشعب أعطى موسى المصري تصوراً آخر وأكثر روحية للاله ، إله يحتوى كل العالم ، إله هو كل الحب كما هو كل القوة ، بنفس كل الطقوس والسحر ، ويضع حياة ملؤها الحق والعدل كهدف اسمي للإنسانية . ورغم أن معلوماتنا فضيلة عن الجانب الأخلاقى لديانة أتون ، فإنه لأمر له دلالة أن أختائون وصف نفسه في هوشه باعتباره « يعيش في اللامت » (الحق والعدل ^(١)) وعلى الذى الطويل ، لم يكن بهم أن الشعب ، ربما بعد زمن قصير جداً ، نبذ تعاليم موسى وأراح الرجل نفسه . ولكن التراث نفسه بقي ووصل تأثيره — ولو أنه ببطء — وفى خلال قرون — إلى الهدف الذى استنكر على موسى نفسه ، وحرار الإله يهوه شرفاً لم يكن يستحقه ، ابتداء من قاذف فما بعدها ، عندما أضيف التحرير الذى قام به موسى لشعبه إلى حساب يهوه نفسه ، ولكن

(١) نؤكد أمامه ليس فقط عالمية ووحدة الإله ، بل وحببه الحب لكل المخلوقات ، وهي تدعو المؤمنين إلى احتلاء الطبيعة وماليها من حال . « برستيد : غر الروى » . (غرويد) .

كان عليه أن يرفع معنا غالياً لهذا الاعتصاب ، فَظِلَّ الإله الذى احتل مكانه صار أقوى منه ، وفي نهاية التطور التاريخي ارتفع أهل من كيانه كيانه إله موسى للنسب . وليس بوسع أحد أن يشك أن فكرة هذا الإله الآخر وحدها هي التي مكنت شعب إسرائيل من أن يتغلب على كل مصاعبه وأن يعيش حتى وقتنا .

ولم يعد في الإمكان تعديد الدور الذي لعبه اللاويون في الانتصار النهائي لإله موسى على يهو . وعندما تحقق الالتقاء في قادش دفعوا صوتهم مؤيدين موسى ، فقد كانت ذاكرتهم ما تزال حاضرة . سيدهم الذي كانوا هم أتباعه ومواطنيه . وخلال القرون منذ ذلك الوقت صار اللاويون واحداً مع الشعب أو مع كهنته ، وصار العمل الأساسي للكهنة هو تطوير العقوس والإشراف عليها ، بالإضافة إلى العناية بالنصوص المقدسة وراحمتها لتوافق أعراضهم . ولكن ألم نكس كل هذه التنحية والعقوس في أعماقها مجرد حجر ، وسعر أسود ، من الطراز الذي أداه الذهب القديم لموسى إداة غير مشروطة ؟ وقام من وسط الشعب نتاج لا يتهمى من الرجال ، لا ينحدرون بالضرورة من شعب موسى ، ولكنهم كانوا مأخوذين بالتراث العظيم القوي ، الذي نما تدريجياً في الظلام . وكان أولئك الرجال ، الأنبياء ، هم الذين ثاروا على التشييع عذهب موسى القديم : إن المعبود يردى

التضحية والطقوس ، إنه لا يريد إلا الإيمان وحياء مؤدبا الحقيقة
والعدل (ماعت) — وواجه جهود الأنبياء بجاح ثابت ، وصارت
للذاهب التي أعادوا بها إقامة العقيدة القديمة للصور النائم للديانة
اليهودية . وإنه لشرف فيه الكفاية للشعب اليهودي أنه أبقى حيا
تراثنا كهذا وأنتج رجالا أعطوه أصواتهم ، حتى ولو كان النافع
قد أتى أول الأمر من خارج ، من عظيم أجنبي ^(١) .

وهذا الوصف للأحداث كان من الممكن أن يتركى بشعور
من الشك لو لم يكن موسى أن أشير إلى باحثين حبراء آخرين
يرون أهمية موسى بالنسبة لتاريخ الديانة اليهودية في نفس الضوء
ولو أنهم لا يقرون أصله المصري ^(٢) . ويقول سيلين مثلا ^(٣) ، « ومن
ثم علينا أن نصور الديانة الحقيقية لموسى ، العقيدة التي أعلنها عن إله

(١) واضح هنا تباهى فرويد باليهودية وجمعه هي للوسمية في اعتقاده بأن هناك
شيئا خالصا هو الشعب اليهودي وحكمه على الفترات بأنه عظيم وبأنه أنتج عظيما

(٢) واضح هنا رغم ما يؤوله فرويد من أسئلة تنبئ الشك في أصل موسى
عليه السلام أن هناك آخرين عرضت لهم نفس الأسئلة ولم ينتهوا إلى نفس استنتاجاته
ومن استنتاجات كآ وأينا مصفة لأنه بصفتها تصمم فرضه وليست براهين عليه لمخالفين
موضوعية . (المعلق) .

(٣) سيلين . المرجع السابق ص ٥٢ .

واحد أخلاقي باعتبارها من الآن فصاعدا ، كأمر طبيعي ، متحيزة إلى دائرة صغيرة داخل الشعب . وليس يوسمنا أن نتوقع أن نجد لها عند البداية في المذهب الرسمي ، في ديانة الكهنة ، في العقيدة العامة للشعب . وكل ما يوسمنا أن نتوقعه هو ، أنه هنا وهناك ، تطير شرارة من النار الروحية التي أوقدتها ، وأن أفكاره لم تمت ، ولكنها أثرت في هدوء على المعتقدات والمبادئ ، حتى تندفع مرة أخرى ، إن أجلا أو عاجلا ، تحت تأثير حوادث خاصة ، أو من خلال شخصية ما عارفة بوجه خاص في هذه العقيدة ، شخصية أقوى ، وتمرد السيطرة على الجماهير المريضة من الشعب . ومن هذه الزاوية ينبغي أن ننظر إلى التاريخ الهيبى المبكر للاسرائيليين القدامى . ولو حاولنا أن نعيد ساء الديانة للوسوية على الطرار الذي وضع في الوثائق التاريخية التي تصف ديانة الخمسة قرون الأولى في كنعان ، لوجدنا في أسوأ الأخطاء للنهجية « . ويمبر فولز^(١) عن نصه بوضوح أكثر ويقول : « إن عمل موسى الخلق في السماء كان بينهم بصعوبة في أول الأمر ، وينفذ بضعف ، حتى تحلل عبر القرون أكثر فأكثر في روح الشعب ، ووجد أخيراً أرواحاً من طرازه في الأنبياء العظام الذين واصلوا عمل للتأسيس الذي كان وحده » .

وبهذا أصل إلى نهاية ، فقد كان غرضي الوحيد أن أطابق صورة موسى مصرى داخل إطار التاريخ اليهودى ، وربما أستطيع الآن أن أخبر من خاتمتى بأقصر صيغة : إلى اثنائية المعروفة قدامك التاريخ — شيمان اثنان بندقجان مع بمضهما ليكونا أمة واحدة ، ملككتان اثنان تنضم إليهما هذه الأمة ، اسمان اثنان للمعبود في مصدر التوراة — نصيف اثنان جديدين : تأسيس ديانتين ائتين جديدين ، الأولى تنصيحها الثانية ومع ذلك تماود الظهور منتصرة ، مؤسسين دينيين ائتين ، بسميان بنفس الاسم ، اسم موسى ، وعلينا أن نفصل بين شخصيتيهما ، وكل هذه اثنائيات تتأخر ضرورة للنتيجة الأولى : أن قسما من الشعب ربما يمكن أن يسي تسمية صحيحة تجربة أذوية ، أعني الآخر منها ، ولا يزال هناك الكثير لمناقشته ولشرحه ولتأكيده ، فندد فقط يمكن كفاية الاهتمام الكامل بدراستنا التاريخية المحضة . ما الذى تتكون منه بالضبط الطبيعة الباطنية للتراث ، وما الذى تقوم عليه قوته الخاصة ، وكيفية استعالة إنكار الآخر الشخصى لأفراد الرجال النظام على تاريخ العالم ، وأى تجديد تركه ضد عقلية الحياة الإنسانية بتعدد أشكالها إذا سلنا بأن دوافعها الوحيدة هي الدوافع التي تنميها

الحاجات اللادبة ، ومن أى المصادر تعتمد بعض الأفكار ، وخاصة الأفكار الدينية ، القوة التى تُخضع بها الأفراد والشعوب — ودراسة كل ذلك فى الحالة الخاصة لتاريخ اليهودى حمل مفر . ومثل هذا الاستمرار فى مقالى سيرتبط بنتائج وضعها منذ خمس وعشرين سنة فى مقالى (العلوم والحرم « Totem and Taboo ») ، ولكنى لا أتق فى قواى أكثر من ذلك إلا بمسقة .



موسى وشعبه والديانة التوحيدية

ملحوظات استهلالية

١ — كتبت قبل مارس سنة ١٩٣٨ (فيينا)

إننى بإقتسام الشخص الذى ليس لديه ما يفتقده أو لديه القليل ،
أقترح خرق قرار كان له ما يبرره ، خرقه للمرة الثانية ، وأن أعقب
مقالتي الاثنين عن موسى (Imago, Bd XXIII, Heft 1 and 3) بالجزء
الأخير الذى حججه من النشر حتى الآن ، وكنت قد قلت عند ما
أنهيت المقال الأخير أى أعرف جيداً أن قواى لن تكفى للهمة .
وكنت بالطبع أشير إلى الضعف الذى يطرأ على قواى الإبداعية
والذى يصاحب الشيخوخة^(١) . ولكن هناك كذلك صعوبة أخرى ،

(١) لا أشارك سماسرى اللوهوب برنارد شو رأى أن البصر يمكن أن يهتوا
شيئاً له قيمته إذا استطاعوا أن يصلوا بحرد وصول إلى سن ثلاثة ستة ، فع
مجرد إطالة فترة الحياة لا يمكن تحصيل شيء مالم يغير كذلك الكثير في ظروف
الحياة تغييراً جديراً . (غرويد) .

وبرنارد شو هو الكاتب الأيرلندى (١٨٥٦ — ١٩٥٠) للسرعى الآخر
الذى كتب نحو ٤٠ مسرحية الصمت بالواقعية الجديدة وللنظريات الباهرة والمؤلف
الذى ، وهو اشتراكى ومن مؤسسى الجمعية القارية الاشتراكية ، ومن رأيه أن =

فنحن نعيش في زمن ناه خطاً ، ونحذف دهشة أن التقدم قد وقع
تخالفاً مع البربرية . وفي روسيا السوفيتية بذلت المحاولة لتحيين
الحياة لمائة مليون من الناس كانوا واقعين حتى الآن تحت المصادرة .
وكانت السلطات من الجراءة بحيث سلبتهم مخدر الدين ، ومن الحكمة
بحيث منعتهم إجراء معقولا من الحرية الجنسية (Sexual) . ولكها
أحصتهم رغم ذلك لأقصى أنواع القهر ، وسلبهم كل إمكانية حرية
التفكير . وبوحشية مماثلة يدرب الشعب الإيطالي على النظام ومعنى
للواجب^(١) . وكان قفلا حقيقيا تحجب منه القلب ، أن نحذف حالة
الشعب الأثافي ، إن النكوص إلى كل شيء إلا بربرية ما قبل
التاريخ ، يمكن أن يمر مستقلا عن أي فكرة قديمة . وليكن
ما يكون ، فإن الحوادث قد اتحدت اليوم مساراً حتى ماتت
الديمقراطيات المحافظة رعاة التقدم للثقافي ، وأن مؤسسة الكنييسة
الكاثوليكية هذه ، للفراسة الشديدة ، قد أقامت مقاومة شديدة
صد الخطار الذي يتهدد الثقافة . الكنييسة الكاثوليكية التي كانت
حتى الآن العدو للتشدد لكل حرية للعسكر ، والتي عارصت بتصميم
أي فكرة لهذا العالم يحكمها مقبدا الانحاء إلى إقرار الحقيقة ا

== «تلازمة حب أن يحكموا العالم» ، وأنهم لا يجب أن يحكموه قبل من ٢٠٠ سنة ،
وكان يرى أنه إذا أراد أن يحبس هذا السر مالمأمر متوجه على إرادته ، لأن علماء
عنه إرادة كما كان يرى الفيلسوف برحسوف (الأمي) .
(١) يعصد المفهوم المائتي واجب في ظل طلبة «موسولوى (الأمي)

ومحى عيش هنا في بلد كاثوليكي ونمت حابة هذه الكنيسة ،
ولا نعرف على وجه اليقين كم تطول الحابة^(١) . وطالما هي مستمرة
أتردد بالطبع في أن أنمل أى شيء من شأنه أن يوقف عداء تلك
الكنيسة . إنه ليس الجبن ، ولكنه الحذر . إن المدو الجديد^(٢)
— وسأحاذر أن أفعل أى شيء من شأنه أن يخلط مصالحه — أخطر
من التديم الذى فعلنا أن نصيب منه في سلام . وتنتظر الكاثوليكية
على أى حال إلى بعوث التحليل النفسى باهتمام شكاك . ولا أقول
أن التحليل النفسى لا يتحقق هذا الشك . فلذا كان بحثنا يودى
إلى نتيجة تقلل من الدين وتجعله في مستوى المرض المعصي الذى
يصيب الإنسانية ونفس قواء المظلمة بنفس الطريقة التى نفسر بها
الطوس المعصي الذى يصيب أفراد مرضانا ، فإن لنا أن نتأكد أننا
سنستجاب أكبر الضغط من السلطات القائمة . وليست المسألة أن
لدى أى شيء جديد أريد أن أقوله ، فليس لدى شيء لم أعبر عنه
بوضوح منذ ربع قرن مضى . ومع ذلك فقد ينبؤنى كل ذلك ،
ولا شك أنه سيكون له بعض الأثر لو أعدت قوله الآن وصورته
مثال على غرار الطريقة التى تؤسس عليها الديانات . وقد تؤدي إلى

(١) يقصد حياته في النما حيث نبطر للكنيسة الكاثوليكية في الثلاثينات ،
وكان فرويد قد هاجر إلى لندن سنة ١٩٣٨ هرباً من اعتقاد النازي إلى
إنها من مد . (الملقى) .
(٢) النازية . (الملقى) .

منعنا من مزاوله التحليل النفسى . ولكن مثل هذه الطرق المشقة
 فكبت غريبة كلية على الكتيمة الكاثوليكية ، وهى تحس كالمو
 كان هنا تدخلا فى امتيازاتها عندما يلجأ الناس الآخرون إلى نفس
 الوسائل . ومع ذلك فالتحليل النفسى ، الذى سافر إلى كل مكان
 خلال رحلة حمري الطويلة ، لم يجد بعد بيتا خلوها أكثر من المدينة
 التى ولد بها ونما .

وإلى لا أعلن ذلك قط ، ولكن أعلم أن هذا اعطى التاريخى
 سيمونى من نشر الجزء الأخير من معنى عن موسى . وحاولت أن
 أرفع هذه القضية بأن أقول لنفسى أن خوفى بقوم على مفالة فى التصدير
 لأهميتى الشخصية ، وأن السلطات لن تبالى تماما لما سأقوله عن موسى
 ومن أصل البيانات التوحيدية . ومع ذلك لا أحس أى متأكد
 أن حكى على صواب . ويبدو لى أكثر احتمالا أن الحقد وشهوة
 الإثارة سيموضان الأهمية التى تنقصنى فى أعين العالم . ومن ثم فلن
 أنشر هذا للقال . ولكن ذلك لا يبنى أن يبنى من كتابته .
 وخاصة طالما أنه كتب من قبل ، منذ ستهين ، ولا يحتاج لذلك إلا
 لإعادة الكتابة والإضافة إلى القالين الآتين السابقين . ومن ثم قد
 بقل بحفيا حتى يحين الوقت عدما قد يغرؤ على الظهور فى أمان إلى
 نور النهار ، أو حتى يمكن أن يقال لشخص ما آخر يصل إلى نفس
 الآراء والنتائج : « فى الأيام الأظلم عاش رجل فكر كما فكرت » .

٢ - يونيو سنة ١٩٣٨ (لندن)

إلى المصاحب الضخمة بدرجة غير عادية والتي أثقلت على خلال
تألفي لهذا المقال عن موسى - والتي هي عبارة عن شكوك داخلية،
وكذلك معوقات خارجية - هي الأسباب التي أدت إلى أن يكون
لهذا الجزء الثالث والأخير مقدمتان مختلفتان يمارض كل منهما الآخر،
بل الواقع أن أحدهما ينافي الآخر. وذلك لأنه في الفترة القصيرة بين
كتابة اللقمتين تسببت الظروف الخارجية المؤلف تغييراً جذرياً.
فلقد عشت فيما سبق في حماية الكنيسة الكاثوليكية، وحشيت
إلى أنا شرت المقال أن أقد تلك الحماية، وأن يمنع أطباء وطلبة
التحليل النفسي في الماس من ممارسة عملهم. ثم فجأة أطبق العزو
الناري علينا وأثمت الكاثوليكية كما يقول الإنجيل أنها « قصة
مكسورة ». وفي يمين الاصطهاد - الآن ليس بسبب على وحده
ولكن بسبب « جنسى » أيضاً - غادرت مع عدد كبير من
الأصدقاء المدينة التي كانت بيتاً لي منذ طفولتي الباكورة وحلال ثمانى
وسبعين سنة.

وحدثت أحر الفرحين في إنجلترا الجيلة الحرة الكريمة. وهنا
أعيش الآن، صيفاً ممزقاً قد أعفيت من ذلك الاصطهاد، وسعيداً

(١) يتحدث فرويد عن اليهودية هنا باعتبارها جنساً race وليست ديانة.

لأنى قد أحدث مرة أخرى وأكذب وأكاد أقول «أمسك» كما أريد
أو كما ينبغي . وإني لأحرز الآن أن أشر الجزء الأخير من مقال .
لا يوجد بعد مزيد من الملاحظات الخارجية أو على الأقل لا يوجد
مها شيء إطلاقاً مما يمكن أن يصيب الإنسان بالدعر . وفي الأسابيع
القليلة من إقامتي تلقيت عدداً كبيراً من التتحيات ، من أصدقاء
عبروا إلى عن بالغ سرورهم لرؤيتي هنا ، ومن أداس لا أعرفهم ،
وليس لهم اهتمام ، ذكرى على ، ولكنهم عبروا تديراً بسيطاً عن
رصاصم لأنى قد عثرت على الحرية والأمن هنا . وبالإضافة إلى كل
ذلك وصلتني خطابات من موع آخر ، مكترة بحيرة للأحبي ، نمر
عن قلقها تجاه الصلاح الذى تطله لروحى ورغبتها المفاقة فى هدايتى
إلى طريق المسيح وإلى إمارتى حول مستقبل شعب إسرائيل . وإن
الناس الطيبين الذين كتبوا هكذا لم يكن فى وسعهم أن يعرفوا
الكثير عى - وإنى لأوقع على ذلك أنه عندما يذبح هذا العمل
الجدبدلى بين مواطنى الجدد - ضد مع سراسلى ومع عدد من الآخرين
شيئا من التعاطف الذى يشهد فى الآن به .

أما الصعوبات الداخلية فإن النظام السياسى المختلف والوطن
الجدبدلى بنيرانها ، فالآن كما فى الماضى أحس بالقلق عندما يواجهنى
على ، وأحسد الاحساس بالوحدة وبالتألف اللذين يعنى أن يتواحد
بين المؤلف وبين عمله . وهذا لا يعنى أن الاحساس بصواب نتائجى

ينقص ، فذلك الانتجاع حزته منذ ربع قرن مضى عندما كتبت كتابي «الطوطم والمحرم» Totem and taboo (سنة ١٩١٢) واستمر بقوى ، ومنذ ذلك الحين لم أشك في أن الظواهر الدينية لا تفهم إلا على منوال المظاهر المصايبية للفرد ، والتي اعتدنا ، جدا ، على أنها بمثابة رجوع لأحداث هامة ، قد عني عليها التسيان طويلا ، من التاريخ الدائى للأسرة الاساية ، وأنها مذبذبة بهذه الصفة الحصرية إلى ذلك الأصل نفسه ، ومن ثم فهي تستند تأثيرها فى البشرية من الحقيقة التاريخية التى تحتوى عليها . ولا يبدأ علم يقينى إلا عند النقطة التى أسائل فيها نفسى عما إذا كنت قد نجت فى إثبات ذلك فى حالة التوحيد اليهودى الذى احترته ها . وبدو قواى النقد أن هذا البحث ، وقد بدأ من دراسة موسى الانسان ، كما لو كان راقصا يقف متوارنا على إصبع واحد ، وإذا لم يكن بوسعى أن أحد التأيد فى التصوير التحليلى لأسطورة التعرض للناء وأغير منها إلى اقتراح سبيلين المتعلق بنهاية موسى ، فإن البحث كله كان من الواجب أن يظل دون كتابة . ومع ذلك دعونى أبدأ

إننى أبدأ بأن أستخلص نتائج مقالى الثانى عن موسى ، وهى نتائج تاريخية محضة . ولن أخصها هنا لخصا نقديا طالما أنها مقدمات لمناقشات السكولوجية التى تقو عليها والتي تميل إليها باستمرار .

القسم الأول

١ — القدمات التاريخية

إن الخلفية التاريخية للأحداث التي أثارت اهتمامي كتابالي :
صارت مصر من خلال فتوحات الأسرة الثامنة عشرة امبراطورية
عالمية . وانصكت الإمبراطورية الجديدة في تطور بعض الأفكار
الدينية ، إن لم يكن في أفكار الشعب كله ، فلي الأقل في أفكار
الطبقة العليا الحاكمة والتملة تخافيا . وتمت تأثير كهنة إله الشمس
في أنون (هليوبوليس) ، والذي ربما قوته أفكار مصدرها آسيا ،
قامت هناك فكرة إله عالي ، أنون — لم يعد منصورا على شعب
واحد وبلد واحد . واعتل الفرعون الشاب أمينحوب الرابع العرش
(الذي غير اسمه فيما بعد إلى أخناتون) ولم يول شيئا عناية أكبر
من عنايته بتطوير فكرة هذا الإله . ورضع ديانة أنون فأصبحت
الديانة الرسمية ، وبذلك صار الإله العالي هو الإله الواحد ؛ ووصف
كل ما كان يقال عن الآلهة الأخرى بأنه عش وحشاع ؛ وقاوم
بصلاة هائلة كل معربات الفكر السحري ونبد الوهم الأثير بصفة
خاصة المصريين . ند هذا الوهم والفكر الذي يقول بمجاءة بعد الموت ؟

وكتشف بتنبؤ رائع للمعرفة العالمية اللاحقة ، في طاقة الإشعاع الشمسي مصدراً لكل حياة على الأرض ، وعبد الشمس كرمز لقوة إلهه ، وتعبد بفرحته في الخلق وفي حياته في اللامت (الحقيقة والعدل) .

إنها الحالة الأولى في تاريخ البشرية ، وربما كانت الأخرى ، ديانة توحيدية . وإن المعرفة للتصقة للظروف التاريخية والسيكولوجية لتأسيسها لمعرفة لما قيمتها التي لا تقدر . ولقد اتخذت الاحتياطات ألا نصلنا معلومات كثيرة عن ديانة أنون ، وكان كل شيء قد دمر في حكم خلفاء أخناتون الضعاف ، وصب الكهنة الذين اضطهدهم غضبهم عليه في الآثار التي تذكر به . وقضى على ديانة أنون ، وأزيلت عاصمة الفرعون الكافر ونهبت ، وانتهى أمر الأسرة الثامنة عشرة سنة ١٣٥٠ ق . م ، وبعد فترة سادتها الفوضى أعاد القائد حور محب النظام وحكم حتى سنة ١٣١٥ ق . م ، وبدأ إصلاحات أخناتون كما لو كانت حادثاً مصريه إلى التسيان .

هذا هو ماقرر تاريخياً ، وعند هذه النقطة يبدأ العمل في الرأي الذي نراه ، وربما كان هناك رجل بين خلصاء أخناتون يدعى ثوتس Thothose كما كان يدعى الكثيرون في ذلك الوقت^(١) ولايهم الاسم ولكن الجزء الثاني من اسمه لا بد كان «موسى» «Mose»

(١) كان هنا الاسم كذلك مثلاً هو اسم للشال الذي اكتشف مرسه في تل الميراث (هرويد) .

و كان يشغل منصبا كبيرا ، و كان من المؤمنين للتقنين بديانة أتون ،
ولكنه كان على قبيض لذلك للتأمل ، كان ذا قوة وعاطفة متدفقة ،
و كان موت أخناتون والتضاء على ديانته ينى بالنسبة لهذا الرجل نهاية
كل آماله . ولم يكن يستطيع أن يبقى في مصر إلا منفيا أو أن يرجع
عن دينه وينكره . وإذا كان حاكما لإقليم من أقاليم الحدود فمن
الرجح أنه اتصل بقبيلة سامية معينة كانت قد هاجرت منذ بضعة
أجيال ، وتحول في رأسه وفي وحدته إلى أولئك الأقرباب وبمحت
فيهم عن تمويض لما كان قد قدده ، واختارهم ليكونوا شعبه ،
وساؤل أن يحقق من خلالهم مثله ، وبعد أن غادر مصر معهم ،
يصحبه أتباعه للملاصقون ، ياركهم بختاتهم ومنعهم الشرائع وبشرم
بديانة أتون التي كان قد نبهها للصربون نوا . وربما كانت الشرائع
التي أخذ بها موسى يهوده كانت أقسى من الشرائع التي استنها
سيده ومعلمه أخناتون ، وربما كان قد ألغى كذلك الارتباط بالله
الشمس في أون ، الذي كانت ديانة أخناتون ما تزال من المؤمنين به .

ويجب أن نحدد زمن الخروج من مصر بأنه جرى خلال الفترة التي
وقعت بين حكم أخناتون وحكم من ولى العرش بعده سنة ١٣٥٠ ق.م .
وتضمن بصفة خاصة الفترات الزمنية التالية حتى امتلاك أرض كنعان .
ومن الظلام الذي تركه نص التوراة هنا — أو الذي خلقه بالأحرى —

يوسع البحث التاريخي لمصرنا أن يميز واقعيتين ، الأولى اكتشفها
 إرست سيلين ومؤداهما أن اليهود الذين وصفهم التوراة ضحبا
 بأنهم كانوا عنيدون لا يطيعون مشرعهم وزعيمهم ، وتمردوا عليه
 آخر الأمر وقتلوه وطرحوا عنهم ديانة أتون التي فرضها عليهم كما
 فعل للصريون من قبلهم ؛ والواقعة الثانية دلت عليها إدوارد ميور
 ومؤداهما أن هؤلاء اليهود عند رجوعهم من مصر اتحدوا قبائل
 كانت لهم بها تقريبا صلات نسب ، في للمنطقة الواقعة على حدود
 فلسطين وشبه جزيرة سيناء وشبه الجزيرة العربية . وأنهم هناك ،
 في قمة خصبة اسمها قادش وتحت تأثير قبائل مديان العربية ، اعتنقوا
 ديانة جديدة هي عبادة إله البراكين يهوه ، وبمسد ذلك مباشرة
 كانوا مستعدين أن يتصعروا أرض كنعان .

ولا تتأكد العلاقة في الزمن بين هذين الحدثين إلى بعضها
 للبعض وإلى الخروج . وتأتي الإشارة التاريخية التالية في لوح مرينتاح
 الذي حكم مصر حتى سنة ١٢١٥ ق . م . والذي يمدد إسرائيل على
 رأس الهزومين في غزواته التي قام بها في سوريا وفلسطين . وإذا
 أخذنا تاريخ هذا اللوح كحد أقصى ، فإنه يبقى على كل مجرى
 الأحداث ، ابتداء من الخروج ، نحو قرن — بحد سنة ١٣٥٠ حتى
 ما قبل سنة ١٢١٥ . ومن المحتمل كذلك أن يكون اسم إسرائيل

اسما لا يشير إلى القائل التي تنابعها مصيرها ، وأنها في الواقع عكس
 فترة أطول تمت تصرفنا . واستقرار الشعب اليهودي المتأخر في
 كنعان لم يتحقق بالتأكد سرعة ، بل كان بالأحرى سلسلة من
 النضال المتتابع ، ولا بد أنه امتد على مدى فترة طويلة نوعا ما . وإذا
 بدأنا التعديد الذي يفرحه لوح مرنبتاح فإن لنا أن نفترض سرعة
 سهور ثلاثين سنة ؛ أي انقضاء حيل ، هو الوقت الذي استغرقته
 بعثة موسى^(١) ، وسهور جيلين على الأقل ، ومن المحتمل أكثر ،
 حتى تحقيق الاتحاد في قادش^(٢) . ولا يحتاج الأمر إلى أن نكون
 الفترة التي تمثلت الاتحاد في قادش والارتمال إلى كنعان فترة طويلة .
 ولعراث اليهودي أساهه القوية — كما أوضحنا ذلك في مقال
 السابق — في قصير الفترة التي تمثلت انطروج وتأسيس دبابة في
 قادش ، ولكن بحثنا يميل منا إلى أن نزيد الرأي المعاكس لذلك .

ولقد أصعب اهتمامنا حتى الآن على المواضيع الخارجية للقصة ،
 وعلى محاولة ملأ فراغات معرفتنا التاريخية — في جزء منها إعادة
 لقالي الثاني . وبناح اهتمامنا مصير موسى وعقائده التي وضع لها .

(١) ينفي هذا مع القول بأن الله في الصحراء استغرق أربعين سنة كما يقول
 الخروج . (فرويد) .

(٢) أي ما بين ١٢٥٠ و ١٢٤٠ إلى ١٢٢٠ و ١٢١٠ لبعثة موسى ، و ١٢٦٠
 أو ربما بعد ذلك بقليل للاتحاد في قادش ، أما لوح مرنبتاح فزمنه قبل سنة ١٢١٥ .
 (فرويد) .

اليهود: نهاية مظهرها قسط . ومن الرواية التي تدور حول يهوه —
والتي كتبت نحو سنة ١٠٠٠ ق . م ولو أنها من غير شك تأسست
على مادة يقع تاريخها قبل ذلك — عرفنا أن الاتحاد بين القسائل
وتأسيس ديانة قادش كان يمثل القضاء ، ما يزال من الممكن تغيير
الجزئين اللذين يكونانه سهوة . وكان اهتمام أحد الشريكين منصبا
قسط على إفسار حداثة وأجنبية الإله يهوه . وإذ كان دعواه بأحقية
في ولاء الشعب — أما الشريك الآخر ويرفض أن ينشد الذكريات ،
المرتبة عليه الأثرة عنده ، عن التعود من مصر ، وعن الصورة
الرائدة لزعميه موسى ، والواقع أنه نصح في العثور على مكان للواقعة
وللإنسان في الصورة الجديدة للتاريخ اليهودي المبكر ، وفي الاستبقاء
على الأقل للعلامة الخارجية للديانة الموسوية — معنى الختان — وفي
الإصرار على قيود معينة في استخدام الاسم الإلهي الجديد . وقلت
إن الشعب الذي أصر على تلك المطالب هو من نسل أتباع موسى ،
اللاويين ، الذين كانت تفصلهم عدة أجيال قليلة قسط عن معاصري
ومواطلي موسى الحقيقيين ، والذين كانوا متعلقين بذكراه عن
طريق تراث ما يزال أخصر . وتشبه الروايات للسوحة سحفاً شعبياً
والتي تنسب إلى الإله يهوه وإلى منافسه للملاحق الإله « إيل » ،
تشبه شواهد القابر ، ويضيء ، كما يتراعى لي ، أن توسد ، أسفلها في

راحة أبدية ، الحقائق عن هذه الأمور للبكرة ، وعن طبيعة الديانة
للموسوية ، وعن الاستبعاد العنيف للرجل العظيم — حقائق
استخلصت من المعرفة التي للأجيال اللاحقة . فإذا كنا قد رأينا مجرى
الأحداث على النحو الصحيح فلن يكون فيها شيء غامض ، ومن
الجلالز جداً أن نكون هي النهاية المحددة لقصة موسى في تاريخ
الشعب اليهودي .

والشيء الرائع فيها هو أن هذا هو الذي لم يحدث ، وأن الآثار
الأكثر أهمية للتجربة ظهرت بعد ذلك بكثير ، وأنها في حلال
قرون عديدة شقت طريقها إلى التعبير . ومن غير المحتمل أن يهوه
كان مختلفاً اختلافاً شديداً في الشخصية عن آلهة الشعوب والقبائل
الجاورة . لقد نضار مع الآلهة الأخرى ، هذا حقيقة ، مثلما نضاربت
القبائل فيما بينها ، ومع ذلك فلما أن تصور أن الإنسان الذي يعبس
يهوه في ذلك العصر ما كان يحمل إطلافاً أن يشك في وجود آلهة
كنعان ومواب وعاليق إلخ ، أو في وجود الشعوب التي تؤمن بها .
ولقد حعبت مرة أخرى الفكرة التوحيدية التي نوهت في عصر
أحاثون ، وكان عليها أن تبقى في الظلام لمدة طويلة بعد ذلك .
وعلى حزرة القبيل القريبة من الشلال الأول على النيل أثمرت
الكشوف معلومة مدعشة تحول إن مستمرة عسكرية يهودية أقامت

هناك منذ قرون مضت ، وعبدت في مهابدا بالإضافة إلى
إلهها الرئيسى ياهو ، معبودتين مؤثنتين ، كانت إحداها تسمى
« عنت - ياهو » *Enai-Jahu* . والواقع أن هؤلاء اليهود قد
انفصلوا عن بلدهم الأم ، وأنهم لم يمروا خلال نفس التطور الدينى .
وأوصلت لهم الحكومة الفارسية (فى القرن الخامس قبل الميلاد)
تنظيمات العلقوس الجديدة فى أورشليم^(١) . ولو عدنا للمصور الأولى
ستطيع أن نقول مجزم أن يهوه لم يكن أبداً يشبه إله موسى ، فقد
كان أتون مسالماً مثل رسوله الذى شر به على الأرض - أو مثل
نموذحه الأرضى بمعنى أصح - الفرعون أحتاتون ، الذى كان ينظر
بذراعين متعاقبين بينا الإمبراطورية التى فار بها أسلحه تنهوى إلى
قطع . وبالتسبة لشعب كان يمد نفسه ليرزق أراض جديدة بالعنف .
كان يهوه يتلاءم معهم أكثر . علاوة على ذلك إن ما كان حديراً
بالشرف فى إله موسى كان يتجاوز إحداك شعب بدائى .

وقد سبق أن ذكرت - وفى ذلك تؤيدنى آراء آخرين -
أن الحقيقة للركزية لتطور الديانة اليهودية كانت : أن يهوه قد
سماته الشخصية على مر الزمن وصا ، أكثر فأكثر مثل أتون إله

(١) *Auerbach Wüste und gelobtes Land, Bd. II (1938)* .

(فرويد) -

موسى القديم . وبغيت الاختلافات ، هذا حقيقي ، وهي اختلافات
 تبدو هامة لقومة الأولى ، ومع ذلك ففسيرها سهل . لقد بدأ أتون
 حكمه في مصر في فترة آمنة سعيدة . وحتى والإمبراطورية قد بدأت
 تهتز من أساسها ، استطاع أتباعه أن يحصلوا عن اللسان الديوية
 وأن يواصلوا امتداح ما خلقه والاستمتاع به . أما الشعب اليهودي
 فقد قيس له القدر سلسة من الاجتماعات القاسية والتجارب المؤلمة ،
 ومن ثم صار إله إلهًا صليبيًا قاسيًا منذئذ بالكتابة كما كان في الواقع .
 واستبقى صفة الإله العالي الذي يحكم كل الأراضي والشعوب ،
 ولكن حقيقة أن عبادته انتقلت من المصريين إلى اليهود وجذعت
 التعبير عنها في للشعب الذي أضيف إلى الديانة اليهودية ، والذي
 يقول أن اليهود كانوا شعبه المختار ، وإن التزاماتهم الخاصة ستجد
 في النهاية تواضعها الخاصة . وربما لم يكن من السهل على ذلك الشعب
 أن يوفق بين اعتقاده في تفضيل إله على قدير لم على سائر العالمين
 وبين التجارب المرة لمصره المحزن .

ولكنهم لم يدعوا الشكوك تجاههم ، وزادوا أحاسيسهم
 بالذنب ليسكنوا إحساسهم بعدم الثقة ، وربما اتهموا إلى أن يثيروا
 إلى « إرادة الإله التي لا يدرك كنهها أحد » كما يفعل للتدينون حتى
 اليوم . وإذا كان هناك حجب في سماحه لجبهه للزبد من العطاء الجدد

الذين اضطهدوا وأساموا إلى شعبه — الآشوريون والبابليون
والفرس — فإن قوته مع ذلك بانت في قهره لكل هؤلاء الأعداء.
الأشرار بدورهم وتدمير إمبراطورياتهم .

وتشاء الإله اليهودى في صورته المجددة مع إله موسى القديم في
ثلاث نقاط هامة : النقطة الأولى والحاسمة هي الإقرار به إلهاً واحداً
لا إله إلا هو ، والوحدانية التي قال بها أحنانون آمن بها كل
الشعب إيماناً صادقاً ، والواقع أن هذا الشعب التصق بهذه الوحدانية
لدرجة أنها صارت المحتوى الأساسى لحياتهم الثقافية وحلت محل
جميع الاهتمامات الأخرى وأجمع الشعب وكهنة ، وكانوا قد أصبحوا
الجزء للهيمن على أسرهم ، إجماعاً على تلك النقطة ، ولكن الكهنة في
قصر نشاطهم على استحكال طقوس عبادته ، وحدوا أنفسهم في
تمارض مع اتجاهات قوية داخل الشعب تحاول أن تحمي عقيدتين
آخرين من عقائد موسى عن إلهه . وارتفع صوت أنبياء إسرائيل
يدعو بلا كلل إلى أن الإله بأف من الطقوس وتقديم الأضاحي ،
وأنه لا يطلب شيئاً سوى الإيمان به وبالحياء في الحقيقة والعدل .
وعندما أفتوا على باطلة وقلاسة حياتهم في الصحراء كانوا بالتأكيد
تحت تأثير اللؤلؤ التي نشر بها موسى .

والآن حان الوقت لطرح السؤال عما إذا كانت هناك أية حاجة

إطلافاً لأن نستبعد أثر موسى على الشكل النهائي لتفكير اليهود من
 إلههم ، وما إذا لم يكن يمكن أن نفترض تطوراً تلقائياً إلى روحانية
 أعلى خلال حياة ثقافة تمتد على مدى قرون كثيرة . واني لأود أن
 أبدي تعليقاتي ، على هذا التصير الجائر الذي يمكن أن يضع نهاية
 لكل ما نحنه الأول أنه لا يضر أي شيء ، فالظروف نفسها
 لم تؤد بالشعب اليوناني إلى اعتناق الروحانية ، مع أنه كان بالتاكيد
 شعباً موهوباً جداً ، ولكن موهبته لم تؤد به إلا إلى تعظيم ديانة تعدد
 الآلهة وإلى بداية التفكير الفلسفي . ونمت الروحانية في مصر —
 إلى الحد الذي فهم به نموها — كنتيجة ثانوية للإمبريالية ، كان
 الإله هو انكاس لصورة فرعون الذي يحكم الإمبراطورية العالمية
 الكبيرة حكماً استبدادياً . أما ما نسبته لليهود فلم تكن الظروف
 السياسية مؤاتية أبداً لتطور بعيد بهم عن فكرة إله قوي يمتكرونها
 لأنفسهم إلى فكرة حاكم عالم . ومن ثم فإن السؤال عن أصل
 الروحانية بين اليهود سيظل بلا جواب ، أو أن علينا أن نرضى
 بالإحابة الجارية التي تقول بأن الروحانية كانت تعبيراً عن عبقريتهم
 الدينية الخاصة . ونحن نعلم أن العبقرية شيء غير مفهوم وغير
 مشلول ، ولذلك لا ينبغي أن نلجأ إليها كتفسير حتى يشمل كل
 حل آخر ^(١) .

(١) ينطلق قس النبي على الحالة المشهورة لوليام شكسبير (الشاعر الانجليزي)
 الذي ولد في ستراتفورد . (فرويد)

وبالعودة إلى الأخلاق : قد نقول ختاماً أن جزءاً من شرائعها
تفسره عقلياً ضرورة تحديد الحقوق التي يسقطها المجتمع على الفرد ،
والحقوق التي يتنازل عنها الفرد للمجتمع . والحقوق التي يعترف بها
الأفراد تجاه بعضهم البعض . وإن ما يظهر غامضاً ومبهماً وواضح
بنفسه باطنياً ليدرس صفاته إلى ارتباطه بالدين ، وبانتماء أصله من
إرادة الأب .



٦ — الحقيقة في الدين

كيف نحدد نحن أصحاب الإيمان القليل هؤلاء الذين يقتسمون
وجود قوة عليا لا يشكل العالم بالنسبة لها أية مشاكل لأن هذه القوة
نفسها هي التي خلقت كل نواحيه ! وكيف أن مذاهب المؤمنين
شاملة ومستوعبة ونهائية بالنسبة لمحاولات التضيق للمصطنعة النقية
المرقمة وهي أحسن ما يمكننا تقديمه . إن الروح الإلهية ، وهي في ذاتها
لثل الأعلى للكمال الأخلاقي ، قد زرعت داخل روح البشر للتعرف
بهذا المثل الأعلى والدافع إلى السعي نحوه في نفس الوقت . والبشر
محسوسون فوراً بما هو سام ونبيل وبما هو محط وحقير . وتقاس حياتهم
المعاصرة بالبعد بينهم وبين مثلمهم الأعلى . وإنه لينصحهم إشباعاً عظيماً
عندما يقتربون منه — قياساً إلى أقرب نقطة منهم إليه — أكثر

الزمن (١) يستحق أكثر مما يكفى من البراهين التى تدلل عليها .
 وكان نسخة الأخبار هدف يشه هدف الاتهام الذى جعل الإله
 الجديد يهود هو إله الآباء . فإذا أخذنا فى الاعتبار هذا المصالح الذى
 كان التشرع الكهنوتى ، من الصعب ألا نعتقد أن موسى كان
 حقيقة ماح شبه اليهودى الفكرة التوحيدية . ولربما نجد أنه من
 الأسهل أن نوافق على ذلك طالما أن فى وسعنا أن نقول من أين
 أتت الفكرة إلى موسى — وهو شئ لا بد أن الأخبار اليهود
 كانوا قد نسوه .

وهنا قد يسأل بعضهم ، ما الذى عنيه من نسبة التوحيد اليهودى
 إلى المصريين ، وأنتا بذلك لم تفلح إلا فى الرجوع بالشككة خطوة إلى
 الوراء ، ولكننا مع ذلك نعلم شيئاً عن أصل الفكرة التوحيدية .
 والإجابة على هذا السؤال هى أن المسألة ليست مسألة ما عنيه ، ولكنها
 مسألة تتعلق بالبحث ، وربما تعلمنا شيئاً ونحن نوضح العملية الحقيقية .



(١) يفر فرويد بمحدث تغييرات فى التوراة ، ومع ذلك فهو يشكك دليلاً على
 حدية موضوعه . (الحقيقى) .

٢ - فكرة الكون والتراث

ومكدا أعتقد أن فكرة الإله الواحد، وكذلك الإبراز المطالب الأخلاقية باسم ذلك الإله ، ونبت كل الطقوس السحرية ، كان صلا من العقيدة للوسوبة ، ولكنها لم تلق في أول الأمر استجابة ، إلا أنها لاقت تلك الاستجابة بعد زمن طويل ، وأخيراً عقدت لها السيادة . كيف يمكن تفسير هذه النتيجة التي جاءت متأخرة ، وأين تلقي بمظاهر مشابهة ؟ .

وقول لنا نظرتنا التالية أن هذه للظاهر نصادفها كثيراً في مجالات مختلفة جداً ، وأنها تحدث من الجائز بطرق مختلفة سهلة الفهم بشكل أو بآخر . ولتأخذ كشال مصير أية نظرية علمية حديثة ، مثلاً نظرية الارتقاء لدارون^(١) . إنها تقابل في أول الأمر بالرفض المادي ، وظلوا يناقشونها في صنف لضع حنوت ، واستقرت مع ذلك جيلاً واحداً قبل أن يسلموا بها كخطوة كبيرة نحو الحقيقة . ومنع « دارون » نفسه شرف المدفن في « وستمنستر أبي »^(٢) . ولا يوجد لنز في حالة كهذه . لقد أيقظت الحقيقة الجديدة مقاومات لها أثرها . وكان في

(١) تشارلز دارون : عالم طبيعي بريطاني من التطور والارتقاء ، ولدت نظريته اسطوانات وتكثرت لها من الكتب ، لأنها كانت تحالف نظرية الخلق في التوراة . (الملقن) .

(٢) مكان يدفن فيه عظماء بريطانيا . (الملقن) .

الإمكان مساندة هذه المقامات بمجيب تناقض الشواهد للزيادة للنظرية
 الكندرية . وظل صراع الآراء لفترة من الوقت . ومن البداية الأولى
 كان هناك المؤمنون بها وللمعارضون لها ، ولكن عدد المؤمنين
 وأهميتهم كان يزيد ثباتا حتى صارت لم الغلبة أخيراً . وطوال وقت
 الصراع لم ينس أحد القضية قيد البحث . ولا يدعشنا أن نجد أن
 العملية كلها استغرقت وقتاً طويلاً ، ومن المحتمل أننا لاستسيح بالمثل
 حقيقة أننا نتعامل هنا مع ظاهرة من ظواهر علم النفس الجماعي .
 ولا توجد صعوبة في الشرور على تشابه كامل بينها وبين الحياة العقلية
 لقد . وفي مثل هذه الحالة نسع عن شيء جديد ، يطلب منا استناداً
 إلى الشواهد المقدمة أن شبه كحقيقة ، ومع ذلك فإنه يتعارض مع
 الكثير من أمانينا ويضرب بمضا من معتقداتنا التي نعتز بها كثيراً .
 وسوف نتردد حيثئذ ، ونبحث عن حجاج تثير بها الشك حول المادة
 الجديدة ، ونناضل لذلك لفترة حتى سلم به أخيراً : « مع ذلك فهذا
 حقيقي ، ولو أني أجده صعوبة في قبله ، ومن اللؤل أن أضطر إلى
 الإيمان به » . وكل ما نعلمه من هذه العملية هو أنها تحتاج إلى الوقت
 كي يتغلب العمل الفكري للآنا على الاعتراضات التي تنديها للمشاعر
 القوية . ومع ذلك فهذه الحالة ليست مشابهة تماماً للحالة التي نحن
 بصدد توضيحها .

ويبدو المثل التالي الذى نضربه أقل ارتباطاً بالمشكلة التى نعالجها ،
 فقد يحدث أن يخرج شخص ما ، وكأنه لم يؤذ ظاهرياً من مكان عافى
 فيه حادثاً كأن يكون تصادم قطار . وفى حلال الأسابيع التالية مع
 ذلك تتطور لديه سلسلة من الأعراض النفسية والحركية والتى لا يمكن
 أن ترجع إلا إلى صدمته أو لأى شئ آخر حدث فى وقت وقوع
 الحادث . لقد أصيب «بصواب أذوى»^(١) . ويبدو ذلك غير مفهوم
 بالرة ، ومن ثم فهو حقيقة جديدة ، وبسبب الوقت الذى انقضى بين
 وقوع الحادث وأول ظهور الأمراض «دور الحضانة» ، تشبهاً بشكل
 خفيف بما يحدث فى علم الأمراض المعدية . ونلاحظ المراجعة الثانية —
 وبالرغم من الاختلاف الأساسى بين الحالتين ، حالة الصواب الأذوى
 وحالة التوحيد اليهودى — أن هناك تشابهاً فى نقطة واحدة هى السمة
 التى يمكن أن نطلق عليها اصطلاح «الكرون» ، فهناك من الأسباب
 أقواها للاعتقاد بأنه فى تاريخ الديانة اليهودية كانت هناك فترة
 طويلة ، قد قطع اليهود لصلتهم بالديانة اللوسوية ، لا يوجد بها أى
 أثر لفكرة التوحيد والنهى عن الطقوس والتأكيد على الجانب

(١) مصاب غشى تحرك صدمة عاطفية كما هو الحال فى المستبداء وفى بعض أنواع
 الخوف من موضوع من الموضوعات أو موقف من المواقف . وبسبب بالإنجليزية
 traumatic neurosis وكلمة trauma تعنى الأذى أو المرح أو الصدمة ومن
 فى كثير من الأحيان جسميه أو بنية ولكننا يمكن أن تكون عقلية فى شكل صدمة
 عاطفية تنتج اضطراباً فى الوظائف العقلية . (المعنى) .

الأخلاق . وهكذا يصبح لدينا الاعتماد لاحتمال ألا يكون البحث
عن حل لمشكلتنا إلا في موقف سيكولوجي معين .

وقد تقيمت لأكثر من مرة الأحداث في « قادش » عندما
اجتمع الجزمان اللذان كونا الشعب اليهودي اللاحق ، على قبول
الديانة الجديدة . وكانت ذكرى الخروج وصورة موسى مآثرال قوية
واحدة لدى اليهود الذين كانوا في مصر ، حتى أنهم أمروا على أن
يذهبوا في أية رواية لتاريخهم المبكر . وربما كان بينهم أحفاد لأفانس
عرفواهم أنفسهم موسى ، وربما كان ما يزال بعضهم يحس بنمسه
مصريا وكأول يحملون أسماء مصرية . ومع ذلك كانت له أسبابهم
الوجيزة « لكبت » ذكرى المصدر الذي وقع لزعيمهم ومشروعهم .
بينما كان الدافع الرئيسي لدى الجزء الآخر المكون للقبيلة هو تعصيد الإله
الجديد وإسكار أحتييته . واهتم كلا الجزئين اهتماما مساويا بإنكار
أنه كانت توجد ديانة مسكرة ، وإنكار ما كانت تحتويه بنوع خاص .
وكانت هذه هي الطريقة التي حرى بها التلاق الأول الذي ربما
سرعان مافن بالكتابة ، فلقد استعصر الشعب القادم من مصر معه
فن الكتابة وغرام كتابة التاريخ . ومع ذلك فقد كان لابد من
مرور وقت طويل قبل أن يطور المؤرخون الحقيقة الموضوعية كههدف
أمثل . وقد شكلوا في أول الأمر رواياتهم طبقا لحاجاتهم وميولهم

التي كانت المحفلة غرضها ، بصير مستريح ، كما لو كانوا لم يجهوا بعد معنى التزييف . وكنتيجة لذلك بدأ اختلاف بتطور بين النسخة المكتوبة والرواية الشفاهية — أى التراث — لنفس الموضوع . وما طمس أو غير في النسخة المكتوبة كل من الممكن جداً أن يحفظ دون إتلاف في التراث . وكان التراث هو التسمية وهو في ضل الوقت النقيض لتاريخ المكتوب . وكان أقل عرصة لتأثيرات المشوهة — وربما كان في جزء منه متحرراً منها كلية — ولذلك ربما يكون أصدق من الرواية المكتوبة . ومع ذلك فقد صد صدقه لنفسه وسبوكه أكثر من النص المكتوب ، لتمرره لتغيرات وتشويهات كثيرة بانتقاله من جيل إلى الجيل التالي بالشعاع^(١) . وقد تكون لمثل هذا التراث نتائج مختلفة . ولعل أكثر الاحتمالات حدوثاته هو إمكانية طمس النسخة المكتوبة عليه وطردعاه بحيث ينزوى تدريجياً إلى الظل وينسى آخر الأمر . ومن الجائز أن يلقى مصيراً آخر وهو أن يتحول هو نفسه في آخر الأمر إلى أن يكون نسخة مكتوبة . وهناك احتمالات أخرى ستذكر فيما بعد .

(١) يعود غرويد لك تأكيد دور التغيير في التراث اليهودي وهو ما أكدته التراكيب في أكثر من آية من آياته ، ومع ذلك يحدد غرويد على هذا العامل دائم التأثير في استغلال نتائج . وهذه التغييرات الثلاثة هي التي طغت سطر اليهودية واستوجبت إيداع النسخة ثم الإسلام أسيراً لبسغ الديكتاتور بسبب طمس الأحرف لعالم يهرب الحق فيها . (الخطي) .

وقد تحد ظاهرة فترة السكون في تاريخ الدين اليهودي تفسيراً لها في الآتي : أن الوقائع التي حاول مايسى بالتاريخ الرسمي المكتوب كتبها عن قصد لم تصح أبداً في الواقع ، وعاشت المعرفة بها في الروايات التي حفظت حبة بين الشعب . وطبقاً لإرنست سيلين كانت توجد مع ذلك رواية تتعلق بهابة موسى وتعارض معارضة تامة الرواية الرسمية وكانت أقرب إلى الحقيقة . وفس الشيء ، كما نفترض ، حدث مع للمعتقدات الأخرى التي لاقت نهايتها في الظاهر في نفس الوقت الذي لاق فيه موسى ومبادئ الديانة الموسوية — التي لم تقلها أغلبية معاصري موسى — نهايتها .

وهنا نلتقي بواقعة بارزة ، وهي أن هذه الروايات ، بدلا من أن تضعف مرور الوقت ، ازدادت قوة على مر القرون وشقت طريقها إلى تشريعات الروايات الرسمية اللاحقة ، وأخيراً دلت على قوتها بشكل حاسم بحيث أثرت في فكر ونشاط الشعب . ويبدو أن الظروف التي جعلت هذا التطور ممكناً أصد من أن تكون واضحة .

وهذه الواقعة عريية في الحقيقة ، لدرجة أننا نحس أن لنا ما يبرره عندما نحصلها من جديد . وفيها تكمن مشكلتنا ، فالشعب اليهودي قد ترك ديانة أتون التي أعطاها لهم موسى ، وتحول إلى عبادة إله

آخر يختلف قليلا عن بيلم^(١) التباثل الأخرى . وفشلت كل جهود التأثيرات للشوكة اللاسقة في إخفاء هذه الحقيقة للهينة . ومع ذلك فإن ديانة موسى لم تختلف دون أن تترك أثرا ، ولقد عاش نوع من ذكراها ، نوع من التراث حجب وشوه . وكان هذا التراث لماض عظيم هو الذى استمر في العمل في الخلفية ، حتى حصل أكثر فأكثر على المزيد من السيطرة على عقل الشعب ، ونجح أخيراً في تحويل الإله يهوا إلى أن يكون إله موسى ، وفي بئس الديانة التي أقامها موسى من قرون والتي تحولوا منها فيما بعد ، بمنها إلى حياة جديدة . وليس بالتصور المعتاد أن يكون لثراث كامن مثل هذا الأثر القوى على الحياة الروحية لشعب . وهناك محمد أنفسنا في مجال علم النفس الجماعي ، وفيه لا نحس أننا في بيتنا . وببني أن نبعث حولنا عن تشبيهات وعن حقائق لها طبيعة مشابهة حتى في المجالات الأخرى وأنا متأكد أني سوف أجدها .

وعندما كان الزمن ينضج لمودة ديانة موسى ، كان الشعب اليوناني يحسك كنزاً غنياً بشكل غير عادي وبحرارات وأساطير

(١) بيلم Basilim ، أو بيل : اسم أطلق على عبدة آلهة سامية أشهرها المبرود البيليني التي يراد به الشمس أو المشتري ، وانتشرت عبادته في إسرائيل حتى لاومها الأنبياء وخاصة إشعياء ولرميا . ومن كلمة حل اشتق من الزوج أو السيد كما تقول وب الأسرة . (المفتح) .

الأساطير ومن المعتقد أن القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد رأى
 حلق ملاح هومر^(١) التي استمدت مادتها من سيجج الأساطير .
 وبمعرفة السيكولوجية المعاصرة كان يوسفا من زمن قبل شليان
 وإيجانز (مؤرخين) أن سأل : من أين حصل الإغريق على كل هذه
 المادة من الأساطير والحرفات التي أحاطها هومر وكبار القداميين
 في «أتيكا»^(٢) إلى أعمال فية خالدة ؟ ولا بد أن تكون الإجابة :
 من المحتمل أن هذا الشعب قد مر في تاريخه للبكر مرحلة من العظمة
 والثقافة المتطورة جداً ، والتي انتهت بكارثة — كما يقول التاريخ في
 الواقع — وعاش منها تراث ضئيل في هذه الحرفات . وأكد البحث
 الأثرى للعاصر هذه النظرية التي فو قيلت في زمن مبكر لكانت
 بالتأكيد قد اعتبرت جريئة جداً . وقد اكتشف البحث الأثرى

(١) هومر : الشاعر القصص الإغريقي الأشهر صاحب الإلياذة والأوديسة اللتين
 تمدان من عيون الأدب القديم في العالم ، واتخذما كثير من النقاد قاطعت حول
 حقيقة نسبتها إلى هومر أو هوميروس ، وهو ما يسمى في الأدب باسم « المشكلة
 الهومرية » ، وكان تاريخ ظهورها القرن السادس قبل الميلاد ، وتدعى كل مدق
 اليونان نسبة هومر إليها ، وهناك من يشك في نسبة القصصين إلى شخص واحد ،
 فالمعروف أن الشعر القصص لا يمكن أن يكون مدحه شطراً واحداً رغم أن للقصتين
 قد كتبتا بجملة التشكلم التي يفس عن مشاعر ، ويكنى على التبدليل على عظمة
 الكتائين أن أسخيلوس الكاتب الشاعر المسرحي العظيم يقول عن مسرحياته أنها
 ليست سوى نك من مائة هومر الخالدة (المقيس) .

(٢) أتيكا Athens : مقاطعة في بلاد اليونان كانت عاصمتها أثينا ، وانتار أهلها
 بلالة الفنون والعبادة والفلسف . (المقيس) .

شواهد الثقافة المينوية^(٢) للمدينة^(٣) العظيمة ، والتي من المحتمل أنها كانت قد انتهت في أرض اليونان نفسها سنة ١٢٥٠ ق. م. ولا يكاد للؤرخون الإغريق في الزمن اللاحق يشيرون إليها . وهناك ما يشير إلى أن الكريتيين في يوم من الأيام قد سيطروا على البحر ، وهناك ذكر لاسم الملك مينوس Minoes وقصره ، وذكر قصر التيه ، ولكن هذا هو كل شيء . ولم يبق شيء من تلك الزمن العظيم إلا الروايات التي أمسك بها الكتاب النظام .

وتتلك شعوب أخرى ملهات شعبية كهده ، مثل المنود والفتلنديين^(٤) والألمان . والأمر متروك للؤرخ الأدبي ليتحرى ما اذا كانت نفس الظروف التي كانت للإغريق تنطبق عليهم بالمثل . وإلى لأحسب أن تحريا كهذا سيثمر نتيجة إيجابية . والظروف التي ميئها نشأة لللاجم الشعبية هي كالآتي : توجد فترة

(١) الملك مينوس Minoes ومنه سمى المينوية، ملك كريت و ابن يوروبا وزئوس وزوج باسيفاي ، وكان مصرعا وحكيما ، ولما رمته تروا المدينة التي عاصرت حرب طروادة . (المثنى) ،

(٢) نسبة إلى ميسبيا Mycenae من أرض اليونان وتشتهر بآثارها والتي التي يعرف باسمها والتي نما وازدهر بازدهار العصر البطولي في ميسبيا وطرواده . (المثنى) .

(٣) سكان فنلندة وهي جمهورية في شرق الاتحاد السوفيتي ظلت موضع نزاع بين روسيا والسويد ، ولكنها حصلت على استقلالها سنة ١٩١٧ بعد اندلاع ثورة أكتوبر الاشتراكية السوفيتية سنة ١٩١٧ . وتشتهر فنلندة بكثرة ملاحها وقصصها الشعبية . (المثنى) .

من التاريخ البكر تعتبر فيها بعد مباشرة كمتيجة لها دلالتها، ورائحة،
وربما هي دائماً بطولية، ومع ذلك فهي حدثت من زمن بعيد جداً،
وهي تنسب إلى زمن بعيد جداً، لدرجة أن الأجيال اللاحقة لا تتلقى
العلم بها إلا على هيئة رواية غامضة وغير تامة الأطراف، وكان
استغناء اللوحة كشكل أدنى في العصور اللاحقة مثاراً للدهشة، وقد
يكون تفسير ذلك أن الظروف التي تنتج لللاحم لم تعد موجودة.
لقد استهلك الموضوعات القديمة، وحل التاريخ محل التراث فيما
يتعلق بالأحداث اللاحقة، ولم تعد في وسع أشجع الأعمال بطولية في
مصرنا أن نلهم ملحمة؛ وكان للإسكندر الأكبر نفسه الحق في
سكواه التي تقول إنه ليس لديه شاعر مثل هورس يتحدث عن
حياته ويشهرها.

لقد كانت للعصور البعيدة نواحيها الجذابة جداً، وكانت أحياناً
نواح غامضة لغابة التي تشد انغليال، وطالما أن البشرية غير راضية
عن حاضرها — وهذا كثيراً ما يحدث — فإنها تنصت على اللاشيء،
وتأمل في النهاية أن تفوز بالإيمان من الحلم الذي لا ينسى أبداً، حلم
عصر ذهبي^(١). وربما كان الإنسان ما يزال يقف تحت سحر طفولته،

(١) بشكل موقف كهذا أسامة كتاب *Lays of Ancient Rome* by Macaulay وهو ما يتصل دور النقد الذي تحزنه المجلات السبعة التي تزق
الأحزاب السياسية لمصر، فيبجوها بالمقارنة بوحدة ووطنية أسلافهم. (فرويد).

التي تقدمها إليه فأكرة متعيزة لزم حافل بالسعادة التي لم تشبها شائبة . والذكريات غير الكاملة وللضبة الماضي ، والتي سبها تراثا ، هي دافع مقيم للفنان ، لأنه يكون حرا في ملء الفراغات في الذكريات طبقا لما تخليه عليه خياله ، وأن يشكل طبقا لما يقصد من هدف صورة الزمن الذي آل على نفسه إحياءه^(١) ، وربما جاز لنا أن هول تقريبا أنه كلما غص التراث وغلقه الضباب كلما كان أصح لاستخدام الشاعر ، ولعلك إذن القيمة التي يضيفها التراث على الشعر لا ينبغي أن ندهشنا ، وإن التشبيه الذي وجدناه في اعتقاد الشعر للنص على ظروف محددة سيجعلنا أكثر ميلا إلى نقل الفكرة القريبة التي تقول أن تراث موسى هو الذي حول مع اليهود عبادة الإله يهوا في اتجاه الديانة اللوسوية القديمة ، ومع ذلك فالقضية في نواح أخرى مختلفتان جدا ، والنتيجة في واحدة منها هي الشعر ، وفي الأخرى هي الديانة . وقد افترضنا أن الأخيرة — تحت تأثير التراث — قد بحثت بأمانة لا يمكن أن يقاس عليها الشعر للنص بطبيعة الحال ، ولعلك لا يتبقى من مشكلتنا إلا ما يمكن لبشيع على البحث عن قضايا تشبه قضيتنا شبا أكثر .



(١) ينفرد فرويد بأنه يصوغ الفرض هنا صياغة الفنان والشاعر ، وأنه لا يقدم حقائق عليه وإنما وجهة نظر . (الفتى) .

إن القضية الوحيدة التي نرضى حقاً بقشيتها بالعملية الراضية التي نعرفنا عليها في تاريخ الديانة اليهودية توجد في مجال يبدو بعيداً عن المشكلة التي نعالجها . ومع ذلك فالتشابه بينها تام جداً حتى ليقرّب من التعاطق .

وهنا مرة أخرى نجد ظاهرة الكون^(١) ، وظهور شواهد غير واضحة في حاجة إلى التفسير ، وشرطاً صارماً لتجربة مبكرة ، ومن ثم فهي منسية . وهنا أيضاً نجد صفة الجبر^(٢) - التي تنقلب على التفكير ، للنطق - تشغل بقوة الحياة النفسية ، وهي صفة لم تكن موجودة في أصل تكوين المصلحة .

وهذه القضية للتشابه تقابلنا في علم الأمراض النفسية : في تكوين

(١) الكون في أدب التحليل النفسي هو ظاهرة تراجع الحدث إلى منطقة شبه الفعور ، أما فترة الكون فهي فترة الطقولة الانشائية الممتدة من سن أربع سنوات إلى سن خمس سنوات وإلى بداية المراهقة ، وهي الفترة التي تفصل بين المرحلة الجنسية الطفلية والمرحلة الجنسية العادية . (الحني) .

(٢) الجبر هو نظرية للسمية تقول إن كل ظواهر الحياة النفسية هي نتائج ضرورية لتطوّر الوجود السلف ، والمحتبة أو الجبر مقولة من مقولات العلم الواسع وكذلك التحليل النفسي وخاصة نظرية الأسلام عند فرويد . (الحني) .

العصاب^(١) الإنساني ، أى فى النظام الذى يخشى إلى علم النفس
التردى^(٢) ، ينشأ ببنى النظر بالطبع إلى الظواهر الدينية على أنها جزء
من علم النفس الجماعى^(٣) ، وسنرى أن هذا الشبه لا يثير الدهشة كما يبدو
لأول وهلة ، بل أن له فى الواقع طبيعة الابدبيات .

والانفعالات التى عاينناها فى سن مبكرة ونسيناها فيما بعد ،
والتي نسبت أنا إليها هذه الأهمية الكبيرة لأسباب الأمراض المصاحبة ،
تسمى انطباعات أذوية^(٤) . وقد يبقى السؤال مفتوحاً إذا كان ببنى

(١) العصاب *neurosis* بالمعنى القديم هو النقاط الذى يمارسه الجهاز العصبي وهو
بالمعنى الحديث اضطراب وظيفي ، أصله قس ، يصيب الجهاز العصبي ، وهو يختلف
عن العصاب النفسي *psychoneurosis* ، وهذه المخلوقات النفسية ظاهرة صراع
يتضمن استبعاد كل من طرفي أساسي . وتحدث المخلوقات النفسية كذلك عن العصاب
الحقيقي *actual neurosis* وهو العصاب الذي له أصل حقيقي . (المعلق) .

(٢) علم النفس الفردي *individual psychology* هو علم النفس الذي يتناول
الاختلافات الفردية ويدرسها ويشرحها ، أو هو علم نفس هذا النوع من علم النفس
التحليلي الذي وضع أساسه وطوره العالم الممثل النمساوي أدلر . (المعلق) .

(٣) علم النفس الجماعي *group psychology* أو *mass psychology* وهو
علم النفس الذي يدرس الجماعات الاجتماعية وسلوكها الجماعي ، وهو علم يصح فيه
علم النفس وعلم الاجتماع ، وهو يتناول بالوصف والتجريب والتحليل سلوك الفرد
مع الأشخاص الآخرين واستجابته لهم سواء كانوا مجتمعين أو متفرقين . (المعلق) .

(٤) *trauma* هي الأذى أو الجرح أو الصدمة ، وهي في كثير من الأحيان
جسدية أو بنية ، ولكنها كذلك يمكن أن تكون عقلية في شكل صدمة عاطفية تنتج
اضطراباً في الوظائف العقلية . (المعلق) .

النظر عموماً إلى أسباب الأمراض العصبية بوصفها أسباباً أذوية ،
والاعتراض الواضح هو أن التعارب الأذوية لا تبين دائماً في التاريخ
للمرء لفرد العصائى . وكثيراً ما ينبغي أن نشع بأن قول بأنه لا يوجد
شئ سوى رد فعل غير عادى للتعارب والمطالب التى يمكن أن تطبق
على كل الأفراد وينفعل كثير من الناس تجاهها بطريقة أخرى قد
نصفالح على نسبتها سوية . وحيث لا يمكن أن نجد تفسيراً آخر سوى
الميل الوراثى أو البنى (من نية) ، نربط بالطبع أن قول إن المرض
العصائى لم يكتشف فجأة ، ولكنه تطور ببطء .

ونبرر بهذا الخصوص نقطتان ، الأولى أن تكوين العصاب يعود
دائماً إلى انفعالات مبكرة جداً لأيام الطفولة^(١) . والنقطة الثانية هى :
من العوائب القول بأن هناك حالات تستطيع أن تنعيبها جانباً وقول
عنها إنها « أذوية » ، لأن فى الإمكان إرجاع آثارها بلا خطأ إلى
اضلال أو أكثر من الانفعالات القوية التى كانت لهذه المرحلة
المبكرة . ولقد فشلت هذه الافصالات عن أن تنصرف بشكل سوى ،

والعصاب الأذوى traumatic neurosis هو عصاب نفسى نمركه صدمة
عاطفية كما هو الحال فى المستعيرى وفى سبب أنواع الخوف للرعى من موضوع من
الروصحات أو مواقف من المؤلف . (الحقيقى) .

(١) ولهذا كان من الصعب الإصرار على إسكان ممارسة التبطيل النفسى مع
استعداد قترات الحياة المبكرة من طلاق بموتنا ؛ ومن ذلك فإن هذا الزعم ثالث به
دوائر كثيرة . (فرويد) .

حقى لننص بالليل إلى القول بأنه لو لم يحدث هذا الشيء أو ذلك لما كان هناك مرض عصائى . وحتى لو قصرنا التشبيه محل البحث على هذه الحالات الأذى لكان هذا كافياً للفرض الذى نحن بصدده . ومع ذلك فالهوة بين المجموعتين لا تبدو وكأنها لا يمكن وصلها . ومن الجائز جداً ربط كل من الظروف السلبية فى مفهوم واحد ، وكل شيء يعتمد على ماهو الأذى ، فإذا جاز لنا أن نفترض أن التجربة لا تكتسب صفاتها إلا طبقاً لعنصر كنى — بمعنى أنه إذا كانت الصعوبة تثير ردود فعل مرضية غير عادية ، فصدر الخطأ هو أنها أكثر من طلباتها على الفرد إكثاراً شديداً — فإنه يمكننا بالتالى أن نستخلص هذه النتيجة : أن شيئاً ما يمكن أى يتسبب فى الأذى لبيئة ما ينما لا يتسبب فى ذلك مع بنية أخرى . ومن ثم يبدو كما لو كان عندنا مقياس متغير ، أو ما يمكن تسميته سلسلة مكملة لمعصها البعض ، حيث يتجه عنصران إلى تسكئة الأسباب ، فالتنص فى عنصر تعوض الزيادة فى العنصر الآخر ، ويصل العنصران ١٠٠ - معاً ، ولا يسعنا أن نتحدث عن وجود دافع بسيط إلا عند كل طرف من طرفي السلسلة . وكنيجة لهذا التفسير يوسنا أن سهل الاختلاف بين الأسباب الأذى وغير الأذى باعتبار أنها لا لهم التشبيه الذى نحن بصدده . ورغم أننا نحاطر بأن نكرر أعزاء ، فن الجائز أن يكون من

التفيد أن نجمع مما الحقائق التي لها صلة بالتشبيه الملمع موضوع البحث .
وهي كالآتي : قد أوضحت بمحونا أن مانسبه ظواهر أو أمراض
العصاب هي نتائج تجارب واتصالات مميعة ، نعلم لهذا السبب منه
بأنها أذوبات لها مسبباتها . ونود أن نثيق ، ولو بمحدد طريقة
إيجالية ، من السمات المشتركة بين هذه التجارب وبين الأعراض
المصاحبة .

ولنناقش أولا التجارب . فكل هذه الظواهر الأذوية ظواهر
تنشئ إلى مرحلة الطفولة ، وتحدد الفترة حتى يحول من انطامه ،
وواحد أن الاتصالات في الوقت الذي يبدأ فيه الطفل في التحدث لها
أهميتها الخاصة . والفترة الواقعة بين عمر سنتين وعمر أربع سنوات
هي أهم فترة . ولا يمتنا أن نقرر بأي درجة من اليقين متى تبدأ هذه
الحساسية للتجارب الأذوية بعد الولادة مباشرة .

وكقاعدة نسي التجارب موضوع البحث نسبيا تاما وتظل
بمناى عن القاكرة ، وتنشئ إلى فترة التقنان الطفولي للداكرة التي
كثيرا ما تنشلها ذكريات متقطعة ممزولة ، أو مايسى « ذكريات
حاحبة » .

وتتعلق هذه الذكريات باتصالات لها طبيعة حسية — عدوائية ،

وتتعلق كذلك بالأذى الذى يحيق بالذات (الذى يحيق بالترحية)^(١) وينبغى أن نضيف أن الأطفال فى هذه السن المبكرة لا يكونون قد عرفوا بعد كيف يميزون بين الأفعال الجنبية والأفعال المدوابة الخالصة تمييزاً واضحاً جداً كما يحدث لهم فيما بعد (من ذلك سوء الفهم الساذج)^(٢)

(١) الترحية Narcissism : من حب الذات حاً طافياً ، ويبتغىها المخلوق النفسى مرحلة مبكرة من مراحل التطور النفسى الجسدى ، وفيها يكون موضوع الحب هو الذات ، وتقتل مسكوناً فى هذا الصرب من البشر النفسى النوع الترحسى أو أنها تؤكده . والصفة المؤهوية فى كل صروب الترحية أن هناك دائماً انشغالا حطوطاً بالنفس ويكمل اهتمامت صاحبها .

والترحية سميت كذلك نسبة إلى رجبس أو رجبس Narcissus ، وهو شخصية أسطورية أغريقية يقال أنه كان شديد الوله بصورة نفسه فقد نطقت يوماً إلى مياه إحدى الشانوريات فنظر فى الماء صورة نفسه وكلف بالصورة وأحبها حاً ملك عليه حياته ، حتى قفز آخر الأمر إلى الماء ليلقى بالصورة وقرن ومات وصار الزهرة التى تسمى باسمه وهى زهرة الترجس . (الملقى) .

(٢) الساذجة Sadeism : خزل من الانحراف النفسى وتعرف عند أصحاب مدرسة التحليل النفسى ، ونفى أن أصحابها لا يتحصل القوة الجنبية إلا بتعذيب وإساءة معاملة من يجب من الحبس اللغائل ، وأحياناً يطلق الساذية محمولاً على حب اللسوة . والساذية أحدث من اسم « ساد » وهو « المازكير دو ناتيان دى ساد » Sade (١٧٤٠ — ١٨١٤) الكاتب الفرنسى الوجودى ، وكان يعيش الحياة التى يصورها فى أدبه حياة تنسم بالضرورة والتمرد على كل القيم حتى الله . ومن رأيه أن الدنيا قد خلقت وفيها الصعاب والأقوياء ، وأن الحكومة للأقوياء ، وإن لزيادة القوة فوق كل لؤاده ، ولد أسيب ملونة عقلية ، وسجن سهاراً ، واتهم بتعذيب صحابه من النساء ، وهجرته روحته ، وكان يتصل بالنساء اتصاله بالرجال ، ومات فقيراً مريضاً تمديه الأمراض ، وكانت رواياته مخطوطة ، وكثيراً ما تنشرها سراً وبأسماء مستعارة ، وللكاتبة الوجودية الفرنسية سيمون دى بوفوار بحث بمنح فى حياة المازكير دى ساد ومن اسمه النفسى فرويد اسم الساذية . (الملقى)

للفعل الجنسي) . ومن المجهوب حقاً أن يسود العامل الجنسي ، وعلى
النظرية أن تدخل ذلك في اعتبارها .

وهذه النقاط الثلاثة — وهي الأحداث المبكرة في السنوات
الخمس الأولى (من حياة الطفل) ، والنسيان ، والسهات التي تميز الجنسية
والمدوانية — تنسب في قارب إلى صفها الجسم . والتجارب الأذوية
إما تجارب حسية أو مدركات ، وخاصة للمدركات التي تسمع وترى ،
أي أنها إما تجارب أو أعمال — وترتبط النقاط الثلاثة نظرياً ،
أي بالتعليل . وهذه الطريقة وحدها هي التي تعطى للمرة بالتجارب
للنسية أو — بصياغة الجملة بطريقة محسوسة أكثر ، ولو أنها طريقة
أكثر خطأ — أنها الطريقة التي تنسب إلى القاكرة التجارب للنسية .
وقول النظرية أن الحياة الجنسية الإنسانية — أو ما يتوافق فيها بمد
معها — تبدى على عكس ما هو شائع ، فتتعا مبكراً ، يبلغ نهايته
في عمر من الخامسة ، ثم يقبها ما يسمى بفترة الكسبون — التي تستمر
حتى سن البلوغ — وخلالها لا يسود هناك مزيد من التطور الجنسي ،
بل بالعكس فالكثير مما تحقق يحدث له نكوص . ونشأ كد النظرية
بالدراسة التشريحية لعمو الأجهزة التناسلية الداخلية وفتح أن الإنسان
قد خرج من نوع من الحيوانات يكون ناتجاً جنسياً في سن الخامسة .
ويشار الشك في أن تأجيل الحياة الجنسية فيما بعد الخامسة وحتى البلوغ ،
ثم عودتها من جديد للمرة الثانية ، له علاقة كبيرة بالانتقال من

مرحلة هذا النوع الحيوانى إلى مرحلة البشرية . ويبدو أن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى له فترة كرون وجنسية متأخر . وقد تكون البحوث التى يمكن أن تُجرى على الحيوانات الثديية الراقية ، وهى على قدر ما أعرف لم تُجرِ للآن ، اختصاراً للنظرية لاختراق قيمته . وينبى أن يكون توافق فترة النفدان الطولى لداكرة مع هذا التفتح المبكر للجينية ، أسرها دلالة النفسية . وربما كان وضع الأمور بهذا الشكل هو الشرط العرورى لوجود المصاب ، الذى يبدو أنه امتياز اختصر به الإنسان ، ويبدو فى هذا الضوء كما لو كان يشأ من الأزمان البدائية - مثله فى ذلك مثل بعض أجزاء الجسم .

ماهى السمات المشتركة لكل الأعراض المعصية ؟ إننا هنا قد نشير إلى همتين هامتين ، فآثار التجربة الأذوية لها جانبان ، أحدها إيجابى والآخر سلبى ، والآثار الإيجابية هى محاولات إحياء التجربة الأذوية وتذكر التجربة النفسية ، أو أكثر من ذلك جملها واقعية - مما يشأ اعتمادتها مرة أخرى ؛ فإذا كانت علاقة ميكرة لها أثرها فإنها تبعث فى ارتباط تشيى مع شخص آخر . وتتلخص هذه المحاولات فى اصطلاح « تثبيت التجربة الأذوية » و « تكرار - الجبر » ، ويمكن إدماج النتائج فيها بسى الأما الطيسى وإضفاء صفات ثابتة عليه فى شكل اتجاهات ناجية ، مع أن - أو بالأحرى بسبب - السبب الحقيقى فى هذه النتائج وفى أصلها التاريخى ، قد كسى . ومن

ثم فإن الإنسان الذي قضى طفولته متعلقاً بأمه تعلقاً مثالي فيه ولكنه نسيه منذ الطفولة ، قد قضى كل حياته يبحث عن امرأة بوسمه أن يستمد عليها ، تعلمه وترعاه . والفتاة التي ينور بها في الطفولة المبكرة قد توجه حياتها الجنسية للمستقبل نحو إثارة مثل هذا المدوان مرة تلو المرة . وهكذا نرى أن فهم مشاكل المصاب يمكننا من النفاذ إلى أسرار تكوين الشخصية عموماً .

أما ردود الفعل السلبية فهي تقع هدفاً متناقضاً ، وهما لا تبقى شيء يمكن تذكره أو تكراره من التجربة الأذوية الجنسية ، ويمكن لجميع ردود الفعل السلبية مما وصفها ردود فعل دفاعية ، وتعتبر عن نفسها في تجنب النتائج ، وهو اتجاه قد يبلغ ذروته في الكف أو الغلوف . وتسهم هذه الردود السلبية كذلك بدرجة كبيرة في تشكيل الشخصية ، وهي في الواقع تمثل تثبيت التجربة الأذوية بدرجة لا تقل عما تمثل ردود الفعل الإيجابية ، ولكنها تقع الاتجاه المناقض . وتشكل أعراض المصاب الصحيح انتقاء تسهم فيه كل من الآثار الإيجابية والسلبية للتجربة الأذوية ، وأحياناً ما يبرز أحد المنصرين على الآخر . وتخلق ردود الفعل هذه للتعارضة صراعات لا يقوى الفرد كقاعدة على حلها .

والنقطة الثانية هي : أن كل هذه الطواهر والأعراض وكذلك

قيود الشخصية والتغييرات المستمرة في انطلق ، تظهر خاصية الجبر ،
 أى أنها تملك شدة نفسية عظيمة واستقلالاً بعيد للذى عن العمليات
 النفسية بتلام مع مطالب العالم الواقعي ويطيع قوانين التفكير المدقق .
 وهي لا تتأثر بالواقع الخارجى ، ولا تبال بالأشياء الواقعية أو بما
 يساويها ذهنياً ، حتى أن يوصفها أن تنشط نشاطاً بارزاً ، فهي
 كالحكومة من داخل الحكومة ، أو هي كالحزب للنبي ، لارجى له
 فائدة للمصالح العام . ومع ذلك فهي يوصفها أن تنجح في التغلب على
 الآخر ، الذى يقال له المنصر للركب السوى ، وأن تنجح في إرغامه
 على العمل في خدمتها . فإذا حدث ذلك فإن سيادة الواقع النفسى
 الداخلى تنجح على واقع العالم الخارجى ، ويفتح الطريق إلى الجنون .
 وحتى لو لم تبلغ السألة هذا الحد فإن الأهمية العملية للمصراع لا يمكن
 قياسها . وتشكل أنواع الكف بل وعدم القدرة على التعامل مع
 الحياة ، التى للناس الدين يسيطر عليهم المصائب عاملاً مهماً جداً فى
 المجتمع الإنسانى . ويمكن اعتبار المصائب تميراً مباشراً « لتثبيت »
 مرحلة مبكرة من ماضيه .

وماذا عن الكون ؟ إنه سؤال مهم شكل خاص فيما يتعلق
 بالتشبيه الذى نحن بصدده . إن تجربة أذوية تمر بها مرحلة الطفولة
 يمكن أن يتبعها مباشرة عصاب خلال الطفولة ، ويشكل ذلك مجهرًا

الدفاع يصحبه تشكيل الأعراض . وقد يدوم المصاب لمدة طويلة
ويسبب اضطرابات مثيرة ، أو قد يظل كامناً ويفضل أمره . وكقاعدة
فإن الدفاع تكون له اليد العليا في مثل هذا المصاب ؛ وفي أى حادث
تظل التغيرات في الشخصية ، مثل الندوب ونادراً ما يستمر عصاب
الطفولة بدون فترة تتخلل عصاب البالغ . والأكثر من ذلك أن
زمننا من التطور الذى لا يتركه شيء غالباً ما يتلوّه ، وهى عملية يمكنها
أو يسهلها الكون الفسيولوجى . ولا يظهر التغير إلا مؤخراً وبه
يتصح المصاب شيئاً كآثر من آثار التجربة الأذوية تأخر ظهوره .
ويحدث هذا إما وقت البلوغ أو فيما بعد بقليل . وهو يحدث في الحالة
الأولى لأن المراكز وقد قهرها النصح الدنى يمكنها من تحديد أن تنولى
المركبة التى هزمت فيها أول الأمر . ويتضح المصاب فيما بعد في الحالة
الثانية لأن ردود الفعل والتغيرات في الشخصية التى تحدثها وسائل
الدفاع تدل على أنها عائق يحول دون حل مشاكل الحياة الجديدة ،
ومن ثم تقوم صراعات خطيرة بين مطالب العالم الخارجى ومطالب
الأنا الذى يحاول أن يحافظ على التنظيم الذى طوره بمشقة في كنفه
الدفاعى . وينبغى الإقرار بأن ظاهرة الكون في المصاب تقع بين
ردود الفعل الأولى للتجربة الأذوية والتطور اللاحق للرض
كظاهرة طرازية .

ويمكن اعتبار الرض كذلك محاولة للعلاج ، محاولة لمصالحة الأنا

النفس - قسمته التجربة الأدبية - مع باقي الجهاز النفسى ، ولتوحيده
 فى كل قوى لديه القدرة على مجازاة العالم الخارجى - ومع ذلك فإن
 مجهودنا كهذا نادرا ما ينجح مالم ننع إلى مساعدة التحليل النفسى ،
 وحتى مع ذلك لا يتحقق النجاح دائما . وكثيرا ما ينتهى تدمير الأنا
 وتحطيمه تحطيا تاما ، أو بأن يغلب الأنا على أمره بالجزء الذى انفصل
 عنه مسكرا والذى سيطرت عليه منذ ذلك الحين التجربة الأدبية .

ولكى أقنع القارئ بحقيقة ما أقرره هنا أجد من الضروري
 أن أسرد عليه عددا من تاريخ حياة عدد من المرضى العصبيين .
 ولكن صسوة للوصوع تودى إلى الاستطرافيه بشكل كبير وتدمير
 شخصية هذا اللقال تماما ، وقد يتحول إلى كتيب فى الأمراض
 العصابية ومن ثم عرض الاقتناع به على قلة من الناس الذين وهبوا
 كل حياتهم لدراسة وممارسة التحليل النفسى ، ولكر حيث أن هـا
 أتحدث إلى جمهور أكبر فليس لى إلا أن أسأل القارئ أن يجرب
 تصديق المرض المختصر الذى أتم قراءته حالا ، وأنا من جهتى أوافق
 على ألا حاجة به إلى تقبل النتائج التى خلصت إليها والتى أضعها أمامه
 إلا إذا تبين أن النظريات التى تقوم عليها قد ثبتت صحتها .

ورغم ذلك يوسى أن أجرب سرد حالة واحدة ستظهر بوضوح
 كثيرا من خصائص العصاب التى أوردتها قبالا . ولا يمكن بالطبع

أن تبين حلة واحدة كل شيء ، ولذلك لن يحجب رجائي إذا بدت
محتوياتها بعيدة عن التشبيه الذي نسمي إليه .

كان هناك ولد صغير يقاسم أبويه جرة نومهما كما يحدث كثيراً
في أسر القشرة الدنيا من الطبقة للتوسطة ، وكانت له فرص كبيرة بل
ومتظمة يشهد فيها جماعاً جنسياً بين أبويه في سن لم يكن فيها قد بلغ
القدرة على الكلام . ورأى كثيراً وسمع الأكثر . وفي مصابه
اللاحق ، الذي انبثق فور أول قنف منوى له ، كان النوم أول
عرض بصيبه وأكثر الأعراض مشقة له ، فقد صار حساساً بدرجة
غير عادية للصواء أثناء الليل ، وإذا أوقف لا يستطيع أن ينام مرة
أخرى . وكان هذا الاضطراب عرضاً توفيقياً حقيقياً : فهو من ناحية
تصير عن دفاعه ضد ملاحظاته القليلة ، وهو من ناحية أخرى المحاولة
لاستعادة اليقظة التي مكنته من الاستماع إلى تلك التجارب .

وبدأ الوالد وقد أثارته تلك للملاحظات في وقت مسكر وبعت
فيه رحولة عدوانية ، بدأ يشير قصبه باللماسة ويقوم بمحاولات خفية
يحتري بها على أمه ، واضماً نفسه بهذه الطريقة في مكان أبيه بأن
يرى نفسه فيه ، واستمر الحال على هذا الوصف حتى نهزته أمه أخيراً
عن ملامة قصبه وهددته باطلاع أبيه ليمتزع منه عضوه للسوء .

ويترك هذا التهديد بإخصائه^(١) أثرًا قويًا جدًا أذوياء على الولد ، وهو يكبت نشاطه الجنسي وتعرض شخصيته للتغيير ، وبدلاً من أن يرى نفسه في أيه بدأ يخشاه وبدأ يسلط إزاءه سلوكاً سلبياً ، وأحياناً ما كان يمصاه من وقت لآخر ويثير أباه بهذه الطريقة إلى إنزال العقاب البدني به . ولهذا العقاب البدني معنى جنسي بالنسبة له ، وهذه الطريقة كان يوسعه أن يمثل ضده في أُمه التي تساء معاملتها . وبدأ يلتصق أكثر فأكثر بأُمه كما لو كان لا يستطيع أن يتحمل الوجود بدون حبها حتى ولو الاحتفظ طالماً أن هذا الحب بشكل بالنسبة له حماية ضد خطر الإخصاء الذي يهدده من قبل أيه . واهضت فترة الكون في هذا التعديل لتقطة أوديب^(٢) ، وبقيت متحررة من الاضطرابات الواضحة ، وصار الولد طفلاً نموذجياً وكان ناضجاً في الدراسة .

(١) الإخصاء Castration هو إزالة الخصيتين من الذكر أو اليصبين من الأنثى ، وما بعد الجنس . ويعرف القتل الخشائي Castration anxiety في التحليل النفسي وهو القلق أو الخوف المرافق لتسكرة إزالة التمدد الجنسية ، كما يعرف أحياناً عقدة الخشاء Ostration Complex وهي العقدة التي تسببها تهديدات إزالة التمدد الجنسية . (الحنفى) .

(٢) عقدة أوديب Oedipus أو Edipus هي عقدة في نظرية التحليل النفسي . والعقدة عمومًا لاشعورية وتنمو في الابن من التصاقه بأُمه (الصلة الجنسية السات طاقاً للسلطة) وغيرة عليها من أبيه مع ماينتج ذلك من شعور بالحب والصراع الخائفي . وتعالجها في الأنة عقدة التسكرة . وهي تنسب إلى أوديب ملك الإغريق الذي تزوج أُمه وأحب معها ، والفرق بين العقدة والأسطورة أن أوديب في الأسطورة لم يكن يعرف أنها أُمه . (الحنفى) .

وحتى الآن تنبعا الأثر المباشر للتحزبة الأذوية وأكذنا وجود
مرحلة كون .

وقد أتى ظهور البلوغ معه بالعصاب الواضح ، وأبان عن عرضه
الرئيسى الثانى وهو العجز الجئسى ، قد قد كل حساسية له فى قضيه
ولم يحاول أبداً أن يلمسه ، ولم يحز على الاقتراب جنسياً من امرأة .
وظلت نشاطاته الجئسية محدودة داخل نطاق الاستمنا .
النفسى للمحروب بمحالات سادية ماسوكية⁽¹⁾ يسهل عليه فيها
استرجاع الأثر الذى خلفته عنده ملاحظة ما كان يدور بين والده
من جماع فى وقت مبكر من حياته .

وتحول اندفاع الرجوة المتزايدة التى أتى بها البلوغ إلى كراهية
شديدة لأبيه ومعارضته له . وهذه العلاقة السلبية المتطرفة مع أبيه ،
التي أضرت بمصلحه حتى الآن ، كانت السبب فى فشله فى الحياة
ومصراعاته مع العالم الخارجى . ولم يكن يوصيه أن يسمح لنفسه أن
يكون ماجعا فى مهنته لأن أباه قد أحبره على امتهاها . ولم يكن

(1) الماسوكية Masochism هى اللذة وخاصة اللذة الجئسية ، التى تحدث لدى
صاحبها فى حالات إزال ألم جسدى به . وهى قد تنمىها مدرسة التحليل النفسى
فى ضوء التأثير التخميري أو ما يسمى بـ "death instincts" ، وترتبط
بالف . واسم الماسوكية مأخوذ من اسم الكاتب النموى ماسوك Masoch وكان
مرضا بهذا لثناء النفسى . (النفسى) .

يمتد صداقات مع أحد ، وكان على صلات سيئة برؤسائه دائماً

ووجد أخيراً زوجة بعد وفاة أبيه وبعد أن أهيته هذه الأعراض
وألوان العصر ، وحينئذ ظهر جوهر أخلاقه والصفات التي جعلت من
المسير معاشته . وتطور إلى شخصية مطلقة الأمانة طاغية وقاسية ،
وكأن من الضروري له بشكل واضح أن يعاقب ويصططد
الناس الآخرين . وكان صورة طبق الأصل من أبيه ، وكان على
صورته التي شكلتها ذاكرته ، أي أنه بحث تحت نفسه في أبيه
father-identification الذي رآه نفسه كطفل سب دواع حسية .
وفي هذا الجزء من المصاب تتعرف على عودة الكسوت الذي —
بالتأثير المباشر لتجربة الأدوبة وظاهرة الكسوت — وصفته بأنه
على رأس الأعراض الرئيسية للمصاب .

• • •

٤ - التطبيق

التجربة الأدوبة للبكرة - المصاعب - الكسوت - نعيم
المصاب - العودة الجزئية للعادة المكيوتة : كانت هذه هي الصيغة
التي كونها عن تطور المصاب . وإلى الآن سأقدم التقارىء أن يسير
خطوة إلى الأمام وأن يتعرض أنه في تاريخ الجنس البشرى قد حدثت

شيء ما يشبه الأحداث التي تجري في حياة الفرد ، أى أن البشرية ككل مورت كذلك بصراعاتها طليعة جنسية عدوانية تركت آثارا دائمة ، ولكنها قوامت في الجزء الأكبر منها وتنوسيت ، ومن بعد ، وبعد فترة طويلة من الكون ، مئت مرة أخرى وحلفت ظواهر نشه في مباهها وأنماها الأعراض المصائية .

وأعتقد أنى تنأت بهذه العمليات وأرغب أنى أبين أن نتائجها ، التي تشه شها قويا الأعراض المصائية ، هى ظواهر الدين . وطالما أنه من غير الممكن أكثر من ذلك وعدا اكتشاف نظرية الارتقاء ، الشك فى أن البشرية كان لها تاريخ قبل التاريخ للكتوب . وطالما أن هذا التاريخ غير معروف (أى أنه مسمى) فإن مثل هذه النتيجة معنى البديهية قريبا . فإذا قلنا أن التصارب الأذوية ذات الأمر والتي كُسى ، تمزى ، هنا وكذلك هناك ، إلى الحياة فى الأسرة الإنسانية ، لوجب أن نرحب بهذه المعلومة باعتبارها نعمة غير مرئية محض بها حلا ولكنها كانت متوقعة من المناقشة السالفة .

ولقد سبق لى أن تناولت هذا الموضوع ، منذ ربع قرن مضى ، فى كتابى (الطوطم والحرم « Totem and Taboo » ١٩١٢) وما حلّ إلا أن أكرر ما قلته هناك . وبدأت للمناقشة ببعض للحركات

التي ساقها دارون^(١)، وضمت فكرة قال بها أنكتسون^(٢). وهي تقول: أن الناس عاشت في الأرمان البدائية في عتائر صغيرة، كل منها يحكمها ذكر قوى. ولا تعرف متى كان ذلك لعدم توفر المعلومات التي تقدمها الكشوف الخاصة بطبقات الأرض، وربما لم يكن الإنسان متقدماً كثيراً في فن الكلام. ويقوم حظه كبير من المناقشة التي تقدمها على أن البدائيين، بما فيهم كذلك كل أسلافنا، جرى عليهم المصير الذي سنصفه الآن.

ونحكي القصة بطريقة مركزة جداً كما لو كان ما استغرق في الحقيقة قروناً لتحقيقه، وفي خلال ذلك الزمن الطويل تكرر بلا حياءٍ، قد حدث مرة واحدة. وكان الذكر للقوى هو صيد وأبو العشرة كلها، لحدود قوته التي استخدمها بوحشية. وكانت كل الإناث ملكه، وكل الزوجات والبنات في عشيرته وكذلك كل القواني يسرقن من العشائر الأخرى، كن ملكه. وكان مصير

(١) دارون Darwin: شارلز دارون من الفكريين المهورين، أي الذين يمترون قطع تحول في تاريخ الفكر (١٨٠٩—١٨٨٢) ولد في إنجلترا، وهو عالم سائنس كنه أصل الأنواع الذي أثر على الفكر العالمي مدركة لم يسبق لها مثيل حتى لست مجموعة سباده باسم المارويج، ولقد أثر على فرويد تأثيراً كبيراً وتلاحظ أن المهاد العنسي مثل مبدأ الطبيعة قد أحله فرويد عن دارون، وهو ما كان محل نقد من علماء النفس اللاعنطين الذين هاجموا مبدأ الطبيعة فيه.

(٢) عالم إنجليزي.

الأبناء فلسيا ، فإذا أثاروا غيرة الأب كانوا يقتلون أو يخنقون أو يطردون . وكانوا يضطرون إلى السك، في جموعات صغيرة ، وأن يزودوا أنفسهم بالزوجات بأن يسرقوه من الآخرين ، ثم قد ينتج واحد أو آخر من الأبناء في التوصل إلى موقف يشبه موقف الأب في العشيرة الأصلية . وتحقيق موقف موات بطريقة طبيعية : وكان هو موقف الابن الأصغر الذي قد يستفيد من تقدم سن أبيه ، بحبه في ذلك حب أمه له ، ويحل محل الأب بعد موته . ويبدو صدق طرد الابن الأكبر مهوما بكثير من الأساطير والخرافات ، وكذلك صدق مركز الخطوة التي بناها الابن الأصغر .

وتوجد الخطوة الخامسة التالية نحو تغيير هذا التوجس من التنظيم الاجتماعي « في النظرية التالية : أن الإحوة الذين طردوا وعاشوا مع بعضهم في مجموعة تكاثروا معا وهرموا الأب — وتبعاً لعادة تلك الأزمان — اقتصروا جميعاً جسده . ولا ينبغي أن يصلحنا أكلهم للحم البشر ، فقد عاش ذلك لأزمان طويلة من بعد ، ولكن اللهم أننا نسب إلى هؤلاء البدائيين نفس للشاعر والمواظف التي كشفنا عنها في البدائيين الذين يقيمون في زماننا ، وفي أطفالنا بواسطة بحوث التحليل النفسي . بمعنى أنهم لم يكرهوا ويحشوا أباهم فقط ، ولكنهم يخدونه كمثل يقيم . والحقيقة أن كل ابن أراد أن يضع نفسه في مكان

أبيه ، ومن ثم يصبح فعل أكل لحم البشر مفهوما كمشاهدة لتأكيد
التمثال الذي يريد الأيمن لنفسه مع أبيه أن يدمج جزءا من الأب
في نفسه .

وإنه لتصور مفعول أنه قد جاء وقت بعد مقتل الأب نشأ حرمه
الإحوة مع بعضهم البعض حول من يحلّفه ، وهو منصب أراد كل
مهم أن يحوزة لنفسه وحده . وانشبوا إلى أن هذه المعارك كانت
خطيرة كما هي غير مشرة . وأدى هذا الفهم الذي دفعوا ثمة مأظما ،
وكذلك ذكرى فعل التحرير الذي حققوه مما وتعلق بعضهم ببعض
الذي تما بينهم حلل ذلك النص — إلى وحدة جمعت بينهم أخيرا ،
هي نوع من العقد الاجتماعي وهكذا طهر إلى الوجود أول شكل
لتنظيم اجتماعي يصحبه مد للإحصاء الفردي ، واعتراف بالترامات
متبادلة ، وإعلان قداسة بعض المبادئ التي ما كان من الممكن
حرقها — بالاحتصار بقضايا الأخلاق والقانون . وعند كل منهم
ما كان يشته من التوصل إلى سركر الأب ، ولتمتلاك أمه أو أخته .
وتواحد مع هذه تحريم الزنا بالأقارب وقانون الزواج من الأناعد ،
واقتل جزء طيب من السلطة التي حليت وفاة الأب إلى النساء ؛
ونفى ذلك رمن السلطة الأموية . وعلمت ذكرى الأب طوال زمن
« عشيرة الأخ » ، ووجد حيوان قوى ، ربما كان محل خشية في

أول الأمر ، كبديل . وقد يبدو اختيار كهذا غريباً بالنسبة لنا ، ولكن الموة التي تخفيها الإنسان فيما بين يديه وبين الحيوانات لم توجد بالنسبة للأساس البدائي . ولا هي توجد بين أطفالنا الذين استطاعنا أن نفسر مخاوفهم من الحيوانات باعتبارها مخاوف من الأب . واستقبلت العلاقة بالطوطم الشعور بالزوج الأصلي تجاه الأب ، فقد كان الطوطم من ناحية هو السلف للتجسد والروح الحامية للشيرة ، ومن ثم كانوا يقدمونه ويحمله . ومن ناحية أخرى أقيم للطوطم مهرجان وكانوا يواحهونه في يوم المهرجان نفس الصيغ الذي واجهه الأب البدائي . وكان كل الإحرة يشتركون معاً في قتله وأكله (وهو ما يسميه رورنسون سميث^(١) عيد الطوطم) . وكان هذا اليوم العظيم في الواقع عيداً للتصحر ، احتفالاً بانتصار الأبناء المتعدين على الأب .

فأين يقع الدين من هنا كله ؟ إن الطوطمية ، صيادتها لتدليل على الأب ، وبالأزدواجية نحو الأب التي تنضج في عيد الطوطم ، وإقامة المهرجانات التي تذكره ، وفرض قوانين بماق على حرقها بالموت — هذه الطوطمية ، كما أستنتج ، يمكن النظر إليها على أنها أول ظهور للدين في تاريخ البشرية ، وهي تصور الارتباط الوثيق

(١) عالم اجتماعي .

الذى يوجد ، منذ فجر الزمن ، بين الشرائع الاجتماعية والالتزامات الأدبية . ويمكن أن نعالج هنا التطور اللاحق للدين بطريقة موجزة . ولا شك أن الدين سار في خط متواز مع التطور الثقافي للبشرية والتفكير التي أمت ببناء التشريعات الاجتماعية الإنسانية .

وكانت الخطوة التالية إلى الأمام من الطوطية — هـ. نائيس السكان المعبود ، وفيها تأخذ الآلهة الإنسانية ، التي لا ينبغي أن أصلها يمتد إلى الطوطم ، المكان الذي كانت الحيوانات تسكنه قبلا ، فلما أن الإله مايزال يمثل كحيوان أو أنه على الأقل يحمل ملامح الحيوان ، وقد يصبح الطوطم الرفيق المتلازم مع الإله ، ولما أن الأسطورة تجعل الإله مرة أخرى بلاشي ذلك الحيوان الذي لم يكن شيئا سوى أنه سلفه . وفي وقت من الأوقات — ومن الصعب أن نقول متى كان ذلك — ظهرت كبريات الإلهات الأمهات ، ربما قبل ظهور الآلهة الذكور ، وصعدت إلى جوار الذكور لفترة رتبة تالية . وقامت خلال ذلك الوقت ثورة اجتماعية كبرى وأعقب النظام الأموى إعادة النظام الأموى . والواقع أن الآباء الجدد لم يصلوا أبدا إلى السلطة المطلقة التي كانت للأب البدائي ، وكان هناك الكثيرون منهم وعاشوا في مجتمعات أكبر مما كانت تعيش فيه العشرة الأصلية ؛ وكان عليهم أن يتأشوا مع بعضهم البعض والتزموا التشريعات

الاجتماعية . ومن المحتمل أن المصودات الأمهات تطورن عندما تحدد النظام الأموى ، وذلك لكي نعال الأمهات اللانئ أصدن عن عرش السلطة تعرضاً عما سلبته ، وفى أول الأمر تظهر الآلهة الذكور تأمناء إلى حوار كبريات الأمهات ، ولم يكتمسوا بوصوح سمات الأب إلا فنيا بعد . ونعكس هذه الآلهة الذكور التى بررت فى فترة تعدد الآلهة ظروف عصور السيادة الأبوية ، فعى آلهة عديدة ، وكانوا يتقاسمون السلطة التى لهم ، وأحياناً ما كانوا يطعمون إلهما أكبر . ونشودنا الخطوة التالية إلى الموضوع الذى يهمننا هنا : وهو عودة الإله الأب الواحد الأحددو السلطة التى لا تعد .

ويبنى أن أعرف بأن هذه النظرة التاريخية تترك الكثير من المصودات وتحتاج فى كثير من النقاط إلى تثبت أكثر . ومع ذلك فإن من بعلن أن هذه النظرة التاريخية التى تعيد بناء التاريخ البدائى نظرة خيالية يسمى تقدير عماها وقوة الدليل التى أسهمت فى إقامته . ولقد أثنت صحة أجزاء كبيرة من تاريخ اللامى أو أن آثارها ما تزال باقية حتى اليوم ، مثل الحق الأموى ، والطوطمية ، والمجتمعات الذكورية ، وهذه الأجزاء هى التى مصمها ها معا فى كل . وعاشت بعض هذه الأجزاء فى شكل صورة أعيدت إلى الحياة بطريقة عجبية . ومن ثم فإن أكثر من مؤلف قد حدث لهم أكثر من دهشة من التشابه

الوثيق بين حقوس التناول للبحرية - حيث يتناول المؤمن رمزاً دم
ولم إله - وبين عيد الطوطم الذى يبعث إلى الحياة معناه المباحل .
وما تزال بقايا عديدة من تاريخنا للبكر النفس مخنونة في أساطير
وخرافات الشعوب ، وأثمرت الدراسة التحليلية للحياة العقلية لاطفل
نتائج غنية غير متوقفة تعود بنا إلى الماضى وتعلل الفراغات في المعرفة
التي لدينا عن العصور البدائية . وكساهمة مني نحو فهم العلاقة الهامة
للفافة بين الأب والابن ، ما على إلا أن أردد محاور الأبناء من
الحيوانات ، وخشيتهم أن يأكلهم أبوم (وهو ما يبدو للإنسان
الراشد شيئاً غريباً للغاية) ، والثقل الصنم الذى لعقده انحصاء . ولا
يوجد شيء فيا تنصوده للماضى احتراماً ، لا يوجد شيء إلا ينهض
على أسباب معقولة .

ولنفترض أن ما تنصوده هنا لتاريخ البدائي شيء يمكن تصديقه
ككل ، وحينئذ وسعاً أن نتعرف في الطقوس والمآداب الدينية
على عصرين : فن ناحية تثبت بعض نواحي التاريخ الأمري القديم
وتستمر في الوجود ، ومن ناحية أخرى فإن الماضى يبعث إلى الحياة
ويصور بعد أن يكون قد تنوى بزمان طويل وهذا البحث وتلك
المعادة هما عنصران تفرض عنهما حق الآن ولم يهم أمرهما لتلك ،
ومن ثم ستضرب لما هما مثلاً واحداً على الأقل ولكنه مثل له وزنه .

ويجدر بوجه خاص أن نلاحظ أن كل ذكرى تعود من الماضي
 للنفس تعود بقوة هائلة ، وتحدث أثرا قويا لا يصاحبه أثر آخر على
 جماهير البشر ، وتقرض دعواها فرضا على العقل حتى ليتكسر أمامها
 كل اعتراض منطقي — تماما كالثلث الذي يقول إني أؤمن بما لا يعقل
 credo quia absurdum ولا يمكن فهم هذه الظاهرة الغريبة إلا
 بمقارنتها بالظلال التي يتوهمها المريض النفسي ، فإن السلم من زمن
 طويل أن الظلال في المرض النفسي تشتت على جزء من حقيقة
 نفسية ، وأن هذه الحقيقة النفسية تعود في يوم من الأيام ، ولكنها تعود
 مشوهة ، وعليها أن تتقبل هذا التشويه وأن يباء فهمها . ومن السلم
 به كذلك أن هذا الجزء هو الذي يحمل المريض يعتقد اعتقادا سريما
 في صدق خيالاته ليس لسبب سوى أنها تخلف هذا الجزء وتنبج من
 صميمه . هذه النواة من الحقيقة — التي يمكن أن سميا حقيقة
 تاريخية — ينبغي أن تحول كذلك إلى مذاهب الديانات المختلفة ،
 فالواقع أن الديانات تصطبغ بسة الأعراض للرؤية النفسية ، وإذا
 كان المريض النفسي يعتقد صلته بالناس ويعزل لذلك ، فإن الديانات
 رغم ما بها من أعراض مرضية نفسية لم تحمل بها لعة الانزلال لأنها
 ظواهر جماعية .

ولم يتضح أى جزء آخر من التاريخ الديني الوضوح الضخم الذي

أقيم عليه التوحيد بين الشعب اليهودي ، واستمرار هذا التوحيد في الديانة المسيحية إذا حذفنا التطور من الطوطم الحيواني إلى الإله الإنساني الذي صممه بشكل منظم رفيق (حيواني) ، وهو تطور يمكن تجنبه دون أن توجد هوة في ذلك التنوع ويمكن فهمه بسهولة . (وبالمناسة فإن كلاً من الشرير الإنجيليين الأربعة ما يزال له حيوانه المفضل) . فإذا حالنا مؤقفاً أن حكم امبراطورية فرعون كان السبب الخارجي لظهور فكرة التوحيد ، فإننا نرى أن هذه الفكرة — التي انتزعت من تربتها وهلت إلى شمس آخر — قد تملككت هذا الشعب مدة فترة كمن طوبخة ، واكثرها كأعلى ما يمتك ، وأن هذه الفكرة بدورها قد أبتت على هذا الشعب حيويته بأن أضفت عليه انتصار أنه الشعب المختار . إنها دين الأب الداني والأمل في المكافأة والامتياز ثم أخيراً في سيادة العالم للربطة بها^(١) . وهذه الأسمية الأخيرة أي سيادة العالم — التي أمسك بها الشعب اليهودي من زمن طويل^(٢) — حاتزل تمش بين أعدائه في اعتقادهم في تأمر

(١) أنظر مسمى الثلاثة بين فكرة سيادة العالم وبين التدبير اليهودي ومن ثم الأصل الديني لفكرة . (الملقى) .

(٢) كتب لرويد كتابه ولم تكن دولة إسرائيل قد ظهرت ولكن الأيديولوجية الصهيونية والمرحلة التي قضاها الصهاينة لصحة الأمم كمنظمة لدولة إسرائيل تبين أن اليهود لم يتخلوا عن الفكرة أبداً .

« حكماء صهيون »^(١) . وسنناقش في فصل لاحق كيف أن الخصائص المميزة للديانة التوحيدية المستمدة من مصر لا بد قد أثرت في الشعب اليهودي ، وكيف شكلت أخلاقه تشكيلا للأحسن من خلال احتقار السحر والتصوف وتشجيعه على التقدم الفكري وأوجه تباين النفس . وقدر الشعب المنجزات العقلية والأخلاقية تقديرا عاليا لأنه كان سعيدا في اعتقاده بأنه يمتلك الحقيقة ، ولأنه قد ملأه الوعي بأنه الشعب المختار^(٢) . وسأوضح كذلك كيف كان يوسع مصيره والمصائب التي كان يدخرها الواقع له أن تهيئ كل هذه الميول . وسنتابع الآن تطوره التاريخي في اتجاه آخر .

وكانت إعادة الحقوق التاريخية إلى الأب البدائي إشارة إلى تقدم عظيم ، ولكن ما كان من الممكن أن تكون هذه الإعادة هي النهاية ، فقد أملت الأجزاء الأخرى كذلك من مأساة ما قبل التاريخ على أن يتعرف بها . وليس من السهل أن نحل كيف دفنت

(١) « حكماء صهيون » : سبب إلى بروتوكولات حكماء صهيون ، وهو التلخيص اليهودي للاستيلاء على العالم وإسماعه السيطرة اليهودية ، ويقع في ٢١ فصلا ، وعرف أمره سنة ١٨٩٧ في المؤتمر الصهيوني بإزالة صهيونية ، ولست تأليفه إلى انشراحينبرج من يهود أودسا ويرف باسمه الثاني « أحدهما عام » ، أي أحد أفراد الشعب ، الذي قدم إلى فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى ودفن بها سنة ١٩٢٢ . (الحفي) .
 (٢) لاحظ الصلة المنصرية للشامية عبر التوسعية في كلام فرويد . (الحفي) .

هذه العملية على الحركة ، ويبدو أن إحساساً متزايداً بالذنب قد أمسك بالشعب اليهودي — وربما بكل حضارة ذلك الزمن كذير بمودة المادة المكتوبة . واستمر هذا حتى أسس أحد أفراد الشعب اليهودي ، في شكل داعية سياسي — ديبى ، ملحقاً انفصل — مع مذهب آخر هو الديانة المسيحية — عن الديانة اليهودية . وأمسك بولس^(١) اليهودي الروماني من طرسوس بهذا الإحساس بالذنب وتقبحه تبعاً صحيحاً إلى منبته البدائي . وأطلق على هذا اسم الانطليطية الأصلية ، وكانت هذه الانطليطية جريمة في حق الإله وما كان في الوسع التكفير عنها إلا بالموت ، فالموت قد نفذ إلى العالم من خلال الانطليطية الأصلية ، والواقع أن هذه الجريمة التي يستحق مرتكبها الموت ، كانت اغتيال الأب الذي أصبح معبوداً فيها بعد ، وأما الفصل الإجرامى نفسه فقد تنوسى ، ووقف مكانه شبح التكفير ، وهذا هو السبب في أن هذا الشبح كان في الوسع الترحيب به في شكل بشارة خلاص (إنجيل) .

(١) بولس Paul : يهودى اسمه القديم شاول ، وكان يصطليد المسيحيين بصف ، ولكنه ارتد عن يهوديته واضطهاده للمسيحيين وهو في طريقه من القدس إلى دمشق نحو سنة ٣٣ ميلادية ، وتصد على حديبا ، ثم احتل في شبلى جزيرة العرب مدة ثلاث سنوات ، ومن بعدها باعشر تمشير الأمم بالمسيحية فكان وسولها للبتار رغم مقاومة اليهود لومه له ، ويعبر مدن آسيا الصغرى (ومنها أنيس وغلطيا) ومكدونيا ومدينة كورنثة وكرز في أثينا ، وحسب في القدس مرتجى وسبق إلى روما حيث قطع رأسه سنة ٦٧ م . وله ١٤ رسالة موجهة إلى الكنائس المنتشرة وإلى مس تلاميذه أهمها إلى غلطيا وأنيس وكورنثوس وروما . (الحقى) .

وضي ابن للإله ، هو نفسه برى ، ضي بنفسه ، وذلك تحمل ذنب العالم . وكان لابد أن يكون فاعل ذلك ابن ، لأن الخطيئة كانت اغتيال الأب . وربما كان التراث الأسطوري الشرقي والإغريقي أثره على تشكيل شبح الغلاص هذا . يبدو أن جوهر الغلاص هو ما أضاه بولس إلى المسيحية ، فقد كان إنساناً له موهبة الدين ، بأصدق معاني الجملة ، وكانت في أحماق روحه آثار الماضي ، مستمدة لتفاد عنوة إلى مناطق الوعي .

وكانت تضحية الغلاص بنفسه ، كإنسان برى ، تشوبها متعمداً وإضاحاً يصعب التوفيق بينه وبين التشكيك المنطقي ، فكيف كان من الممكن أن يأخذ إنسان برى . على نفسه ذنب القاتل بأن يعلم أنه يقتل ؟ ولا يوجد مثل هذا التمازج في الواقع التاريخي ، « فاطمصل » لا يمكن أن يكون سوى من كان أكثر الناس ذنباً ، وهو زعيم عشيرة الأخ التي تطلبت على الأب . وينبغي في رأي أن يظل ، ما إذا كان قد وجد متمرد وزعيم أكبر كهذا ، شيئاً غير مؤكد ، ومن المحتمل جداً أنه وجد ، ولبكتنا ينبغي كذلك أن نعتبر أن كل فرد من أفراد عشيرة الأخ كان يمتنى بالتأكد أن يكون الضحي بنفسه ، وبذلك يخلق لنفسه مركزاً فرطاً كبدل عن التشبه بالأب ، هذا التشبه الذي كان عليه أن يبتلى عنه عندما كان مضوراً في

جماعته . وإذا لم يكن هناك زعيم كهنا ، إذن لكان المسيح الوريث
 لأمنية لم تتحقق ؛ وإذا كان قد وجد مثل هذا الزعيم فإذن يكون
 المسيح هو خليفته ومجسده . ومع ذلك فليس المهم أن يكون ما عندنا
 هنا هو أمنية أو عودة لواقع قد نسي ، فعل أى حال فإنه يوجد هنا
 أصل فكرة البطل — وهو الذى يتردد على الأب ويقتله بشكل مقنع
 أو بآخر^(١) . وهنا نجد أيضاً التبع الحقيقى « للذنب المأساوى » الذى
 للبطل فى الدراما — وهو ذنب من الصعب إظهاره بشكل آخر .
 ولا نشك أن البطل والجوقة فى المأساة الإغريقية يمثلان نفس هذا
 البطل وعشيرة الأخ ، ولقد بدأ المسرح فى المصور الوسطى من جديد
 يعرض قصة آلام المسيح عند الصلب ، وهو شئ لا يمكن أن يكون
 بلا معنى .

ولقد سبق لى أن ذكرت أن الاحتفال للمسيح فى تناول
 للقدس ، حيث يتناول للؤمن اللحم ودم الخمر فيشجده ، بكرر
 يحتوى العيد القديم للطوطم ، وهو يكرره فى الحقيقة فى معناه الرقيق .
 الفنان وليس فى معناه المدونى . ويتضح مع ذلك تكافؤ الضدين

(١) بلنت أرمست جوتز اتباهى على احتفال أن الإله ميتر الذى يدعى الثور يمثل
 هنا الزعيم الذى تعبد فى عمله بشكل بسيط . ومن المعروف جداً كم طالت منازعة
 عبادة ميتر للائصال الذى أحرزته المسيحية أخيراً . (فرويد) .

الذى يسود علاقة الأب - الابن ، فى النتيجة النهائية للابتكار الدينى ،
الذى كان الهدف منه استرضاء العبود الأب ، ولكنه انتهى إلى عزله
عن العرش ونسده . وكانت الديانة اللوسوية ديانة أب ، وصارت
للمسيحية ديانة ابن ، وشغل الإله القديم ، الأب . المركز الثانى ، وحل
المسيح ، الابن ، مكانه ، تماماً ~~منتهى~~ ~~كان يهدف إلى~~ ~~الخراب~~
للظلمة عندما كان ابن يتمنى أن يفعل ذلك . وصار يولس محطم الديانة
اليهودية بتطويرة لها ، ورجع نجاحه فى أسامه إلى أنه من خلال
فكرة التخلص أو جد شبح الإحساس بالذنب ، ورجع كذلك إلى
تحليله عن فكرة الشعب المختار والعلامة الظاهرة - وهى اغتتان .
وهذه هى الطريقة التى بها يمكن أن تصبح الديانة الجديدة ديانة
شاملة عالمية . ومع أن هذه الخطورة ربما كان النافع إليها رغبة يولس
فى الانتقام بسبب المعارضة التى واجه اليهود بها ابتكاره ، فإنه قد أعاد
إحدى سمات ديانة أتون القديمة ، وهى سمة المالمية ، ورفع عنها حمراً
كانت قد اكتسبتها خلال انتقالها إلى حامل جديد هو الشعب اليهودى .

وكانت الديانة الجديدة فى نواح معينة عبارة عن نكوص ثقافى
بالتقاربة بالديانة اليهودية القديمة ، وهذا يحدث بانتظام عندما تنزوى
جواهر جديدة من شعب ما ، لها مستوى ثقافى أدنى ، تنزوى ثقافة
أقدم أو تُدخل إليها ، فالديانة النسخية لم تكن لها الارتفاعات

الروحانية السامقة التي خلقت إليها الديانة اليهودية . ولم تكن الديانة المسيحية ديانة توحيدية بمعنى الكلمة ، فقد ظلت إليها من الشعوب المجاورة حقوقاً رمزية عديدة ، وأعادت عبادة الإلهة الأم الكبرى ، وأصغت محالاً لمعبودات كثيرة من الديانة التعددة الآلهة بشكل مقنع ، ولكن بسمل اكتشافه ، ولو أنها نصبتها في أما كن ثانوية . وأكثر من ذلك لم تمتنع للمسيحية ، مثل ديانة أنون والديانة اللوسوية اللاحقة عليها ، على تسلي الخرافات إليها والعناصر السحرية والغامضة التي أثبتت أنها كانت عاتقاً كبيراً في سبيل التطور الروحي خلال الألفي سنة القادمتين .

وكان انتصار للمسيحية نصراً مجدداً لكنيسة أمون على إله أخناتون بعد فترة ألف وخمسةائة سنة وعلى منطقته أوسع . ومع ذلك كانت للمسيحية علامة تقدم في تاريخ الدين : أي فيها يتعلق بمودة للكبوت ، ومن الآن فصاعداً ، كما أرى ، صارت الديانة اليهودية حصرية .

ولم أنه شيء له قيمته أن نحاول أن نفهم السبب الذي من أجله أثرت الفكرة التوحيدية على الشعب اليهودي وحده هذا التأثير العميق ، واستمك بها كل هذا الاستمساك . وإنى لأعتقد أن هذا السؤال يمكن أن يكون جواباً ، وهو أن العمل الذي هو عظيم وحقيق

في نفس الوقت، وهو قتل الأب الذي ساد في العصور البدائية، قتل إلى اليهود، كصير مقدور، وهو أن يكرروه على شخص موسى، وهو بمثابة بديل للأب، ولكنه بديل منظم. وكانت هذه حالة من الحالات التي قسم بأن صاحبها يقوم بفعل ما وليس بعملية تذكر، وهي حالات كثيراً ما تحدث مع المعاصرين خلال جلسات التحليل النفسي. ولقد استجاب اليهود للذهب موسى — الذي لا بد أنه أثار فزعهم — وأنكروا ما ارتكبه. فلم يتسوا أكثر من اعترافهم بالأب «سبير»، وتوقفوا عند النقطة التي بدأ منها يولس فيها بعد مواصلة التاريخ البدائي. وكان من للسكن أن يكون للوث العنيف لإنسان آخر عظيم فرصة يبدأ منها يولس إيداع ديانة جديدة. وكان هذا الإنسان يستمد فيه عدد صغير من الأتباع من مملكة يهوذا، أنه ابن للإله، وأنه للشيخ الموعود، وهو الذي احتل فيها بعد بضعاً من تاريخ الطهارة الذي كان متعلقاً بموسى. والواقع أننا لا نملك تقريباً معرفة محددة بتاريخه أكثر مما نعرف من موسى، ولا نعرف هل كان هو حقيقة الإنسان العظيم الذي تصوره الأنجيل، أم أن واقعة موته وظروفها كانت بالأحرى هي العامل الحاسم في إنشاء هذه الأهمية عليه. وحتى يولس الذي صار رجوله لم يكن هو نفسه يعرفه. وهكذا صار مقتل موسى الذي ارتكبه شمه والذي رآه سبيلين

في آثار التراث ، والذي تصوره جوته^(١) الشاب دون أن يقوم عليه
 أي دليل ، وهو شيء غريب للغاية — حزناً لا ينجواً من تفكيرنا ،
 وهمزة وصل هامة بين العقل المتسلسل للمصور البدائية ومعاودة ظهوره
 بالتالي في شكل البيانات التوحيدية^(٢) . وإنها لفكرة جذابة أن
 تقول بأن الذنب المتعلق بمقتل موسى ربما كان هو النافع إلى قيام
 أمة ظهور المسيح الذي سيعود ويعطي شعب الخلاص والسيادة
 الموعودة على العالم . ~~لأننا كنا نرى موسى هو هذا المسيح الأول ، فإن~~
~~يسوع صار بديله وخليفته ،~~ وحينئذ يحق لموسى ~~بعض سمات~~ يقول
 للشعب : « أنظروا ، إن المسيح قد قدم حقيقة ، وقد قتل حقاً أمام
 أعينكم » . وحينئذ تكون هناك أيضاً بعض الحقيقة التاريخية في إعادة
 مولد المسيح ، لأنه كان موسى الذي يمث حياً ، وكان كذلك الأب

(١) Israel in der Wüste, vol. VII of the Weimarer edition. (١)
 P. 170.

جوته Goethe : وشيخ (١٧١٩ — ١٨٣٢) أكر كتاب لآنايا شهرة
 وأرسلهم فندراً في الشعر وأدباً ، ولد في فرانكفورت ، وصاحف دوق فيلر
 ونجمه إلى فرنسا عند هزوها سنة ١٧٩٢ وصار وزيره . ومن أشهر أعماله غوست ،
 واليهجوت ، والفريولان العرق للشاعر الفري . على أن الأكبر من ذلك جميعه شخصية
 جوته المثالفة التي ملكت زمام الحكم والعلم والأدب . (الخلفي) .

(٢) فيما يتعلق بهذا فارد عرض فريزر للمصور في (النسج القديم : Fraser
 The Golden Bough) : الجزء الثالث للسنون « الآلهة الميتة » (١٩١١) .
 (فريزر) .

وأكثر هذه الأسباب كذباً في المجموعة الأولى هو الزجر القوي
 يقول بأن اليهود أجانب ، وهو كاذب طالما أن اليهود اليوم في كثير
 من الأماكن التي يسيطر عليها المملاء السامية كانوا أقدم عناصر
 السكان ، أو أنهم جاءوا قبل السكان الحاليين . وهذا ما حدث مثلاً
 في مدينة كولون التي وفد إليها اليهود مع الرومان قبل أن تستعمرها
 القبائل الألمانية . وهناك أسباب أقوى من ذلك للمملاء السامية ،
 مثلاً كون اليهود يعيشون في الغالب كأقلية بين الشعوب الأخرى ،
 طالما أن الإحساس بالتصامن بين الجماهير ، لكي يكون إحساساً
 كاملاً ، يحتاج إلى كراهية لأقلية خارجية ، ويستثير الضعف العدي
 للأقلية الجماهيرية من الأغلبية إلى اصطدامها مع ذلك خاصتان
~~أشياء هامة يمكن اغتفارهما لم ، الأولى أنهم يختلفون في نواح~~
 كثيرة عن « مضيفهم » . وهم ليسوا كذلك طالما أنهم ليسوا جنساً
 آسهباً أجنبياً كما يقول أعداؤهم ، ولكمهم يكتفون في الأغلب
 من بقا شعوب البحر الأبيض ويرنون ثقافتهم . ومع ذلك فهم
 مختلفون — ولو أن من الصعب أحياناً أن نجد أوجه هذا
 الاختلاف — وخاصة اختلافهم عن الشعوب الشمالية . ولكن
 السبب العنصري يسهل من أسرار الاختلافات الصغيرة دون
 اختلافات الجومرية ، وهو شيء نجد غريباً . والخاصية الثانية لها

تأثير معترف به أكثر ، وشول إن اليهود يصعدون الاضطهاد ، بل إن أقصى أنواع الاضطهاد لم تنجح في إبادتهم ، وهم يظهرون على العكس قدرة على إدارة أعمالهم في الحياة العملية ، وحيثما تفتح أمامهم المحاللات فإنهم يسهون إسهامات لها قيمة في المدن التي يعيشون بين ظهرانيها^(١)

ونمكن حدود الدوافع العميقة للمداه السامية في الأزمان التي عني عليها من قديم ، وهي دوافع تنبع من اللاشعور ، وإني لستمد لسامع أن ما سأقوله سيبدد لأول وهلة شيئاً لا يصدق العقل ، وإني لأجرو على أن أؤكد أن النيرة التي استثارها اليهود لدى الشعوب الأخرى بإصرارهم على القول بأنهم للولود الأول الحبيب للإله الأب ، لم تخطب عليها هذه الشعوب الأخرى ، كما لو أن هذه الشعوب قد صادقت على هذه الدعوى . وأكثر من ذلك فإن اليهود أكدوا عزلتهم عن الآخرين صادات على رأسها عادة الختان التي كان لها انطباع متعمق شديد . وربما كان حسير هذا الانطباع أن الختان يذكّر هذه الشعوب بفكرة الإحصاء للرهبوية وأنشياء ترجع إلى ماضيها البدائي الذي يصرح أن ينسوه . وهناك أخيراً أحدث الدوافع وهو دافع التسلسل ، فلا ينبغي أن نغسى أن كل الشعوب التي تنفوق الآن

(١) واسعة الثمرة النصيرية في كلام فرويد . (الحنفى)

في ممارسة العداء للسامية لم تصبح مسيحية إلا في الأزمان الحديثة
سببها ، وأنها أجبرت على اعتناقها في بعض الأحيان بحمد السيف ،
وربما حاز لنا أن هول أن إيمانها جميعا «إيمان فاسد» ، وأنها تحت
قشرة المسيحية الرقيقة ظلت على إشراكها الهليني كما كانت أسلافها ،
ولم تتطلب بعد على حقها على الديانة الجديدة التي فرحت عليها ،
وأنها أسقطت هذا الحق على المصدر الذي أنت إليها منه للمسيحية ،
وسهلت الحكمة التي ترونها الأنجيل عن الوقائع التي جرت
أحداثها بين اليهود ، والحقيقة أنها رواية لا تتحدث إلا عن اليهود ،
سهلت هذا الإسقاط ، والنتيجة أن كراهية اليهودية هي في الصميم
كراهية للمسيحية ، ولا بدعشنا أن نجد أن الترابط الوثيق بين
الدعائتين التوحيديتين قد وجد تعبيراً عنائياً قوياً عنه لكل من
الدعائتين في الثورة الاشتراكية الوطنية الألمانية (النازية) ^(١) .

(١) هذا الكلام ليس علياً ، وإنما هو من قبل الجماعة ، ومعارنة بمقدما بين
اليهودية والمسيحية ، وإعلان اليهودية على المسيحية ؛ ثم استثناء المسيحية على النازية
لأهداف سياسية . (لغتي) .

• — مصاعب في التطبيق

ربما أفلح الفصل السابق في إقامة تشابه بين عمليات مرض المصاب وبين الأحداث الدينية ، ومن ثم أطلع في أن يشير إلى الأصل الذي ما كان يتوقه أحد الذي تستق منه الأحداث الدينية . وإننا لنجد أن هناك مائتين تشكلا صموة في عقل معنى الأحداث من مجال علم النفس الفردي ، حيث تجد فيه تفسيرها إلى مجال علم النفس الجماعي . وهاتان الصموتان مختلفان عن بعضهما البعض في الطبيعة وفي الأهمية ، وبيننا لنا الآن أن نناقشهما . والصعوبة الأولى أننا لم نناقشها حتى الآن إلا حالة واحدة من الحالات التي يحفل بها علم دراسة ظواهر الأديان ، وأن مناقشتها لم تلق أى ضوء على الحالات الأخرى ، وإنى لأجد أنى للأسف مصطر إلى التسليم بأنى لا أستطيع أن أناقش إلا حالة واحدة فقط كمثل بقية الحالات ، وأنى لا أملك المعرفة التي يتمتع بها الخبير ، والتي نلزم لاستكمال هذا البحث . وربما كانت هذه المعرفة المحدودة هي ما يسمح لي بأن أصيب بأنه يبدو لي أن قيام الديانة المحمدية كان تكراراً على نطاق ضيق للديانة اليهودية ، وأن الديانة المحمدية ظهرت مقلدة للديانة اليهودية^(١) . وهناك من الأسباب ما يدعونا إلى الاعتقاد

(١) يرد في كلام كثير من المستشرقين ويرد عليهم الأستاذ العقاد أن التشابه

أن النبي محمد كان يزعم في الأصل اعتناق الديانة اليهودية ، هو كل
شعبه وأثمرت لدى العرب السوداء إلى الإيمان بالآل الواحد البدائي
الكبير تقدماً غير طارى في الثنية بالنفس ، فحة أدت بهم إلى إحرار
نجاحات دينوية عظيمة ، ولكنها في الواقع استنفدت نفسها في هذه
النجاحات . وكأف الله شعبه الإسلامي المختار بأكثر مما كافاً به يهوا
شعبه اليهودي المختار عندنا اعتق ديانتهم . ولكن للتطور الداخلي
للديانة الإسلامية الجديدة سرعان ما توقف ، وربما كان ذلك لأن
العمق كان ينقصها ، وهو العمق الذي تحلت به الديانة اليهودية
وكان نتيجة مقتل مؤسسها . ولذلك فإن ديانات الشرق التي تبدو

بين الأديان المبرلة يهود إلى أن المصدر واحد وهو الله ، ثم إن الاسلام يترف باليهودية
والتصانية ، وإن كان يحافظهما في أحياء كثيرة . يقول القرآن « ليس البر أن تولوا
وجوهكم قبل الشرق والغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة
والكتب والنبين » . ولنا نلاحظ أن فرويد يبنى كتابه كله على الفس وهو يركب
الأحداث تركيباً يختم غرضه النهائي وهو إعلاء شأن اليهود والديانة اليهودية على سائر
الأمم والديانات . وربما كان أعجب أحكامه تصفا هو قوله من توقف التطور الداخلي
للإسلام وأن الاسلام ينقصه العمق وليس هذا إلا لأن مؤسس الاسلام لم يقتل بينما
قتل مؤسس اليهودية في زعمه . لقد قتل المؤسس هو سبب هرق اليهودية ، ومع
ذلك نفس السبب لا يسق للبيعة مع أنه يفر بقتل مؤسسها ، ولا يسق ديانة أتون
مع أنه يفر بقتل أحيانون . شيء غريب وتعامل غريب ومنطوق غريب ! ! الخليفة
أن ما يسمى المذاهب السامية هو رد فعل لثناء اليهود لنبي اليهود ، أو عدله الثانية
لنبي السامين ! ! يقول القرآن « قل آتينا بآية وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم
 وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبين من درهم
 لا تفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (الآية ٨٣ سورة آل عمران) .
(الحق)

في ظاهرها وكأنها تقوم على القتل وهي في جوهرها عقائد سلف ،
تتوقف عند مرحلة مبكرة من عملية إعادة بناء للماضي .

وإذا كان من الصحيح أننا نجد أن للضمون الوحيد لدية
الشعوب البشائية التي تعيش في عصرنا هو عبادة كائن أعلى ، فتفسيرنا
الوحيد لذلك هو أن تطور الدين قد أصابه التفتنن ، ومن هنا قم
موازنة بالحالات التي لا عد لها من أمراض المصاب الأخرية التي نثر
عليها في اللعب النفسي . ولستنا نترك حبب عدم وجود مزيد من
التطور هنا وكذلك هناك ، وينبغي أن نقول أن الهبات الفردية طئمة
الشعوب هي للستوة من ذلك ومن الاتجاه الذي تسلكه نشاطاتها ،
وعن ظروفها الاجتماعية العامة . وبالإضافة إلى ذلك فإن الاكتضاء
بتفسير ما هو موجود وعدم محاولة تفسير ما لم يحدث قاعدة طبية
يسهل بها في التحليل النفسي .

والصموية الثانية في قل معنى الأحداث من مجال علم النفس
الفردى إلى مجال علم النفس الجماعى صموية ذات دلالة أكبر ، لأنها
تقدم مشكلة جديدة ذات طبيعة أساسية . وينهض سؤال حول الشكل
الذى يعضده التراث الذى ما يزال قائماً يضل فله في حياة الشعوب .
ولكن مثل هذا السؤال لا وجود له مع الأفراد ، لأنه في حالة الأفراد
يسوى الأمر عن طريق وجود مخلفات في اللاشعور لذكرى للماضي .

ولنعد إلى اللؤلؤ الذي ضربناه من التاريخ ، فلقد قلت أن الالتقاء والاتفاق اللذين حدثا في قادش قاما على استمرار وجود تراث قوى يعيش في ضمير الناس الذين عادوا من مصر . ولا توجد مشكلة هنا ، وقلت مقترحا أن مثل هذا التراث أبقى عليه التذكار الوامى بالنقل الشفاهى من الأسلاف على امتداد جيل أو جيلين قطع شارقا وكانا شهود عيان للأحداث موضوعا . فهل بوسعنا أن نفتقد نفس الشيء بالنسبة للقرون اللاحقة ؟ وهو أن التراث كان دائما يقوم على معرفة كانت تنقل بطريقة عادية من السلف إلى الخلف ؟ ولم نعرف من كان هؤلاء الأشخاص الذين اختزنوا هذه المعرفة ومسروها من فم إلى فم ، كما عرفنا في الحلة الأولى . ويقول للزورخ « سيلين » أن تراث مقتل موسى ظل قائما بين الكهنة حتى قبض له آسر الأمر أن يدون ، وعن طريقه مدونا استطاع سيلين أن يحزره . ومع ذلك فكان من الممكن أن يظل مجهولا من كثيرين ، فهو لم يكن معرفة يمكن أن يحيط بها الجميع علما . فهل هذا الشكل من النقل بكافه كي يضر ما كان له من أثر ؟ وهل لنا أن نتق في معرفة كهذه قاصرة على فئة من الناس ، وهل تكون لها قوة الاستيعواذ على حيال الجاهل استحضارا أهدبا ، عندما يملكون بها ؟ ويدو بالأحرى أن هناك شيئا في جاهل الشعب الجاهلة كذلك يشه هذه المعرفة التي تحظى بها القلة ، وهذا الشيء يتقدم ليلاقها حالما تضح القلة عنه .

وبصحب أكثر أن نصل إلى خاتمة عندما نصل إلى الحالة
 للشبهة في الأزمان البدائية ، ففي خلال آلاف القرون نرى بالتأكيد ١
 أنه كان هناك أب بدائي كانت له الصفات التي ذكرتها ، ونرى
 للصير الذي لا إله . وليس بوسعنا أن ندعى وجود رواية شفاهية
 كالتى افترضناها عن موسى ، ومن ثم ففي أى معنى يمكن أن تكون
 المسألة مسألة رواية تراث ؟ وفى أى شكل يمكن أن توجد هذه الرواية ؟

ولكى أساعد القراء الذين لا يرغبون أو ليس لديهم الاستعداد
 فى التوغل فى المسائل السيكلوجية المعقدة سأضع منذ البدايه نتيجة
 البحث الآتى . وإنى لأعتقد أن الاتفاق بين الفرد والجماعة تام تحريفاً
 فى هذه النقطة . وتستبقى الجماهير كذلك خاطراً من الماضى فى الآثار
 غير الواضحة للذاكرة .

وتبدو حالة الفرد واضحة جداً ، فقد استبقى أثر الأحداث
 المبكرة فى الذاكرة ، ولكنه استبقاه فى حالة سيكلوجية خاصة .
 وقد تحول إلى الفرد كان يعلم بهذه الآثار دائماً بالمعنى الذى نعلم به
 المادة المسكونة . ولقد كونا تصورات معينة — ويمكن إثباتها بسهولة
 بالتعليل — عن الطريقة التى أصبح بها الشيء مفهوماً ، وعن الطريقة
 التى يمكن أن يبرز بها إلى الضوء من جديد . والمادة المسكونة
 لا تتلاشى ولكنها « تكبت » فقط ، وتوحد آثارها فى الذاكرة

بشدتها الأصلية ، ولكنها توجد ممزولة بسبب وجود نشاط ذهني يصل على عزلها ، وهي لا تتصل بالعمليات العكسية الأخرى بل تكون لا شعورية وبُعيدة عن تناول الشعور . وقد يحدث أن تفلت أحزاء معينة من المادة المكبوتة من هذه العملية وتظل في تناول الذاكرة وتعاود الظهور أحياناً في الشعور ، ولكنها حتى في ذلك تظل ممزولة وتبقى جساماً غريباً لارابط بينه وبين بقية العقل . تقول إن هذا قد يحدث ، ولكن ليس شرطاً أن يحدث باستمرار . وقد يكون الكبت كذلك كتماً تاماً ، وهذه هي الحالة التي أقترح مناقشتها .

وتستبقى هذه المادة المكبوتة دافعها إلى التنازل في الشعور ، وهي تصل إلى هدفها عندما تتوافر لها ثلاثة شروط :

١ - عندما تقل قوة النشاط الذهني الذي يعمل على إبقائها ممزولة ، وينتجب في ذلك المرض الذي يؤثر في الأنا نفسه ، أو يؤثر فيه من خلال توزيع النشاط الذهني تورياً مختلفاً في الأنا ، كما يحدث بانتظام خلال النوم .

٢ - عندما تقوى هذه الفرائز المرتبطة بالمادة المكبوتة ، وخير مثل لتلك العمليات التي تحدث خلال فترة البلوغ .

٣ - حينما تسببت الأحداث الحديثة في إنتاج انطباعات أو تجارب تشبه كثيراً المادة المكبوتة وتكون لها القوة على إعاقتها .

ومن ثم قوى المادة الحديثة بالطاقة الكامنة للمادة المكبوتة ، ويكون
للمادة المكبوتة أثرها من خلف المادة الحديثة وبمساعدها .

ولا تنبجح المادة التي كفت في أى من الحالات الثلاثة في الوصول
إلى الشعور دون أن يمرقها عائق أو دون تغيير ، وإنما الذى يحدث
دائماً أن التشويه يلحق بها ، مما يشهد على وجود مقاومة لم تهزم
تماماً ، وتنبج من انصراف النشاط الذهني إلى عزل المادة المكبوتة ،
أو تشهد بالأحرى على وجود تأثير معتدل لتجربة حديثة ، أو على
وجود الاثنين معاً .

ولقد استخدمت ، كعلامة مميزة ومُعسّم ، الاختلاف بين أن
تكون العملية النفسية شعورية أو لاشعورية . وتوجد المادة المكبوتة
لاشعورية . ولو قلنا هذه الجملة — أى إذا كان الاختلاف بين صفة
الشعور وصفة اللاشعور يتماثل مع الاختلاف بين « ماهو من صفات
الأنا » وبين « المكبوت » — لكان الأمر مجرد تبسيط للأُمور .
والشيء الجديد والمثير أن حياتنا العقلية تخزن أمثال هذه المادة
اللاشعورية المزمولة . والحقيقة أن الأمور أعقد من ذلك ، لأن الصواب
أن كل ماهو مكبوت لاشعورى ، ولكن ليس من الصواب أن
كل ما ينسب إلى الأنا شعورى . ولقد أدركنا أن الشعور صفة
غير حادثة ولا تتواجد مع العملية النفسية إلا مؤقتاً . ولذلك فإننا

يفنى من أجل أهداف بحثنا أن نقبل تغيير « الشعورى » بغير « القدرة على أن يكون شعوريا » ونحن نرى هذه الصفة « تحت الشعور » ، وحينئذ نستطيع أن نقول بطريقة أصح : أن الأنا أساسا تحت شعورى (أى أن الشعور مفترض فيه) ولكن أجزاء منه لا شعورية .

وهذه الجملة الأخيرة تعلمنا أن الصفات التى ذكرناها حتى الآن لا تكفى لتغير لنا الطريق فى ظلام الحياة العقلية . ويبنى أن نضيف إلى ماسبق تمييزاً جديداً ، ليس نوعياً ولكنه طبوغرافى (مكانى) وتولدنى فى الوقت نفسه — وهو ما يعطيه قيمة خاصة . ونحن الآن نميز فى حياتنا العقلية — التى نراها بوصفها جهازاً يتركب من عدد من السلطات والنواحي أو الجهات — بين منطقة نطلق عليها اصطلاح « الأنا الواقى » ، وبين منطقة أخرى نسميها « الهو » . ومنطقة « الهو » أقدم زمنياً من الأنا ، ويتولد الأنا منها ويتطور بتأثير العالم الخارجى كما تنمو الحديقة وتتطور حول شجيرة . وغرائزنا الأولية تبدأ فى منطقة الهو ؛ وكل العمليات التى تتم فى منطقة الهو عمليات لا شعورية . وتتواصل الأنا ، كما ذكرت ، مع منطقة تحت الشعور ، ومن طبيعة أجزاء منها أن تظل لا شعورية . وتختصم العمليات النفسية فى « الهو » قوانين مختلفة كل الاختلاف .

وتباين وجهاتها والتأثيرات التي تشابهها فيما بينها عن العمليات التي
تسود الأنا . واكتشاف هذه الاختلافات هو الذي هدانا إلى هذا
الإدراك الجديد ، وهو الذي يقدمه .

وينبئ النظر إلى المادة للكبوة باعتبارها شيئاً ينتمى إلى المو
ويطرح حيله . وهي لا تختلف عنه إلا في أصل تكوينها . وهذا
الاختلاف يبدأ في المرحلة الأولى بين الأنا بتعلق عن المو ، ثم
يستولى الأنا على جزء من المو ويرفضه إلى مستوى تحت الشعور ،
ولكن الأجزاء الأخرى تظل بمنأى عن التأثير وتظل في المو بوصفها
« اللاشعور » الخالص . ومع ذلك فإن بعض الحيل الدفاعية تتمكن
من عزل بعض الخواطر والعمليات النفسية خلال تطور الأنا ،
وتسلبها صفة تحت الشعور ، ومن ثم تسقط من جديد إلى منطقة المو
وتستحيل أجزاء أصلية منه . وإذن فهذه هي « المادة للكبوة »
في المو . أما فيما يتعلق بالروور بين هاتين للسلطتين القويتين فإننا
نفترض أنه من ناحية يمكن وضع العمليات اللاشعورية في المو إلى
مستوى تحت الشعور ويمكن إدماجها في الأنا ، ومن ناحية أخرى
يمكن للمادة اللاشعورية في الأنا أن تبرز في الأنحاء للضاد وأن تعود
إلى منطقة المو . وأما أن منطقة أخرى تتحدد فيما بعد تخومها في الأنا ،
فهذا أمر لا ينبغي هنا .

وقد يبدو كل ذلك بعيداً عن أن يكون بسيطاً، ولكننا لو أنفنا الصورة التي لم نعتدّها لتتكون الطبوغرافى للجهاز النفسى ، فن تكون هناك صعوبات مميّنة . وسأضيف هنا أن طبوغرافية النفس التى طورت صورتها هنا ليس لما يوحى عامّ أية علاقة بالشرح الخفى ، ولكنها تصطلم به عند نقطة واحدة فقط . ووجه عدم الرضا عن هذا التصور — الذى ألاحظه بوضوح كما يلاحظه غبرى — له جذوره فى جهلنا المطبق للطبيعة الدبنامية للمليات العقلية . ونحن ندرك أن ما يميز الفكرة الشعورية عن الفكرة تحت الشعورية ، وهذه عن الفكرة اللاشعورية ، لا يمكن أن يكون أى شيء إلا تمديلاً أو هو ربما كذلك توزيع آخر للطاقة النفسية . ونحن نتحدث عن شعب الأفكار بالعاطفة ، وحدة شعبها بالمواطف ، ولكن بمد ذلك تنقصنا كل معرفة وتنقصنا كذلك البداية لافتراض صالح مفيد . وبوسعنا على الأقل أن نقول عن ظاهرة الشعور أنها ظاهرة تشعب أساساً إلى الإدراك ، وكل إدراك يتولد عن مثيرات مؤلفة لىسية أو سمعية أو مرئية هو فى الغالب إدراك شعورى . والمليات الفكرية ، وما يمكن أن يشبهها فى الجوهر ، عمليات لاشعورية فى جوهرها ، وهى تنفل إلى الشعور بحكم ارتباطها ، عن طريق وظيفية الكلام ، بالآثار التى يخلفها الإدراك بواسطة اللمس والسمع فى الفكرة . أما فى

الحيوانات التي لاتعرف الكلام فإن هذه العلاقات لابد أن تكون أبسط من ذلك .

والانطباعات التي تركتها التجارب الأذوية للبكرة ، والتي مدأنا منها بحثنا ، إما أنها لاتترجم إلى ماتحت الشعور ، وإما أنها توجه من جديد وسرعة إلى المحو بواسطة عملية السكت ، ويصبح ما يبقى منها في القاكرة لاشموريا ويصل حله وهو في المحو . ونحن نعتقد أن بوسمنا أن نتبع مصيرها من بعد ذلك بوضوح ، طالما أنها في نطلق التجارب الشخصية . وتعتقد الأمور من جديد عندما نذكر أن من المحتمل أن يوجد في الحياة العقلية للفرد ، ليس فقط ما جربه شخصياً ، ولكن يوجد بالإضافة إليه ما جربه معه منذ الميلاد : تنف ترجع إلى أصول خاصة بنشأته كسوع ، أبى ترجع إلى تراث قديم باند . وحينئذ نسال : ما الذى يتكون منه هذا لليراث ، وما الذى يحويه ، وماهى الشواهد التى تدل عليه ؟

والجواب الذى يتبادر لأول وهلة وهو الجواب المؤكد هو أن هذا لليراث يتكون من اتجاهات غريزية معينة مثل التى لدى كل الكائنات الحية ، أى يتكون من القدرة وللبل إلى اتباع اتجاه معين في تطوره ، وأن ينفعل بطريقة خاصة أمام بعض للثيرات وللنبهات والتأثيرات . وما دامت التجربة تقول بأن الأفراد يختلفون في هذا العدد ، فإن ميراثنا القديم يشتمل على هذه الاختلافات ، فهى تمثل الشيء

المعروف به والذي يقال له المنصر البنى في الفرد . وماذا كل البشر
يدخلون نفس التجارب ، على الأقل في سنواتهم الأولى ، فإنهم يفعلون
تجاه هذه التجارب بنفس الطريقة . ولهذا قام الشك الذي يجعلنا حول
ألا يجب النظر إلى حدود القمل هذه بكل ما تتضمنه من اختلافات
بين الأفراد على أنها جزء من الميراث القديم . وهذا الشك يبنى
رفضه ، فهذا التشابه لا يرى معرفتنا بالميراث القديم .

وأثناء ذلك أتمر البحث التحليل عددا من النتائج تمطينا خذاء
لفكر ، فأول كل شيء هناك عالية رمزية للكلام . وهناك الاستبدال
الرمزي لموضوع بآخر — نفس الشيء ينطبق على الأفضل — وهو
ما يتقنه أطفالنا ويبدو طبيعيا جداً مهم . ولا نستطيع أن نتبع الطريقة
التي تعلموا بها هذه الرمزية ، ويفنى أن نتعرف بأن تعلمها مستحيل
في كثير من الحالات ، فهي معرفة طبيعية ينساها البالغ من بعد ،
وهو يستخدم في الواقع نفس الرمزية في أحلامه ، ولكنه لا يفهم
هذه الأحلام ما لم يفسرها له التحليل النفسي ، وهو حق صندئذ ينفر
أن يصدق الترجمة . وعندما يستخدم أحد الجمل الشائعة في الكلام
التي تبلور فيها هذه الرمزية فإنه يجد نفسه مضطراً إلى التصريح بأن
معناها الحقيقي أغفلت منه . بل إن الرمزية تتجاهل الاختلاف في
اللغات ، ومن المحتمل أن البحث في هذه المسألة سيدلنا على أن الرمزية

موجودة في كل اللغات وواحدة مع كل الشعوب . والرمزية بالتأكيد ميراث قديم منذ عصر مناهة تطور الكلام ، ولو أننا قد نحاول أن نجد لها تفسيراً آخر . فربما جاز لنا أن نقول أن الرمزية عبارة عن روابط فكرية تربط الأفكار ببعضها البعض ، هذه الأفكار التي تكونت خلال مرحلة التطور التاريخي للكلام ، والتي تتكرر بالضرورة في كل مرة يمر الفرد بمثل هذا التطور . وإذن تكون الرمزية عبارة عن حالة يرث فيها الفرد اتجاهها فكرياً مثلما يرث في حالة أخرى الاتجاه الفرزي . ولكن هذا البحث لن يسهم للمرة الثانية بإضافة شيء جديد للمشكلة التي نعالجها .

ومع ذلك فقد دفع البحث التحليلي بأشياء أخرى إلى دائرة الضوء ، وهي تزيد في معناها عن أي شيء ناقشناه حتى الآن . ونحن عندما ندرس ردود الفعل التي تحدث نتيجة للصدمات للبكرة فإننا كثيراً ما نجد دهشنا أنها لا تقتصر بشكل تام على ما جريه الفرد ، ولكنها تتعرف عن تجربته بطريقة تتفق أكثر مع كونها ردود فعل لأحداث وراثية ولا يمكن تفسيرها بشكل عام إلا عن طريق مثل هذا التأثير . ويحفل سلوك الطفل العصا أزاء أبويه عندما يكون تحت تأثير عقدة أوديب وعقدة الخصاص بردود الفعل هذه ، وهو ما يبدو غير معقول في الفرد ولا يمكن فهمه إلا باعتبار ردود

بالفعل هذه مسائل خاصة بالنشأة النوعية للإنسان ، بالنسبة لتجارب الأجيال الأولى . وقد يستحق الأمر جداً أن أجمع وأنشر المادة التي أصبحت ملاحظاتي عليها . والواقع أنها تدور على مقننة جداً حتى لأنظم أكثر وأؤكد من جديد أن الميراث البائد البشرية لا يتضمن فقط الميول والاتجاهات ، ولكنه يتضمن كذلك محتويات افكرية وآثار مخفورة في الذاكرة لتجارب أجيال سابقة . وبهذه الطريقة يريد مدى ومعنى الميراث البائد البشرية زيادة ملحوظة .

ولكني بمراعاة ما وصلت إليه من أفكار أجد أني ينبغي أن أعتز أني قد ناقشت المسألة كما لو كان لا مجال هناك لوجود ميراث من الذكريات — آثار لما جربه آبائنا وصلتنا عن طريق لا يمت بصلة لطريق الاتصال المباشر ولتأثير التعليم بواسطة المثل . وعندما أتحدث عن تراث قديم ما يزال يعيش في شعب من الشعوب ، وعن تشكيل الشخصية القومية ، فإنما أقصد هذا الضرب من التراث لموروث ، وليس التراث الذي ينتقل إلينا شفويًا . هذا النوع من التراث هو الذي أقصده . أو أني على الأقل لم أميز بين الاثنين ، ولم أكن قد فهمت تماماً أهمية الخطوة الجريئة التي خطوتها بإعالي لهذا الاختلاف . ويشهد فعلاً بتقد هذا الوضع للأمور بالوقف الحالي لعلم البيولوجيا الذي يرفض فكرة انتقال الصفات المكتسبة

إلى التخلّف . وإني لأعترف بكل تواضع أى رغم ذلك لا أنصور
استمرار التطور البيولوجى دون أن أدخل هذا العنصر فى الحسان . .
والواقع أن الحالتين ليستا متشابهتين تماماً ، فالسألة التى يصعب فهمها
فى الحالة الأولى هى مسألة الصفات المكتسبة ، وهى فى الحالة الثانية
الآثار المتخلقة فى الذاكرة للتعبيرات الخارجية ، وهى شىء يكاد
يكون مادياً ملموساً . وربما لم يكن فى استطاعتنا مع ذلك أن نتصّل
أساساً إحداها بدون الأخرى ، فإذا كنا قبل الوجود للشمس مثل
هذه الآثار المتخلقة فى ميراثنا البائد ، فإننا حينئذ نكون قد رتقنا
المرة بين علم النفس الفردى وعلم النفس الجماعى ، وبوسعنا أن نعامل
الشعوب كما نعامل الفرد العصابى . ومع أننا قد نعترف بأننا لا نملك
حتى الآن أى دليل على وجود آثار متخلقة فى الذاكرة لميراثنا البائد
أقوى من هذه البقايا فى الذاكرة التى بمتدعيها التعليل النفسى ،
وهى بقايا تشير احتمال أنها مستمدة من أصول ترجع إلى نشوء
النوع ، فإن هذا الدليل يبدو لى مقنعاً بدرجة تكفى لافتراض مثل
هذا الذى افترضناه . فإذا كانت الأوضاع على غير ذلك فإننا سنكون
عندئذ غير قادرين على التقدم خطوة أخرى فى طريقنا برسواة فى مجال
التعليل النفسى أو فى مجال علم النفس الجماعى . وإذن فوجهة نظرنا
شىء ينقسم بالجرأة ، ولكنه شىء لا سبيل إلى تجنبه .

ونحن في افتراضنا هذا الذي افترضناه قبل شيئاً آخر وهو تحليل اتساع هوة الكبرياء التي قامت في الأرومان السابحة بين الإنسان والحيوان . فإذا كان مايسى بئرائر الحيوانات — التي تنجح لها منذ البدايات الأولى أن تسلك في ظروفها للمشيئة الجديدة كما لو كانت غرائز قديمة قد ثبتت منذ أمد طويل — إذا كانت هذه الحياة الغريزية للحيوانات تسهم إطلاقاً بأي تفسير ، فلا يمكن أن يكون هذا التعبير سوى : أنها تحمل في وجودها الجديد تجربة النوع الذي تنتمي إليه ، أي أنها استبقت في عقولها ذكريات لما عايناه أسلافها . ولا يمكن أن تكون الأمور في الحيوان الإنساني مختلفة في جوهرها عن ذلك ، فهوائه القديم ، مع أنه مختلف في اللدى والصفات ، يشبه غرائز الحيوانات .

وبعد هذه الاعتبارات لا أحس بأي تأنيب عندما أقول أن البشر عرفوا دائماً — بهذه الطريقة الخاصة — أنه كان لهم في يوم من الأيام أب أول وأنهم قتلوه .

ويعني هذا أن نجيب على سؤالين آخرين ، الأول تحت أية ظروف تدخل مثل هذه القاكرة إلى اليراث القديم ، والثاني في أية ظروف يمكن أن نشط — بمعنى أن تنفذ من حالتها اللاشعورية في المو إلى الشعور ، ولو في شكل منابر ومشوء ؟ والجواب على السؤال الأول سهل تكويته : إنها تحدث عندما تكون التجربة

مهمة بقدر كافٍ ، أو متعلما تتكرر بكثرة كافية ، أو في الحالتين معا . ومع قتل الأب تتحقق الحالتان . وإني لأشير من ناحية السؤال الثاني : أنه قد يوجد عدد من الزورات التي لا حاجة أبداً إلى معرفتها ؛ وللسك القاتل محتمل كذلك تشبها بما يحدث في بعض الأمراض العصابية . ومع ذلك فاستيقاظ أثر القابلية من خلال تكرار حقيق حديث العادة له بالأكيد أهمية حاسمة . ولقد كان قتل موسى تذكراً له أهميته ، وفيما بعد قتل المسيح قتلا يفترض فيه أنه قانوني^(١) ، حتى أن هاتين الحادتين تنحصران إلى للخدمة كمعامل عليّة ويبدو أن تكون التوحيد ما كان من الممكن أن يكون دون هذه الأحداث .



(١) بطريرك ٩ يونيو نظرت أمام المحاكم الاسرائيلية قضية حاول فيها أحد المصلحين اليهود إعادة محاكمة المسيح وقال إن الذي محاكمه من قبل كان السهدين وهي محكمة يهودية ، ولكن القاضي ذكر أن لصاته المسيح كانوا من الروم ، وأمر القاضي على أن السهدين هي التي محاكمته ، وهي أعدم محكمة يهودية ، ولا يمكن أن يكون أعضاؤها إلا من اليهود . وغرويد ليس أكثر من يهودي يعتقد بأن قتل المسيح كان بناء على محاكمة عادلة ، ولربما هذا ليس أكثر من إيمان بالأفكار القائمة بين اليهود ، أفكار عامية اعتقد بها دون تحجيس ودعابة .. غرويد هنا أفكاره عليّة خالصة . (الخفضي) .

القسم الثاني

١ - موجز

لا يمكن دفع الجزء التالي من هذا البحث إلى العالم دون شروح معقولة واعتذارات ، لأنه ليس إلا تكراراً أميناً وحرفياً في الكثير منه للجزء الأول فيما عدا أن بعض الفصوص النقدية قد كثفت ، وهناك إضافات تشير إلى مشكلة كيف ولماذا تطورت شخصية الشعب اليهودي بالشكل الذي تطورت به . وأعرف أن هذه الطريقة في تقديم موضوعي ليست بذات أثر كما أنها ليست فنية ، ولا أوافق أنا نفسي عليها من كل قلبي ، فلماذا لم اتسكبها ؟ والجواب على هذا السؤال بسيط على أن أعثر عليه ، ولكنه صعب بالأحرى أن أعلنه ، وأما لم أستطع أن أحو آثار الطريقة غير العادية التي حدث أن كتب بها هذا الكتاب .

والحقيقة أنه قد أعيدت كتابته مرتين ، وكانت المرة الأولى منذ سنوات قليلة في فيينا ولم أكن هناك أعتقد في إمكان نشره ، وقررت أن أنميح ، ولكنه ظل بطاردني كشبح لا يهد ، واعتذرت

لنفسى طريقاً وسطاً بأن نشرت جزءين من الكتاب ، كل جزء على حدة ، في المجلة الدورية « إغاجو » ، وكان الجزءان هما همتى البداية في التحليل النفسى لكل الكتاب : « موسى مصرى » ، والبحث التاريخى للبنى عليه « إنا كان موسى مصرى » . أما الباقى والذى ربما يكون أذى ، وكان خطراً — وهو تطبيق نظرتى على أصل نشأة التوحيد وتفسيرى لظاهرة الدين — فاحتفظت به إلى الأبد كما أرتأيت . ثم جاء الغزو الألمانى غير المتوقع فى مارس سنة ١٩٣٨ ، واضطرنى إلى مفادرة يحنى ، ولكنه كذلك حررتى من الخوف خشية أن ينسب نشرى لكتاب فى تحريم التحليل النفسى فى بلد ما يزال يسبح بممارسته . ولم أكده أصل إلى انجلترا حتى وجدت إغراء لإطلاع العالم على معلوماتى التى حبستها عنه شيئاً لا أقاوم ، وهكذا بدأت فى إعادة كتابة الجزء الثالث من بحنى ، ليتبع الجزءين اللذين سبق نشرهما . وقد تطلب ذلك بالطبع أن أعيد تجميع اللادة ، حتى ولو جزء منها ، ولم أجمع مع ذلك فى نصحين للادة كلها فى هذه المحاولة الثانية الجديدة لإعادة كتابته . ومن ناحية أخرى لم أستطع أن أستقر على رأى من جهة استبعاد الجزءين اللذين سبق أن أسهمت بهما استبعاداً تاماً ، وهكذا كان الطريق الوسط الذى آليت فيه على نفسى أن أضيف بدون تغيير النسخة الأولى من البحث كاملة

إلى النسخة الثانية ، وهي طريقة يعيها التكرار الواسع .

وقد أجد من حق راحة في أن أعتقد أن اللادة التي عاجلها كانت جديدة كل الجدة ولها دلالاتها - بصرف النظر عما إذا كان تحديي لها قد تم بطريقة صحيحة أو منفلوطة - فإذا كان الناس سيضطرون إلى قراءتها مرتين ، مرة في الجزء الأول الأصلي ، ومرة في الجزء الثاني للتكرار ، فإن ذلك لن يكون إلا سوء حظ بسيط ، فهناك أشياء ينبغي أن يقال أكثر من مرة ، ولا يمكن تكرارها بالكثرة الواجبة . ومع ذلك فالأمر متروك للإرادة الحرة للقارىء ، ما إذا كان يجب أن يتوقف مع الموضوع أو يعود إليه . ولا ينبغي أن نستخلص نتيجة نهائية ونبرزها بالحيلة للذاكرة التي تقضى بمرض نفس الموضوع مرتين على التتارىء في كتاب واحد ، ولو فعلنا ذلك لفعلنا على ألى كاتب غير قدير واستحق أن ألام على ذلك ، ومع ذلك قوة الكاتب الإبداعية لا تطاوع دائماً للأسف يته الطيبة ، والعمل ينمو كما يريد ، وأحياناً يراجعه مؤلفه كمثل مستقل وحي كلفتى غريب عليه .



٢ - شعب إسرائيل

إذا كان واضحاً في عقولنا كل الوضوح أن طريقاً كالطريق الحالي - وهو القائم على أخذ ما يبدو مقيداً ونبد ما يبدو غير مناسب من المادة للأثورة التقليدية، ثم وضع النص القائمة بذاتها إلى جوار بعضها البعض طبقاً لما فيها من احتمال غنى - لا يقدم أى شيء يمكن أن يضمن العثور على الحقيقة، فإن الذى يسأل عن السبب الذى بذلت من أجله مثل هذه المحاولة له الحق كل الحق. وللإجابة على هذا يجب على أن أسرد النتيجة. فإذا كنا نحل بشكل ضخم المطالب الحادة التى تشترط عادة لعمل بحث تاريخي ونفسى، فإنه قد يكون من الممكن أن نوضح للشاغل الذى كانت دائماً تبدو جذيرة الاهتمام، والذى تعرض نفسها مرة أخرى على ملاحظتنا نظراً للأحداث الحالية. ونحن نعرف أنه من بين كل الشعوب التى عاشت في الزمن القديم في حوض البحر الأبيض ربما كان الشعب اليهودى هو الشعب الوحيد الذى ما يزال يوجد اسماً، وربما كذلك طبيعة؟ فليقد نجدى سوء الطالع وسوء السمات بقوة لا مثيل لها في المقاومة، واكتسب صفات خاصة، وكسب بشكل عارض الكراهية التلبية لكل الشعوب، وإن الإنسان ليعب أن يفهم فهماً أكثر وعمياً من أين جاءت هذه المقاومة التى يتحلى بها اليهودى، وكيف يرتبط تكوينه الخلقى بمسيره.

وقد تبدأ من صفة خلقية لليهود تحكم علاقتهم بالشعوب الأخرى ، ولاشك أن اليهود يحتفظون بفكرة عالية من أنفسهم ، ويعتقدون أنهم أنبل من غيرهم ، وعلى مستوى أعلى ، وأكثر هدماً من الآخرين الذين تفصلهم عنهم عادات كثيرة لهم^(١) . وبالإضافة إلى ذلك فإن حمة خاصة بالحياة تملأهم ، كالتى يضيفها الامتلاك الخامس لوهبة ، وهى نوع من التنازل ، يطلق عليه للتدينون الثقة فى الله^(٢) .

ونحن نعرف سبب مدافعتهم ذاك ، وما هو كرم الثمين ، فهم يصدقون فى الواقع ، ما يقولونه عن أنفسهم من أنهم شعب الله المختار ، ويؤمنون بأن الله قد قرّبهم به بصفة خاصة ، وهذا هو ما يملأهم نفراً وثقة ، ويقول كتب التاريخ للوثوق بها أن اليهود كانوا يتصرفون فى أيام اليونان والرومان مثلاً يتصرفون الآن ، فالطابع اليهودى لذلك كان حقى فى ذلك الوقت مثلاً هو الآن ، ولقد قابل الإغريق الذين عاش اليهود بينهم ومعهم الخصائص اليهودية بنفس الطريقة التى يقابلها بها « مضيفهم » اليوم ، ولقد يظن للراء أنهم

(١) وينبغى قراءة الإيمانة التى كانوا يتقدمون بها كثيراً فى الصور الدينية بأنهم يحذرون (ماينو) باعتبارها إسقاطاً منه . « إنهم يصدقون بما كانوا كذا عدوهم » . (فرويد) .

(٢) لأكثر من مرة نلاحظ البهاة المصرية التى تملأ فرويد مع أنه من للفروس أنه عقل حسي وكان أخرى هـ أن يكون موضوعياً . (الحنى) .

نصرفوا كما لو كانوا هم أيضا يستقنون في الأفضلية التي يدعيها
 الإسرائيليون لأنفسهم ، فعندما يقال أن أحد الناس هو الابن للفصل
 للأب للهروب الجانب فلا حاجة إلى إبداء البهشة من غير إخوته
 الآخرين وأحواته . ويتضح شكل رائع ما يمكن أن تؤدي إليه هذه
 الفيرة في الأسطورة اليهودية من يوسف وإخوته . ويبدو أن الجوى
 التالي الذي اتخذ تاريخ العالم يبرر هذا الفرور اليهودي ، لأن الله
 عندما وافق فيما بعد على أن يرسل مسيحا ومخلصا إلى البشرية ،
 اختاره مرة أخرى من بين الشعب اليهودي ، وكان يحق للشعب
 الأخرى حينئذ أن تقول : إنهم على حق فعلا ؛ إنهم شعب الله
 المختار^(١) . وحدث بدلا من ذلك أن الخلاص عن طريق يسوع
 المسيح لم يجلب على اليهود إلا كراهية أقوى ، بينما لم يستند اليهود
 أنفسهم من هذا البرهان الثاني على إثبات الله لهم ، لأنهم لم يمتدحوا
 بالمخلص .

وقد قول بناء على قوة ملحوظاتنا السابقة أن الإنسان موسى
 هو الذي وسم الشعب اليهودي بهذه الة ، وهي الة التي صارت
 ذات أهمية بالغة بالنسبة لهم لكل زمن ، وقد زاد موسى من قوتهم

(١) لاحظ الطريقة الدعائية للكفولة التي يحاول بها فرويد أن يقول مايل من
 على لسان الآخرين . (الملقى) .

بنفسهم بأن أكد لهم أنهم شعب مختار ، وأعلنهم شعباً مقدساً والتي عليهم بواجب اعتزال الشعوب الأخرى^(١) ، ولا يعنى ذلك أن الشعوب الأخرى من ناحيتها كانت تموزها الثقة بالنفس ، فلقد كان كل شعب فى ذلك الوقت كما هو الآن يظن نفسه أسمى من كل الشعوب الأخرى . وعلى كل فلقد رمت الثقة بالنفس لدى اليهود من طريق موسى فى الدين ، وصارت جزءاً من اعتقادهم الدينى . وبالملافة القصيدة لصوفى خاصاً بإلههم اكتسبوا جزءاً من عظمتهم . وحيث أننا نعرف أنه خلف الإله الذى اختار اليهود وخلصهم من مصر كان يقف الإنسان موسى ، الذى حقق هذا المل ، بأمر الله كما يبدو ، فإنه لم يكننى القول : إنه كان إنساناً واحداً ، هو الإنسان موسى ، هو الذى خلق لليهود ، وله يدين هذا الشعب بصلابته على تحمل الحياة ، وله كذلك يدين بكثير من المل الذى التقي به والذى ما يزال يلغى به .



(١) لم يقل موسى عليه السلام ذلك ، ولكن هذا كان بديل أخبار إسرائيل ، والفركان يصف ذلك فى بلاءة فيقول : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكتبون » ، (الآية ٧٨ سورة البقرة) . (الحقيقى) .

٣ - الإنسان النظيم

كيف أمكن لإنسان واحد بمفرده أن ينشئ مثل هذا التأثير
فهر المادى ، لدرجة أنه يستطيع أن يخلق من أفراد وأسر مختلفة
شعباً «واحد» وأن يستطيع أن يطمع هذا الشعب بشخصية محددة ،
وأن يحدد معييره لألف سنة قادمة ؟ أليس تصورا كهذا نكوصاً إلى
طريقة التفكير التى أتتحت أساطير انطلق وعبادة البطل ، وإلى
الأزمنة التى استنفدت فيها الكتابة التاريخية نفسها فى مرد نوارخ
الحياة لأفراد معينين — ملوك أو فلاحين ؟ ولكن الأزمنة الحديثة عميل
أكثر إلى إرجاع أحداث التاريخ الإنسانى إلى عوامل أكثر إضماراً
وعومية ولا شخصية الأثر القوى الذى يفرض نفسه للظروف
الاقتصادية والتغيرات فى اللوارد الغذائية ، والتقدم فى استخدام المواد
والأدوات ، والمجبرات التى تسببها الزيادة فى السكان والتنوير فى النافع .
وفى تلك العوامل لا يلبس الأفراد أى دور آخر بخلاف دور العارضين
أو الممثلين للبول الجماعية التى لا مد أن تصل إلى التميز ، والتى وجدت
ذلك التميز كما هو بالصدفة فى أمثال هؤلاء الأشخاص .

هذه وجهات نظر صحيحة جداً ، ولكنها تذكرنا باليون الخافل
بين طبيعة جهازنا التكرى وبين تنظيم العالم الذى نحاول أن نذكره .
وتشبع حاجتنا الملحة للملح والملحول عندما يكون لكل عملية علة

واحدة ظاهرة . وفي الواقع خارجياً تثير الأمور هكذا بصعوبة ، فكل حادثة تبدو مقدرة بشكل مغالى فيه ويتضح أنها المطول لعدد من العلل المتقاربة . ويتولى البحث دور سلسلة من سلاسل الحوادث ضد سلسلة أخرى عندما تفزعه التفتيدات التي لا عد لها للحوادث ، ويشترط تناقضات لا وجود لها ، وتتخصص فقط من خلال تمزيق علاقات أكثر شمولاً^(١) .

فإذا كان التصق قلبك من حالة واحدة خاصة يظهر الأثر البارز لشخصية إنسانية واحدة ، فإن ضميرنا لا يحتاج إلى القاء اللوم علينا لأننا من خلال قبول هذه الخاتمة قد وجهنا ضربة إلى المذهب الذي يقول بأهمية تلك العوامل اللاشخصية العامة . ومن وجهة نظر الواقع لاشك أنه يوجد مكان للثنتين ، ففي أصل قيام التوحيد لا يسعنا ، وهذا حق ، أن نشير إلى أى عامل خارجي آخر إلا تلك العوامل التي سبق ذكرها : وهى أن هذا التطور له علاقة بإقامة علاقات أوثق بين الأمم المختلفة ووجود أمبراطورية كبرى .

(١) إن لأحد مع ذلك من سوء فهم محتمل ، فانا لا أعمى أن أقول أن العاقل من التصيد لمجرد أن كل حكم ينبغي أن يصيب الحقيقة في مكان ما . أبداً ، فإن تفكيرنا قد حفظ حرية اختراع علاقات وروابط لامتيل لما في الواقع ، ومن الواضح أنه يحل من شأن هذه المرحبة فيه ، أى أنه يستفهم على نطاق واسع — داسل ترك ذلك خارج العالم . (لرويد) .

ولذلك سننتقي مكانا « للإنسان العظيم » في السلسلة ، أو بالأحرى في شبكة الملل الموحدة . وقد لا يكون بلا جدوى إطلافا مع ذلك أن نأل عن النطوف الذى نضفى فيه هذا القنب الشرقى ، وقد نلش أن نعد أن الإجابة على هذا السؤال ليست سهلة . ومن الواضح أن أول تعريف بمنظلة الإنسان الذى وهب بشكل خاص صفات قدرها شكل عال هو تعريف غير مناسب من كل النواحي ، فالجمال مثلا والقوة العقلية ، رغم أنها مطلومان فإنها لا يمكن أن يزعا لنفسيهما حقا في « المنظلة » . وربما كان ينبغي أن توجد صفات عقلية تظهر تفوقا نفسيا وفكريا . وتكتشفنا الرب عند الناحية الأخيرة : فالإنسان الذى له مرفة بارزة في ميدان واحد معين لا يسمى إنسانا عظيما بدون أى سبب آخر . ولا ينبغي لنا بالتأكيد أن نطبق اصطلاح المنظلة على إنسان يجيد لعبة الشطرنج أو على لاعب يجيد المزف على آلة موسيقية . وليس بالضرورة كذلك أن نلطبق على فنان موهوب أو رجل علم .

وفي حالة كهذه ينبغي أن نرضى بأن نقول إنه كاتب أو مصور أو رياضى أو عالم طبيعة عظيم ، وأنه رائد في هذا المجال أو ذاك ، ولكننا ينبغي أن نرث قبل أن نلته إنسانا عظيما . وعندما ملن

مثلاً أن جوته وليوناردو دافينشي^(١) وبيتوفن^(٢) رجال عظام فإن شيئاً آخر يجب أن نحركنا لنقول عنهم ذلك ، شيئاً أبعد من الإجابات بالأعمال الرائعة التي أبدعوها . ولو لم يمكن من أجل أمثال كهذه لحق لنا أن نتصور فكرة أن قلب « الإنسان العظيم » محفوظ ، بحكم الأنفصالية ، لرجال الصل — أى للفناجين والجنرالات والحكام — وأن المقصود به الاعتراف بنظام ما حققوه وبجوة الأثر الذي انبعث منهم . ومع ذلك فإن هذا أيضاً غير مرض ، ويتعارض تماماً بإدائنا لكثير من الناس التافهين الذي لايسعنا أن نشكر أنهم تركوا أثراً عظيماً على أزمانهم وما تلاها ، ولا يمكن أيضاً أن يختار النجاح كسمة بارزة للعظمة ، إذا فكرنا في المذئذ الشاسع من الرجال العظام الذين بدلا من أن يكونوا ناجحين ، ماتوا بدأن لازمهم سوء الطالع .

(١) ليوناردو دلفينشي الفنان الإيطالي المشهور من مدرسة فلورنسا الفنية ، ولد في فينشي بالقرب من فلورنسا ، وعاش بين سنتي ١٤٥٢ و ١٥١٩ م واشتهر بوحاياته وأشهرها الموكبند وهو للانس الوحيد ليكل آجلو ، ويقرب في قته من فن الصور والميل ، وكان بالإضافة إلى الرسم مثالا وكاتباً وغزيراً وموسيقاراً وبرز في كل مجالات العلم وهو ما اتهد به مذكراته - (المصنوع) .

(٢) ينهضون : لخصمجان كان للوقت الموسيقى الأشهر (١٧٧ - ١٨٢٧) ، ولد في بون بألمانيا وألف ٣٧ سوناتا للبيانو و١٧٠ قطعة وأعماله وسيمفونيات وأوبرا فغيدليو ، وأصيب بالصمم وكانت حياته صعبة ولكن موهبته لم يكن لها مثل أجداد . (المصنوع) .

ولذلك وجب أن نحيل من لبب التجربة إلى استنتاج أن الأمر لا يستحق كثيراً أن نبحث عن تعريف واضح لمفهوم « الإنسان العظيم ». ويبدو أن الاصطلاح مستهلك وغير محدد للعالم نوعاً ما ، وأن العظمة صفة تضي على صاحبها دون إعمال فكر ، وأنها تعلى للتطور فوق المادى لصفات إنسانية معينة ، ونحن إذ ندرك ذلك نظل لصيغتين بالمعنى الخرق الأصل لكلمة « عظمة » ، وقد تذكر أنه ليست هى طبيعة الرجل العظيم التى تثير اهتماما بقدر السؤال عن الصفات التى يفضلها يؤثر على معاصريه . واقترح لذلك أن أقصر هذا البحث طالما أنه يهدد بنفسا بعيداً عن هدفنا .

ومن ثم فلتتفق على أن الرجل العظيم يؤثر على معاصريه عن طريقين : من خلال شخصية ، ومن خلال الفكرة التى يوقف نفسه عليها . وهذه الفكرة قد تبرز مجموعة قديمة من الرغبات فى الجماهير ، أو تشير إلى غاية جديدة لرغبتهم ، أو أنها مرة أخرى تقرى الجماهير بوسائل أخرى . وأحياناً - وهذا بالتأكيد هو المفهوم الأكثر بقاءة - ما تفرض الشخصية وحدها نفوذها ، وتلمب الفكرة دوراً ثانوياً بشكل حاسم . ولا ننك إطلافاً فى السبب الذى من أجله يرقى الرجل العظيم إلى للكانة الهامة التى يتبوأها ، ونعرف أن القالبية المظلمى من الناس بحاجة قوية إلى السلطة التى

يوسعهم أن يصحبوا بها ، وأن يخضعوا لها والتي تسيطر عليهم ،
 وأحيانا ما تسمى معاملتهم . ولقد تعلمنا من علم نفس للفرد من أين
 تأتي حاجة الجانيير هذه . إنها الحنين إلى الأب الذى يعيش فى كل
 منا فى أيام طفولته ، لنفس الأب الذى يضر ، بكل الأسطورة ،
 بأنه قد غلبه . والآن يبدو علينا أن كل الصفات التى تزود بها
 الرجل العظيم هى صفات الأب ، وأنه فى هذا التشابه يمكن الجوهر ،
 الذى أفلت منا حتى الآن ، والذى يتصل به الرجل العظيم . وإن
 الجسم فى الفكر والقوة فى الإرادة والتسرية فى أعماله ، كلها صفات
 تتصل بها صورة الأب ، ثم فوق كل الأشياء الأخرى ، اعتقاد الرجل
 العظيم على نفسه واستقلاله ، واعتقاده الإلهى بأنه يفعل الشيء الصواب ،
 وهى صفات قد تضاف على أعماله صفة التسوة . ولا بد أن يوجب به
 الناس ، وقد يثقون به ، ولكنهم يخشونه . وكان يجب أن نقبضه
 إلى معنى الكلمة نفسها ، فن فى حياة الطفل نرى أن يكون إنسانا
 عظيما سوى الأب ؟

ولا شك أن صورة الأب للتالية التى تمثلت فى شخص موسى
 لنقول للعالم اليهود الفقراء أنهم كانوا أبناء الأعمام ، لا بد أنها كانت
 صورة هائلة ، وأن صورة الإله للفرد الأبدى التقدير ما كانت أقل
 تسلطا عليهم . ولقد وعدم ، الذى فكر أنهم يستحقون أن يقد

معهم عهداً ، بأن يُسعى بهم ، إذا قُطعت نواصيرهم لمبادته . ومن المحتمل أنهم لم يجدوا الأمر سهلاً ، أن يفصلوا صورة الإنسان موسى عن صورة الإله ، وكانت غريزتهم على صواب في هذا ، طالما أن موسى من الجائز حدّاً أنه قد أدمج في شخصية إلهه صفاتاً من سماته هو ، مثل غصبه وقسوته . وعندما قتلوا هذا الإنسان العظيم لم يفعلوا إلا أنهم كرروا فعلاً شريعياً كان في الأزمان البدائية قانوناً موجهاً ضدّ الله الإلهي ، وهو قانون مستمدّ كما نعلم من طراز من القوانين أقدم^(١) .

وعندما ، من ناحية أخرى ، تنمو صورة الإنسان العظيم وتصبح صورة إلهية ، فإن الوقت يحنّ لنذكر أن الأب كذلك كان طفلاً في يوم من الأيام . وكما فررت فإن الفكرة الدينية العظيمة التي وهب لها نفسه لم تكن فكرته ، فقد قلّها عن مليكه أحناتون ، وربما كان الأخير — الذي همّ عظمته بلا شك كتمسّس لديانة — قد تبع إشارات وصلته عن أمه ، أو عن طرق أخرى من الشرق الأدنى أو الأقصى .

وليس باستطاعتنا تعقب الخيوط أكثر من ذلك ، فإذا كانت الحجة الحالية صحيحة حتى الآن فإن فكرة التوحيد لابد قد ارتدت

(١) Fraser P. 192 (غرويد) .

إلى البلد الذى خرجت منه أصلاً . ويدعو من غير المجدى محاولة
التيقن من الجدارة التى تلتق شخص ما لفكرة جديدة . ومن
الواضح أن كثيرين قد شاركوا فى تطويرها وأضافوا إليها . ومن
الخطأ من ناحية أخرى قطع سلسلة العلية عند موسى ، وإهمال ما حققه
خلفاؤه من أبناء اليهود . إن التوحيد لم يضرب بجذوره فى مصر .
وكان من الممكن أن يقع نفس القتل فى إسرائيل بعد أن نبذ الشعب
العبادة للتمبة التى تدعى لنفسها حقاً شرعية والتى فرضت عليه .
ومن جماهير الشعب اليهودى قام للرة تلو الرة رجال أضفوا لونا
جديداً على التراث القابل ، وجددوا تحذيرات وأوامر موسى ،
ولم يستريحوا حتى استعبدت مرة أخرى القضية للنقود . وفى المحاولة
الهابئة التى استمرت عبر القرون ، وأخيراً وليس آخراً ، من خلال
حركتين إصلاحيتين عظمتين — واحدة قبل النفى إلى بابل ،
والأخرى بعده — وقع تغيير الإله الشمسى يهوا إلى الإله الذى فرض
موسى عبادته على اليهود . ولما لتليل على استمداد قصى خاص
فى الجماهير فاسب الشعب اليهودى ، حتى أنه أظهر عدداً كبيراً جداً
من الأشخاص ، كانوا مستعدين أن يأخذوا على عاتقهم عبء العبادة
للسوسية ، لقاء الاعتقاد بأن شعبهم كان شعباً مختاراً ، وربما لقاء
مكاسب أخرى من نفس المستوى .



لتحقيق نتائج نفسية أبدية لدى شعب من الشعوب من الواضح أنه لا يمكن تأكيدهم أن الله قد اختارهم حصيصاً . وهذا التأكيد ينبغي إثباته إذا كان عليهم أن يبطوه بالإيمان وأن يستمدوا نتائجهم النهائية من ذلك الإيمان . وفي حكاية موسى كان الخروج هو بمثابة ذلك الإثبات . إن الله ، أو موسى باسمه ، لم يمل ترديد هذا الإثبات لتفصيل الله لم . ولقد ظم عيد العمور ليبقى هذا الحدث في البال ، أو بالأحرى ليبقى عيداً قديماً قد أضفيت عليه هذه الذكرى ، ومع ذلك كانت مجرد ذكرى ، فالخروج نفسه بنحى إلى ماضٍ ممتلئ . وكانت دلائل تفضيل الله لم في الوقت نفسه هزيمة للقاية ، وإن مصر وشعب إسرائيل ليدل بالأحرى على ارجائه لم . وكانت الشعوب البدائية معتادة على عزل إلهتهم أو حتى إزال المذابح بهم إذا لم يقوموا بواجبهم في إعطائهم النصر والحظ والراحة . وكان للفوك كثيراً ما ياملون مثل الآلهة في كل عصر ، وهكذا يتضح التماثل القديم بين ذلك والإله — أى خروجهما من أصل مشترك . وتمارس الشعوب الحديثة كذلك عادة التمنطق هكنا من ملوكهم إذا انطقت روعة حكمهم بهزائم صاحبها قتلان أرض ومال . فلماذا ازداد مع ذلك التصاق شعب إسرائيل بإلهه كلما ازداد سوء معاملة إلهه له ؟ إن هذا سؤال ينبغي أن تتركه مفتوحاً حالياً .

وقد يشيرنا أن نبحث عما إذا كانت ديانة موسى لم تعط الشعب شيئاً إلا زيادة في الثقة بالنفس من خلال الإدراك بأنه شعب «مختار» .
والعنصر الثاني يمكن العثور عليه حقيقة بسهولة ، فإن ديانة اليهود قد أعطتهم أيضاً فكرة أكثر عظمتة عن إلههم ، أو بتعبير أوضح ، فكرة عن إله أكثر جلاله . وكل من اعتقد في هذا الإله شارك في عظمته ، أي ربما يحس هو نفسه أنه قد ناسى . وقد لا يكون هذا واضحاً تماماً لغير المؤمنين ، ولكن من الجائز تشبيهه بالثقة العالية التي يحسها البريطاني فوق أرض أجنبية قد حولها التمرد إلى أرض غير آمنة ، وهي ثقة نموذجية أحد رعايا أية دولة قارية صغيرة ، فالبريطاني يعتمد على حكومته لترسل سفينة حربية إذا لست شجرة من رأسه ، ويعتمد أيضاً على معرفة المتبردين معرفة تامة بأن هذا هو ماسيؤول إليه الأمر ، ينال الدولة الصغيرة لا تحك حتى سفناً حربية . ولذلك فإن الاعتزاز بنظام الامبراطورية البريطانية يمتد أحد جذوره في الوعي بالأمان الأكبر والحماية اللذين يتمتع بهما الرعية البريطانية . وقد يصدق نفس الشيء على فكرة الإله العظيم . والاعتزاز بعظمة الإله تسير مع الاعتزاز بوقوع « اختيار » الإله عليه — طالما أن الإنسان لا يمكن أن يتصور أنه يمكن أن يساعد الإله في نصرته لشئون العالم . ويرجع على رأس شرائع الديانة اللوسوية قانون له دلالة أكبر مما يبدو واضحاً لأول وهلة ، وهو القانون الذي يمنع حمل صورة

للإله ، وهو ما يبنى فرض عادة إله خفي . وأنا أتصور أن موسى في هذه النقطة طاق ديانة أتون في العمارة ، وربما كان يبنى أن يكون رصينا ، وكان على إلهه ألا يكون له اسم أو سمعة ، وربما كان النهي نحوًا جديدًا ضد إساءة الاستخدام عن طريق السر ، وإذا كان هذا النهي مقبولًا فإن من شأنه أن يفرض سيطرة حيقة ، لأنه كان يبنى ثانوية الإدراك الحسي بالتقارنة بالفكرة المطلقة . وكان انتصاراً للروحانية على الحواس ، وبتميز أخق نبذاً للفرقة تصاحبه نتائج النفسية الضرورية .

ولكني نحمل ما يدور لأول نظرة غير مقنع شيئاً أكثر تعديلاً ، ينبغي أن نتذكر العمليات الأخرى ذات السمات للشابة في تطور الثقافة الإنسانية . ولا نستطيع أن ندرك في ظلام المصور البدائية إلا معالم معتمة لأكثر هذه العمليات تبكيراً وربما أهمها . ونحمل نتائجها للدهشة من الضروري أن نستنتج أنها قد حدثت . ونحن نجد في أطفالنا وفي البالغين المصابين ، وكذلك في الناس البدائيين ، ظاهرة عقلية أسميها « سلطان الأفكار » . ونحن نحكم عليها بأنها تقدير صالح فيه للسيطرة التي يمكن في هذه الحالة أن تمارسها القدرات الفكرية على العالم الخارجي بغيره . وكل السر وهو سلف العلم ، يقوم أساساً على هذه القناعات . وكل سر للكلمات يصب هنا ، وكذلك الاعتقاد في القوة للربطة بالمعرفة وتنطق اسم من الأسماء .

ونحن نتصور أن سلطان « الأفكار » كان التعبير عن الاعتزاز الذي أخذته الإنسانية بتطور اللغة ، الذي جلب ضمن ما جرمه مثل هذه الزيادة غير المادية في القدرات الفكرية . وحينئذ نعتصم للملكة الجديدة للروحانية حيث صارت للمدركات وللذكريات وللإستدلالات أهميتها الحاسمة ، بعكس النشاط النفسى الأدنى الذى قصر نفسه على للمدركات المباشرة لأعضاء الحس . وكانت هذه المرحلة يقينا إحدى أهم المراحل على طريق الصيرورة الإنسانية .

وتواجهنا بشكل ملموس أكثر عملية أخرى لزمان لاحق ، فلقد حدثت تحت تأثير ظروف خارجية — لاجابة بنا أن لتتبعها هنا ، وهى كذلك فى جزء منها غير معروفة بدرجة كافية — أن البناء الأموى (انطاس بالأم) لمجتمع حل محله البناء الأيوى . وجلب ذلك معه بطبيعة الحال ثورة فى الوضع القائم للقانون ، وما يزال صدى هذه الثورة مسموما على ما أرى فى أورستية إسخيلوس^(١) . وهذا التصول من الأم إلى الأب يعنى فوق ما يعنى اهتماماً للروحانية على

(١) أورستية إسخيلوس : ثلاثة كتبها للسرعى الاغريق إسخيلوس ومثلت فى أثينا سنة ٤٥٨ ق . م . وتشتمل على ثلاث مسرحيات هى بالترتيب أباجموني ، وحاملات القرايين ، والايوميديات . وإسخيلوس شاعر بل من أكبر شعراء الدنيا القديمة ، وكان قد اشتبك فى الحروب ضد الفرس ، ثم اصرف إلى السكتانة المسرحية فاجتكر فى الأساس حتى أصبح يحل أباً للذين يمثلون بقوة حباله ومعنى عاطفته الدينية والإنسانية وجبابة لإخراجيه . (الملقى) .

الحواس ، أى معنى حطورة للأمام فى الثقافة ، طالما أن الأمومة تثبت الحواس وحودها ، بينما الأمومة افتراض يقوم على استدلال ومقدمة منطقية . وثمت أن هذا الإعلان فى وصف عملية العكر ومن ثم رفعها فوق الإدراك الحسى ، كان خطوة مشعونة بالنتائج الخطيرة .

وفى وقت ما بين الحالتين اللتين ذكرتهما ، وقعت حادثة أخرى تنصح عن علاقة أوثق بالحالات التى بحثنا أمرها فى تاريخ الدين . ووجد الإنسان أنه مواحه بقبول قوى « روحية » — أى قوى من النوع الذى لا يمكن إدراكه بواسطة الحواس ، وخاصة بواسطة حاسة البصر ، ومع ذلك كان لما آثار لا تنكر بل وقوية لفناية . وإذا جار لنا أن نركب إلى القفة ، فإن حركة الهواء هى التى أوحى بصورة الروحانية حيث أن كلمة الروح تستمد اسمها من تنفس الريح^(١) . وهكذا ولدت فكرة الروح بوصفها المبدأ الروحى الفرد ، وعثرت للملاحظة على تنفس الهواء مرة أخرى فى التنفس الإنسانى الذى يقوِّف مع الموت ، وحتى اليوم نتحدث عن الميت الذى يلفظ آخر أنفاسه . والآن اختصت مملكة الأرواح للإنسان ، وكان مستعداً لأن يعنى على كل شىء فى الطبيعة من الروح التى اكتشفتها فى نفسه

(١) لغة الريح بمعنى Animus أو Spiritus وفى اللغة من Rusch بمعنى دمان . (فرويد) .

وصار كل العالم منتعشا ، وجاء العلم متأخراً جداً ، وكان أمامه ما يكفيه من العمل لهدم ما كانت عليه من الأمور من قبل ، ولم يفته من عمله بعد

ومن خلال التواهي الموسوية ، ارتفع الإله إلى مستوى من الروحية أرقى ، وانفتح الباب على مزيد من التفسيرات في فكرة الإله ، وهي الفكرة التي ساعدت فيها بعد . وسقطنا حالياً آثار لها أخرى . وكل مثل هذا التقدم في الروحية ينتج عن زيادة في الثقة بالنفس ، وفي جمال الناس غورين حتى أنهم يحسون الاستملاء على هؤلاء الذين ظفروا في أسر الخواس . ونعرف أن موسى قد أعطى اليهود الإحساس للتعلي لكونهم شعب الله المختار . ويتجريد الله من الماديات أصنى شيئاً حديداً قتيماً إلى كنز الشعب السرى . واستبقى اليهود مبالغ نحو الاهتمامات الروحية . وعلمتهم المصيبة السياسية التي حلت بالأمة أن يستيفوا الشيء الوحيد الذي استبقوه مما كانوا يملكون ، وهو سجلاتهم المكتوبة ، وأن يتقدها حتى قدرها . وبعد هدم تيتوس^(١) للهدم في القدس مباشرة ، طلب الحاخام يوحنا بن ساكاي الإذن بفتح أول مدرسة للدراسة

(١) تيتوس : إمبراطور روما من ٣٩ إلى ٨١ ، وهو ابن الإمبراطور وفسادين ، وأثناء حكم أبيه استولى على أورشليم سنة ٧٠ وصحبها للاضطهادية . (للملني) .

التوراة في يابنيه Jahneh . ومنذ ذلك الحين كان التوراة ودراسة
ها الاذان أبقيا الشعب للبعثر مع بعضه البعض .

والكثير جداً معروف ومقبول بشكل عام ، ولم آمل إلا أن
أضيف أن كل هذا التطور الذى يدل على اليهود بشكل خاص ،
أدخله نهي موسى عن عبادة الإله في شكله الرقى .

• وكان للأفضلية التى أولاها اليهود خلال ألفى عام للسعى
الروحى آثارها بالطبع ، وساعدت على بناء سد صد القسوة والليل
إلى العنف اللذين يوجدان عادة حيث يصبح التطور الرياضى للتل
الأهل للشعب .

وقد حرم على اليهود التطور المنسق للنشاط الروحى والجسمى
كما تحقق لدى الاعريق . وكانوا قد اتعمدوا قرارهم على الأقل ضد
هذا الصراع تأييداً لما كان أكثر أهمية ثقافياً .



• — البذعكس الإشباع

لا يبدو من الواضح أبداً السبب الذى من أجله تزيد الروحانية
وثانوية الحواس من جهة الفرد وكذلك الأمة . ويبدو أن هذا
يفترض مسبقاً مستوى محدداً للقيم ، وشخصاً آخر أو شريعة

نستخدمه . ونعود لشرح ذلك إلى حالة مشابهة في علم نفس الفرد
تفلسنا أن تفهمه .

فمنذما يلح «المو» على إنسان لتحقيق مطلب عزيز له طبيعة
جنسية أو عدوانية ، فإن أبسط استجابة وأكثرها طبيعية للأنا
الذى يحكم جهازى التفكير والأعصاب ، هو إشباع هذا المطلب
إتيان فعل من الأفعال ، وهنا الفعل الفريرى يحس به الأنا كنقطة ،
مثلا أن عدم إشباع هذه الرغبة يصبح بلا شك مصدرا للإزعاج .
والآن قد يحدث أن الأنا تحيد عن إشباع الرغبة بسبب عوائق
خارجية — أى عندما يتبين « الأنا » أن إتيان هذا العمل يجلب
في ركابه خطرا مؤكدا على « الأنا » . ومثل هذا الانصراف عن
الإشباع ، وهو نبذ الفرائض بسبب العوائق الخارجية كما نقول ، إطفاء
لمبدأ الواقع ، لا يمكن أن يكون مصدرا لمنفعة . وبسبب النبذ
الفريرى توتر مؤلما مستمرا إذا لم نتجح في تقليل قوة الدافع الفريرى
من خلال عملية تحول للطاقة . وقد يفرض علينا كذلك هذا النبذ
الفريرى بواسطة دوافع أخرى نسميها عن حق دوافع داخلية .
وخلال عملية تطور المرد يتحول جزء من القوى المحازة في العالم
المحارحى إلى داخل المرد وتصبح قوى حاززة داخل المرد ،
ويشكون معيار في الأنا يعارض التدرجات الأخرى بواسطة الملاحظة

والنقد والنهي . ونحن نسمي هذا المعيار الجديد « الأنا الأعلى » .
ومن الآن فصاعداً فإن الأنا قبل أن يتولى إشباع الفرائز ، عليه
أن يعنى ليس فقط بأحطار العالم الخارجى ، بل وباعتراضات الأنا
الأعلى . وله فرصة لذلك أكبر للامتناع عن إشباع الفريضة . وبينما
نجد النبذ الفريزى لأسباب خارجية مؤلم فقط ، فإن النذ لأسباب
داخية ، وإطاعة لمطالب الأنا الأعلى ، له أثر اقتصادى آخر ، فهو
بالإضافة إلى الألم الذى لاحتيل إلى تجنبه يحدث تسامياً فى الدقة التى
يعطيا للأنا — وهو ما يسمى بالإشباع التامى . إن الأنا يحس
أنه تسمى ، وهو يحس صلية النذ كأنها اعتصار له قيمته . ونظن
أن بوسعنا أن نتبع آلية هذا التسامى فى التمتع ، فالأنا الأعلى هو
حليفة وممثل الآباء (ولللمين) الذين يشرفون على تصرفات الفرد
فى سنوات حياته الأولى .

إنه يستمر فى وظائفهم بلا تغيير تقريباً ، وهو يبقى الأنا فى حالة
تسمية دائمة ويمارس ضغطاً منتظماً . ويسمى الأنا ، كما كان فى الطفولة ،
بالاحتفاظ بحب سيده ، وهو يحس برصاه كما لو كان غوثاً وإشباعاً ،
وتأنيبه كوخز فى الضير . وعندما يكون الأنا قد صمى من أجل
الأنا الأعلى بنذ إشباع غريزى ، فإنه يتوقع أن يكافأ على عمله بأن
يُحب أكثر . والوعى باستحقاق هذا الحب يُحس كغمز .

وفي وقت أن كانت السلطة لم تنبج صد وتصبح أنا أعلى ، كانت العلاقة بين الحب للهدد بالتفقد وبين المطلب الفريرى هي نفسها . وينبج إحساس الأمن والإشباع إذا حقق الفرد لنفسه نبذاً غريزياً من باب الحب لأويوه . وهذا الإحساس الطيب لا يستطيع أن يحرز صفة الانضغار الترحسية انلاحة إلا بعد أن تصير السلطة قائماً جزءاً من الأنا .

كيف يساعدنا هذا التفسير لتحصيل الإشباع عن طريق النبذ الفريرى في فهم العملية التي نرغب في دراستها — وهي زيادة الثقة بالنفس التي تراقق التقدم في الروحية ؟ ومن الواضح أنه يقدم التليل جداً من المساعدة ، لأن الظروف لها مختلفة جداً . ولا يوجد نبذ غريزى ولا يوجد شخص ثاني أو مقياس أعلى من أجل صالحه تؤدي التضحية . والجملة الثانية ستبدو تقريباً مشكوكاً فيها . وقد يجوز أن قول أن الإنسان العظيم هو السلطة التي من أجلها يبذل الجهد ، وحيث أن الإنسان العظيم يحقق ذلك لأنه بديل عن الأب ، فلاحاجة بنا إلى الاندهاش إذا قسم عليه دور الأنا الأعلى في علم النفس الجماهيري . ويصدق هذا لفتك ، بالنسبة للإنسان موسى في علاقته بالشعب اليهودي . وفي نقاط أخرى ، مع ذلك ، لا يوجد تشابه صحيح فيما يبدو . ويحكون الترق في الروحية من الحكم صد الإدراك الحسى

فصالح مايسمى بالعمليات الفكرية الأعلى — أى لصالح الذكريات
 والتأمل والاستقراء . وقد يكون للثقل ذلك هو الحكم الذى يقضى
 بأن الإجابة أهم من الأسئلة ، مع أن الإجابة لا يمكن إثباتها بالحواس
 كالأسماء . وهذا هو السبب الذى من أجله ينبغي أن يكون للطفل
 اسم أبيه وأن يرثه . ومثل آخر : إن إلها هو أعظم الآلهة وأقواها ،
 ولو أنه غير مرئى ، مثل المصطفى والروح . وبدون رفض للطلب
 الجنسى أو الفريسي المدوائى شيئا مختلفا جدا عن هذا . وفي أمثلة
 كثيرة على التقدم فى مدارج الروحية — لا نستطيع أن نشير إلى
 السلطة التى تسن المعيار الذى به يقاس ما يمكن أن يمد ذاقية أعلى .
 وفي هذه الحالة لا يمكن أن يكون الأب نفسه ، طالما أن هذا التقدم
 وحده هو الذى يرضه إلى أن يكون فى مرتبة السلطة . ولذلك فإننا
 نتواجه مع هذه الظاهرة وهى أنه خلال تطور البشرية ينصع عالم
 الحسيات للروحية ، وبحس الإنسان الفطر والنسائى لكل خطوة من
 هذه الخطوات التى تسير به فى طريق التقدم فى الروحية . ولا تعرف
 السبب فى ذلك . إلا أنه فيما بعد يحدث أن الروحية نفسها تنقلب على
 أسرها ظاهرة الإيمان العاطفية والتنامضة كل النعوض . وهذا هو
 للثقل المشهور الذى يقول إني لأؤمن بما هو لا معقول Credo quia
 absurdum . وأى إنسان كان يحقق لنفسه هذا يعتبره أسفى المنجرات .

وربما كان الشيء المشترك بين كل تلك المواقف النفسية شيئاً مختلفاً .
وربما يعمل الإنسان ببساطة أن النجس الأعلى هو الأكثر صعوبة
على التصديق ، وأن نغره به ليس إلا ترحسية ، يدكها وعيه بأنه
تغلب على الصعوبة .

ومن للؤكد أن هذه الاعتبارات غير مجدية كثيراً ، وقد نظن
ألا علاقة بينها وبين بحثنا فيما حدد أخلاق الشعب اليهودي ، ولكن
ذلك في صالحنا ، ولكن ما ثبت أن هذا التسلسل التكرري مرتبط
بمشكلتنا واقعة سنشمل بالناس فيها بعد بشكل أوسع ؛ فالديانة التي
بدأت بتصرم صنع صورة لإلهها تطورت أكثر فأكثر على مر
القرون وصارت ديانة نديغريزي — ولا يعني ذلك أنها تأمر بازهد
الجفسي ، ولكنها تقيم بتقييد الحرية الجفسية تقييداً كبيراً ؛ ونسحب
تماماً صورة الإله فيها من المستوى الجفسي وترصه إلى مستوى مثالي
من الكمال الأخلاقي . والأخلاق تعني مع ذلك تقييد الإشباع
النغريزي . ولم يعمل الأنبياء ترديد أن الإله لا يطلب شيئاً آخر من شعبه
سوى حياة عادية وفاصلة — أي الامتناع عن إشباع كل السورات
التي تدبها بالإثم طلقاً للماير الأدبية للعاصرة . وحتى الحضي على
الإيمان بالله يبدو وقد تراجع أمام خطورة هذه المطالب الأخلاقية .
ومن ثم يظهر أن النبد النغريزي يلعب دوراً بارزاً في الدين ، مع أنه
لم يكن موجوداً فيه من أول الأمر .

وهنا مكان أن هول شيئاً من شأنه أن يجمع قيام سوء نظام .
ومع أنه قد يبدو أن عملية نذ الفرائز ، والأخلاقيات التي تنهض
عليها ، لا تمت إلى جوهر الدين ، إلا أنها محوماً وثيقة الارتباط
لدين رغم ذلك . وتحتوى الطوطمية وهي أول شكل معرفة للدين ،
كجزء لا يتجزأ من نظامها ، على عدد من القوانين والنوامى التي
يساطة لاتمنى شيئاً سوى أنها مد للفرائز ، فهناك عبادة الطوطم
التي تحتوى على تحريم قتله وحظر تربضه للأذى ؛ وهناك الزواج
من غير الأهل (وهو يعنى نذ الزواج من أمهات وأخوات القبيلة :
وهن مرغوبات بشكل حاد) ، وهناك منح كل أعضاء قبيلة الأخ
حقوقاً متساوية (وهو ما يعنى تقييد الليل إلى تسوية كل منازعاتهم
بالقوة المجردة) . وفى هذه القواعد تنلس البدايات الأولى للنظام
الأدبى والاجتماعى . ولا يحى على ملاحظتنا أن دامين مختلفين يظهران
على المسرح هنا . فالطهران الأولان يسلان فى الاتجاه الذى كان
من الممكن أن يرغب فيه الأب القتل ، وما كآرى يملكان إرادته ،
والتانون الثالث ، وهو التانور الذى يعطى حقوقاً متساوية إلى
الأخوة ، يتجاهل رغبات الأب . وينهض مساء على الحاجة إلى الحفاظ
بشكل دائم على النظام الجديد الذى قام بمسد موت الأب ، وإلا
فالاتكاس إلى الحالة السابقة ما كانت أمراً حتمياً . وهنا صارت

القوانين الاجتماعية منفصلة عن غيرها من القوانين التي من الجائز أن قول بها أنها نشأت مباشرة من مفزى ديبى .

وفى التطور المتصعب للفرد الإنسان تتكرر أم أحداث تلك العملية ؛ وهنا أيضا فإن سلطة الآباء — وأساسا سلطة الأب صاحب القوة الذى لا منازع له ، الذى يستنظم سلطة العقاب — هى التى تطلب تد الفرائز من جانب الطفل وتحدد مامو مسوح به ومامو مجموع . وما يسميه الطفل « حلوا » أو « خيشا » يصبح فيما بعد ، وعندما يحل المجتمع والأما الأعلى مكان الآماء ، « خيرا » أو « شررا » بالمعنى الأخلاقى ، فاضلا أو غيبيثا . ولكنه مع ذلك نفس الشيء : نبذ للفرائز من حلال حصور السلطة التى حلت محل وواصلت سلطة الأب .

ونعمق نظرنا داخل هذه الشاكل أكثر عندما نبحث المفهوم الغريب للقداسة . ما هو فى الواقع ذلك الذى يظهر « مقدسا » بالمقارنة بالأشياء الأخرى التى نحترمها جدا ونوافق على أنها شيء هام له أثره ؟ فن ناحية فإن الارتباط بين للقدس والدين شيء صحيح وبارز جدا حتى ل يبدو واضحا ، فكل شيء مرتبط بالدين مقدس ، وهذا هو صميم جوهر القداسة . ومن ناحية أخرى فإن الاضطراب يحوم حول حكمنا من خراء المحاولات المدينة التى تريد أن تنسب

القفاس إلى أشياء أخرى كثيرة — أشخاص ونظم وتشريعات
 لا تمت إلا بالقليل إلى الدين . وهذه المحاولات كثيراً ما تكون
 مفترضة بشكل واضح . ولنبداً من سمّة التحريم التي تلتصق التماثلاً
 وثيقاً بالدين . ومن الواضح أن للقدس شيء لا يجب أن يمس ،
 وللتحريم للقدس نعمة مؤثرة شديدة القوة ، ولكنه في الواقع لا ينبع
 من دافع عقلي ، إذ ما الذي يجعل ارتكاب الفحشاء جوه حاس مع
 الابنة أو الأخت حريمة نكراء أكثر جرماً من أى علاقات حسية
 أخرى . وعندما نسأل عن تفسير ميثاق لنا بالتأكيد أن أحاسيسنا
 تنفر من حرمة كهذه ، ومع ذلك فإن كل هذه للماني لا تنفد إلا أن
 التحريم شيء يد واضحاً منفصلاً ، وأنت لا تعرف كيف تفسره .

ومن السهل إثبات أن تعبيراً كهذا زائف ، والشئ المعروف
 عنه أنه يؤذى أحاسيسنا كان مألوفاً كمادة طامة — وقد قول أنه
 كان تقليداً مقدساً — في الأسر الحاكمة لقدماء المصريين والشعوب
 الأخرى . ولا جدال أن كل فرعون وجد أول روحه له في مأخته ،
 ولم يتردد حلفاء الفراعنة وهم البعالة الإغريق في إتباع هذا للثل .
 ويبدو أننا نستنتج من ذلك أن الزنا بالمحارم — وهو في هذه الحالة
 بين الأخ وأخته — كان امتيازاً ممنوعاً على العاديين من الناس ،
 ومقصوراً على الملوك الذين يمثلون الآلهة على الأرض . ولم يكن عالم

أساطير الإغريق والألمان استثناء من حيث تحريم هذه العلاقات بين المحارم من الأقارب ، وربما جاز لنا أن نتصور أن الاهتمام البالغ بما يسمى « أسرة » بين الطبقة النبيلة العليا من مجتمعاتنا من مخلفات هذا الامتياز القديم ، ونلاحظ أنه نتيجة للتزاوج الداخلي الذي استمر خلال أجيال كثيرة في الدوائر الاجتماعية العليا أن الروم للفتوة اليوم في أوروبا هي في الواقع أسرة واحدة .

وتساعد الإشارة إلى قيام الزواج بين المحارم من الأقارب بين الآلهة وللوك والأبطال ، على قيام محاولة أخرى لتفسير عدم ضرر التزاوج الداخلي ، وهي تلك التي تحاول أن تعسر حول الاتصال الجنسي بين الأقارب المحرمين ، من الناحية البيولوجية ، والإقلال من شأنها حتى تصبح معرفة غريبة . ولا ننكر كذلك وجود خطر من نوع ما من التزاوج الداخلي ، فاهيك عن أن الأحناس البدائية عرفته واثقته . وعدم التيقن في العلاقات للسوح بها والمحرمة هو حجة أخرى ضد افتراض وجود « إحساس طبيعي » مسبق لدى الإنسان كدافع أصلي للفرع من الاتصال الجنسي بالمحارم . وتفترض علينا طريقنا لصياغة ما قبل التاريخ تفسيراً آخر ، وهو أن قانون الزواج من غير الأقارب ، وهو التعبير السلبي الذي يمنع منه الخوف من الاتصال الجنسي بالأقارب ، كان إرادة الأب ،

وأما استمرار بحد مقته . ومن ثم كانت قوة أثره واستعالة وجوده
دافع عقل له — وبالاختصار قداسته . وإلى أن توقع عن حق أن
يؤدي البحث في كل الحالات الأخرى للحرمان المقدسة إلى نفس
نتيجة الفزع من الاتصال الجنسي بالأقارب — وهو أن ما هو
مقدس ليس في الأصل شيئا سوى الإرادة الخالقة للأب البدائي .
ويوضح ذلك أيضا تفسير للنبيين للتعارضين للكلمة ، والذين ظلا
بلا تفسير حتى الآن ، والذين يميزان عن مفهوم القداسة . وما
للعيان اللذان يحكيان العلاقة بالأب ، وكلمة مقدس « Sacer »
لا تعني فقط « مقدسا » أو « مباركا » ، ولكنها تعني كذلك شيئا
يمكننا أن نترجمه « علمون » أو « يستحقون الأزدراء » (Anl Sacer James) ، ولم تكن لإرادة الأب مجرد شيء لا ينبغي أن يفس ، وينبغي
أن يوضع موضع الشرف العالي ، ولكنها كذلك شيء تجعل الإنسان
يرتجف لأنها تتطلب بالضرورة التبدل التواضع للفرائر . وعندما نسع
أن موسى جعل شعبه مقدسا بأن أدخل عادة الختان ، فإننا نفهم الآن
للمنى العميق لهذا الزعم ، فالتختان هو البديل الرمزي للإحصاء ، وهو
عقاب كان يرمز الأب البدائي على أمائه منذ زمن بعيد من باب
للممارسة الكاملة لسلطته ، وكل من كان يقبل هذا الرمز كان يظهر
نفسه ذلك استعداده للرضوخ لإرادة الأب ، رغم أنه كان على حساب
تضحية مؤلمة .

وبالعودة إلى الأخلاق : قد نقول ختاماً أن جزءاً من شرائعها
تفسره عقلياً ضرورة تحديد الحقوق التي يسقطها المجتمع على الفرد ،
والحقوق التي يتنازل عنها الفرد للمجتمع . والحقوق التي يعترف بها
الأفراد تجاه بعضهم البعض . وإن ما يظهر غامضاً ومبهماً وواضح
بنفسه باطنياً ليدرس صفاته إلى ارتباطه بالدين ، وبانتماء أصله من
إرادة الأب .



٦ — الحقيقة في الدين

كيف نحدد نحن أصحاب الإيمان القليل هؤلاء الذين يقتسمون
وجود قوة عليا لا يشكل العالم بالنسبة لها أية مشاكل لأن هذه القوة
نفسها هي التي خلقت كل نواحيه ! وكيف أن مذاهب المؤمنين
شاملة ومستوعبة ونهائية بالنسبة لمحاولات التضيق للمصطنعة النقية
المرقمة وهي أحسن ما يمكننا تقديمه . إن الروح الإلهية ، وهي في ذاتها
لثل الأعلى للكمال الأخلاقي ، قد زرعت داخل روح البشر للتعرف
بهذا المثل الأعلى والدافع إلى السعي نحوه في نفس الوقت . والبشر
محسوسون فوراً بما هو سام ونبيل وبما هو محط وحقير . وتقاس حياتهم
المعاصرة بالبعد بينهم وبين مثلمهم الأعلى . وإنه لينصحهم إشباعاً عظيماً
عندما يقتربون منه — قياساً إلى أقرب نقطة منهم إليه — أكثر

وهم يحسون كغتاب لهم بالشقاء الشديد عندما — قياساً إلى أبعد نقطة منهم إليه ، يسيرون مبتعدين عنه . كل هذا معروف ببساطة وباستقرار جداً . وليس بوسعنا إلا الأسف له ، إذا جعلت تجارب معينة من الحياة ولمحفوظات مستوحاة من العليمة ، من المستحيل قبل الافتراض بوجود مثل هذا الكائن الأعلى . وكألو كان العالم ليس له به ما يكفي من للشاكل ، فأننا نتواجه بهمة الكشف عن الكيفية التي استطاع بها المؤمنون بالكائن الإلهي أن يكون لهم هذا الإيمان ، ومن أين يستمد هذا الإيمان القوة الغضبية التي تمكنه من التغلب على العقل والعلم^(١)

ولنمد إلى للشكلة الأكثر تواضعاً التي شغلتنا حتى الآن ، فلتد بدأنا في شرح من أين جاءت هذه الخاصية العجيبة للشعب اليهودي التي بكل الاحتمالات ساعدت هذا الشعب على الاستمرار في الحياة حتى الوقت الحالي . ووجدنا أن الإنسان موسى خلق أخلاقه لإعطائه دينار زاد من قوته بنفسه لدرجة أنه اعتقد في نفسه أنه أسهى من كل الشعوب الأخرى . وعاش بأن انفزل عن الشعوب الأخرى . وخلق احتلاط الدم اختلافاً بسيطاً ، طلالاً أن ما أجهاء متلاحقاً كان شيئاً

(١) إشارة إلى الفقرة التي تقول في رواية فوست : Verackto Schaff nur

Vernunft and Wissen . (الترجمة) .

مثالياً — امتلاكه امتلاكاً مشتركاً قديم فكري وعاطفي معينة .
وكان للديانة الموسوية هذا الأثر .

١ — لأنها سمعت للشعب بالمشاركة في حلال مفهومها الجديد
عن الله .

٢ — ولأنها تمكنت بأن الشعب قد « اختاره » هذا الإله
المعظم ، وأنه كان من قدره أن يستمتع بدلائل إنبائه الخاص .

٣ — ولأنها فرضت على الشعب هدماً في الروحية — له دلالة
الكافية في حد ذاته — فتح طريق الاحترام ، لأبعد من ذلك ،
لعمل العكس ولزيد من أوجه النذ للفرار .

وهذه هي إذن انطلاقة التي توصلنا إليها ، ولكني رغم أني
لا أرجو أن أسحب أي شيء قلته من قبل ، فإني لا يسمي إلا الشعور
بأنها بشكل ما نتيجة غير مرضية كلية . ولا يتفق السب على ما أرى
مع النتيجة .

وتبدو الحقيقة التي نحاول شرحها شيئاً غير متناسب مع كل
ما قدمه من دلائل بهدف التفسير . فهل من الممكن أن كل بحوثنا
حتى الآن لم تكشف المواقف كلها ؟ بل طبقة سطحية منه فقط ، وأنه
حلف هذه الطبقة يمكن تخفيض جزء مركب آخر له دلالة الكبرى ؟
وبالمظهر إلى التعقيد غير المادي الذي توجد عليه كل علة في الحياة

والتاريخ فإن من الواجب علينا أن نكون على استعداد لشيء من هذا التفسير .

وللرور إلى هذا الباع الأعمق بدأ بعد فترة معينة في المناقشة السابقة . ولم تحقق ديانة موسى آثارها فوراً ، ولكن بطريقة غريبة غير مباشرة . ولا يبنى هذا أنها هي نفسها أولفت الأثر ، ولكنها استغرقت وقتاً طويلاً وقروناً كثيرة ، لتتمثل ذلك ، وهو ما يلزم بلا منازع تطور أخلاق شعب من الشعوب . ومع ذلك فإن تهدينا يشير إلى واقعة أخذناها من تاريخ الديانة اليهودية ، أو بالأحرى أدخلت عليه ، فقد قلت إن الشعب اليهودي تمحل من ديانة موسى بعد وقت معين ، ولا نستطيع أن نحول ما إذا كان قد فعل ذلك كلمة أو أنه استبق بمضا من أفكارها .

وفي تقل الافتراض الذي يقول بأنه خلال الفترة الطويلة من القتال من أجل أرض كنعان والنضالات مع الشعوب للفتوة هناك ، لم تختلف ديانة يهوه كثيراً عن عبادة البعليم الآخر ، فف على أرض تاريخية ، برغم كل المحاولات المفرمة اللاحقة لإخفاء هذا الوضع الزائف للأمر ، فديانة موسى رغم ذلك لم تكن ، وعاش نوع من ذكرها ، مخفياً ومشوها ، ولكنه عاش ربما بتأييد أفراد من طبقة الكهنة من خلال النصوص القديمة . وكانت هذه الرواية للماضي

العظيم هي التي استمرت في ممارسة تأثيرها من وراء الستار ، وببطء
اكتسبت المزيد والمزيد من القوة على عقول الشعب وأفلحت آخر
الأمس في تغيير الإله يهوه إلى إله موسى ، وفي بحث الديانة المهمة من
جديد التي أسسها موسى من قرون مضت

وفي الأجزاء المبكرة من هذا الكتاب ناقشت الافتراض الذي
يبدو الآن مناس من إذا كان علينا أن نجد مثل هذا العمل الفذ
مفهوما من جانب الرواية المنقولة .



٧ — مودة المكوث

هناك عدد من العمليات المشابهة على رأس تلك العمليات التي
ميزنا بها البحث التحليل للحياة العقلية . وبمضا يسمى باثنولوجي
(مرضى) ، وبعد بمضا الآخر من بين الأوجه التي يتشكل عليها
الشخص المادى ، ومع ذلك فالأمر قليل الأهمية ، لأن الحدود بين
الإنثنين غير محددة تحديداً قاطعاً ، والعارق الآلية التي تسير عليها
مشابهة إلى حد معين . وإنما الذى يهم جداً هو ما إذا كانت
التغيرات موضوع البحث تتم فى الأما نفسه أو أنها تواجهه كموامل
غريبة عليه ، وفى هذه الحالة الأخيرة تسمى أمراضا . ومن اكتمال
المادة التي تحت تصرفى سأختار حالات نهم تشكيل الشخصية .

لقد تطورت فتاة شابة إلى أقصى التناقض من أمها ، وتمهدت
 في نفسها كل انخصال التي افضتها في أمها ، وتجنبت كل تلك الصفات
 التي تذكرها بأمرها . وقد أضيف أنه في السنين السابعة كانت تجد
 نفسها في أمها — كأي طفلة أخرى — ولكنها الآن بلغ بها الأمر
 أن تناقض هذا التماثل بحماس . وعندما تزوجت هذه الفتاة وصارت
 زوجة وأماً بدورها ، فإننا نلحش عندما نجد أنها صارت أكثر
 وأكثر مشابهة للأم التي كانت تحس بالمداوة البالغة لها ، حتى
 كللت أخيراً هذه الشابة بالأم بالنصر القاطع . ونفس الشيء يحدث
 مع الأولاد . وحتى جوتة العظيم ، في مرحلة Sturm and Drang ،
 لم يكن يحترم بالتأكيد ، الاحترام الواجب ، أباه المتعالم اللفظ ،
 وتكونت له في شيفرخته صفات كانت لأبيه . وتبرز هذه النتيجة
 أكثر حيث يكون التناقض بين الشخصيتين أوضح وأمر . وإن
 الشاب الذي كتب عليه قدره أن يكبر مع أب لا يصلح لشيء ، ليصبحه
 في نموه في أول الأمر — ورعاً عن أبيه — إلى أن يكون رجلاً قادراً
 مؤثراً به شريفاً . ولكن في مستقبل العمر تنغير شخصيته ، ومنذ
 ذلك الحين فصاعداً يتصرف كالأب لو كان قد اتخذ هذا الأب نفسه
 نموذجاً له . ولكن لا نفصل عن موضوعنا يجب أن نضع في بالنا
 أنه عند بداية مثل هذه العملية فإنه يوجد دائماً تماثل بين الابن والأب

منذ الأيام المبكرة للطفولة ، وإن التماثل يفيد بل وينال في الصفات
المعارضة له ، وفي النهاية يأتي إلى الصوء مرة أخرى .

وصار من الشائع منذ زمن بعيد أن تجربة السنوات الخمسة
الأولى من حياة الطفل لها سلطاتها الحاسمة على حياتنا ، وهو سلطان
تعارضه الأحداث اللاحقة عتيا . ويمكن أن يقال الكثير عن كيفية
مقاومة هذه التجارب المبكرة لكل جهود السنين الأنصح لتعديلها ،
ولكن ما سبقال لن يكون له علاقة بالموضوع ، وقد لا يكون معروفا
بشكل قوى أن أقوى تأثير ملح يستمد من تلك التجارب التي يدخلها
الطفل ، يكون في وقت نحسب أن لديها من الأسباب ما يحملنا نعتقد
أن جهازه النفسى يكون غير مستعد تماما لتقبلها . ولا يمكن الشك
في الواقعة نفسها ، ولكن يبدو مستغربا أن من الجائز أن نحاول ،
أن نسهل أكثر ، عملية التهم بواسطة التشبيه ؛ ويمكن أن تقارن
العصية بالصورة الفوتوغرافية التي يمكن تكبيرها لتصبح صورة
أكبر بعد فترة تنصر أو تطول . وهذا قد أشير مع ذلك إلى أن كانبا
خياليا ، له الجراءة التي تمتز لأمثاله من الكتاب ، فيض له هذا
الاكتشاف الخير قلبى ، وأعتقد .ى . ت . ا . هوفمان^(١) أن بشرح
تراء الأرقام الخيالية التي كانت تكشف له عن مكنونها لينسج منها

(١) H.T.A' Hoffman : كاتب قصصى . - (المصن) .

قصصه عن طريق الصور التي تتغير بسرعة ، والأحاسيس التي كان قد تلقاها خلال رحلة في عربة يريد استمرت لعدة أسابيع عندما كان ما يزال طفلاً يرضع ثدي أمه . وما كان قد جربه طفل ، ولم يكن قد فهمه عندما وصل إلى سن الثانية ، كان من الممكن ألا يذكره مرة أخرى أبدا ، إلا في أحلامه . ولن يمس تلك الأحداث إلا أثناء العلاج التحليلي النفسي فقط . وقد تتضمن حياته في أي وقت من صفيه باندفاع ملح ، وتوجه أعماله وتجبره على حب أو كراهية الناس ، ولما التقرار في كثير من الأحوال في عملية اختيار موضوع حبه ، مفضلة هذا أو ذاك ، بما لا يمكن الدفاع عنه عقليا في كثير من الأحيان . والتفعلتان اللتان ثمان مشكلتنا لا يرق إليها الخطأ ، وما أولا بعد الزمن^(١) الذي يعتبر هنا كما لو كان المنصر الخامس . واقصيا متلا يحدث في حالة القاء كرة الخاضعة التي تتعلق بتجارب الطفولة تلك ، والتي تدرجها تحت اسم «اللاشعور» وتتوقع أن نجد في هذه السمة شبيهاً بالحالة العقلية التي نفسها إلى التراث عندما ينشط في الحياة

(١) وما كذلك قد يحدث منا شاعر . ولكن يفرح ارتباطه بتجارب :

لأنه في حيوات سابقة قد مروا

من خلاصة ، أيها الحب ، سواء كنت

الراجلة التي ربطتني بأخي أم تزوجي .

جوته ، الحب المراج من طيبة ليل ، ص ٩٧ . (فرويد) .

العقلية الماطية لشعب من الشعوب . ولم يكن من السهل ، حقيقة ، إدخال مفهوم اللاشعور في علم النفس الجماعي .

وتقدم البناءات الآلية التي تؤدي إلى تكوين المعاصب إضافات منتظمة للتواهر التي تبحث عنها ، وهنا كذلك يكون للتجارب الحاسمة التي جرت في الطفولة للبكرة تأثيرها الباقي ، ومع ذلك ففي هذه الحالة لا ينصب التركيز على الزمن ، بل على العملية التي تناقض ذلك الحادث ، ورد الفعل ضده . وبتميز أصبح قول الآتي : كنتيجة لتجربة معينة يقوم بطلب غريزي يسمى إلى الإشباع . ولكن الأنا يطرح عنه هذا الإشباع ، إما لأن الشلل يصيبه نتيجة للنزلة في الطلب ، وإما لأنه يرى في تحقيقه خطراً ممثلاً . والسبب الأول في هذين السببين هو السبب الأصلي ، وكلا السببان يتجهان إلى تجنب أحد المواقف الخطيرة . ويحذر الأنا من هذا الخطر بواسطة الكبت ، ويمنع التهيؤ بطريقة أو بأخرى ؛ وينسى الاستنزار بماله من ملحوظات ومذكرات . ولا يؤدي هذا ، مع ذلك ، بالعملية إلى النهاية ، فلما أن الغريزة قد احتفظت بقوتها ، أو أنها ستستعيد قوتها ، أو أنها ستأثر من حديد بموقف جديد . إنها تجد مطلبها — حيث أن الطريق إلى الإشباع الطبيعي يوقه ما يمكن أن نسميه سيج تدبة الكبت — وتصل عندي إحدى النقاط الصيفة إلى مكان جديد قريبها مما يسمى

بالإشباع البديل الذي يظهر الآن كمعرض بدون موازنة الأنا وبدون إدراكه كذلك . وكل الظواهر التي تتخذ شكل العرض يمكن وصفها من حق بأنها « عودة للكبت » . وتكون الصفة البارزة لهذه الظواهر في التشوه الواسع المدى الذي مرت به العناصر العائدة ، بالمقارنة إلى شكلها الأصلي . وربما يثار اعتراض هنا من أنه في هذه المجموعة الأخيرة من الوقائع انحرفت كثيراً عن التشابه مع التراث . ولن أحس مع ذلك بأي أسف إذا كان ذلك قد قربنا أكثر من مشاكل نبد الترائز .



٨ — الحقيقة التاريخية

لقد صممت كل هذه الانحرافات السيكولوجية كي أحمل من المصدق أكثر أن ديانة موسى لم تؤثر على الشعب اليهودي إلا عندما صار تراثاً . ولم نحرز بالكاد أكثر من احتمال ، ومع ذلك فلتفترض أننا قد نجحنا في إثبات ذلك بشكل قاطع ، ولكن الانطباع سيظل أننا قد أرضينا فقط العامل الكيفي لمهتنا ، وليس العامل الكمي كذلك . وهى لكى السائل التى تمنح خلق ديانة من الديانات — وتمنح بالتأكيد اديانة اليهودية — شىء مهيب ، لم تقطعه حتى الآن أى من تفسيراتنا . ولا بد أن أحد العناصر الأخرى له صلح في ذلك :

عنصر ليس له إلا أشباه قليلة ولا يوجد ما يشبهه شيئاً تاماً . إنه شيء فريد ومثلث مع ذلك بالقياس تماماً ، شيء يشبه المدين نفسه .

ولقد ما إذا كنا نستطيع أن نترب من موضوعنا من الجانب المقابل ، فنحن نعلم أن الإنسان البدائي في حاجة إلى إله بوصفه خالق العالم ، ورئيس قبيلته ، ومن يمس به . ويحتل هذا الإله مكانه خلف الأباء الموتى الذين ما يزال التراث لديه شيء يقصه عنهم . والإنسان في المصور اللاحقة — في عصرنا مثلاً — يتصرف تصرفاً مشابهاً . وهو بظل كذلك طفلياً ويحتاج إلى الحماية ، حتى عندما يكبر حتى تمام نموه . وهو يحس أنه لا يستطيع أن يستغنى عن مساعدة إلهه . وهناك مسائل كثيرة لا قبل النقاش ، ولكن ليس من السهل اليسور أن نعلم لماذا كل من الضروري أن يوجد إله واحد ، ولماذا يكون للقدم من تعدد الآلهة إلى التوحيد كل هذا المعنى الطاغى . والحقيقة كما ذكرت من قبل أن المؤمن يشترك في عظمة إلهه ، وكلما زادت قوة الإله ، كلما كانت الحماية التي يوسمه أن يضيفها عليه شيئاً مضموناً . ولا نفترض قوة الإله مع ذلك اقتراضاً مسبقاً أنه إله واحد : فكثير من الشعوب لم تبحد إلهها الأكبر أكثر إلا عندما كان يسيطر على مجموعة من الآلهة الأقل شأنًا ، ولم يكن يقلل من عظمتها أن أكله أخرى كانت توجد إلى جواره . وكان ذلك يعنى أيضاً التضحية

بعض من العلاقة الحيمة إذا صار الإله عالياً وكانت معانيه شاملة لكل البلاد والشعوب بالتساوى . وربما كان لنا أن نقول أن ضرورة انقسام الإله مع الأغراب كان يستتبعها تعويض المؤمنين الأصليين بالإله من ذلك باعتقاد أن هذا الإله يؤثرهم برضاه عن غيرهم ، وربما كان معنى ذلك أن تصور الإله بوصفه واحداً هو خطوة للأمام في طريق الروحية ، ومع ذلك فلا ضرورة إلى اللاتفة في تقدير هذه النقطة .

والثامن يعرف طريقة بتداولك بها ملاءمة الفراغ الواضح في التعليل ، وهو يقول أن فكرة الإله الواحد لها هذا التأثير الطائفي على البشرية لأنها جزء من الحقيقة الأدبية ، التي ظلت محبوسة كل هذا الوقت الطويل ، وكان عليها أن ترى النور آخر الأمر ، وحرفت كل شيء أمامها . وعليها أن تقر أن لديها عنصراً من عناصر التنظيم يناسب مع عقلة الموضوع ، ويناسب كذلك مع نجاح تأثيره .

وأحب كذلك أن أقبل هذا الحل . ومع ذلك فقلدى شكوكي . وتقوم الحجة الأدبية على مقدمات متعاقبة ومتتالية ولم تظهر البصيرة الإنسانية نفسها في مكان آخر أنها قد وهبت حاسة شديدة جداً للحقيقة ، لا ولم يظهر العقل الإنساني أى اعتماد خاص لتقبل الحقيقة . إن العكس هو الصحيح ، فالتجربة التي يعرفها الجميع أن البصيرة

الإنسانية تمحلىء بسهولة جداً دون أن تشبه أدنى اشتباه في أنها قد أخطأت ، وأنه لا شيء يدعو إلى التصديق القنوي أكثر مما يلتقي مع رغباتنا وأوهامنا في منتصف الطريق — بصرف النظر عن الحقيقة ، وهذا هو السبب الذي من أجله نحتاج موافقتنا إلى تعديل . وأنا كذلك أميل إلى أن أقول أن الحل الذي يقدمه للؤمن يحتوي على الحقيقة ، وهي ليست مع ذلك الحقيقة للأدبية ، ولكنها الحقيقة التاريخية . وإلى لأدعى لنفسى الحق في تصحيح التشويه اللعين الذي أصاب هذه الحقيقة عند معاودة ظهورها ؛ بمعنى أنى لأعتقد أنه في العصور البدائية كان يوجد شخص واحد كان من الضروري أن يبدو هلالاً ، وعندما ارتفع إلى مستوى الآلهة ، عاد إلى ذاكرة البشر .

ولقد افترضنا أن ديانة موسى . قد طرحت ونسبت جزئياً ، وأنها فيما بعد فرصت نفسها على ملاحظة الشعب اليهودى بوصفها تراثاً . وإني لأنصوّر أن هذه العملية كانت التكرار اإسليمى أسبق عليها . وعندما أسقى موسى شعبه فكرة الإله الواحد لم تكن الفكرة جديدة كلية ، لأنها كانت تعنى بحث الحياة في تجربة بدائية جرت في الأسرة الإنسانية وكانت قد ذوت من الفكرة الواسية للبشرية . وكانت للتجربة أهمية خاصة وأثمرت تغييرات بعيدة المدى في حياة الإنسان ، أو أنها على الأقل مهدت الطريق لها ، حتى لا يصى إلا أن

اعتقد أنها قد تركت أثراً دائماً في الروح الإنسانية — شيئاً يمكن
مقارنته بالتراث .

وقد علمنا التحليل النفسي للأفراد أن مشاعرهم للبكرة التي
تكونت لديهم في وقت لم يكونوا فيه قادرين بعد على شيء ، تمصيح
عن نفسها فيما بعد بشكل مزعج ، مع أن هذه للشاعر نفسها لا يذكروها
صاحبها بشكل واع . وري أن نفس الشيء يسرى على التجارب
للبكرة للبشرية . ونتيجة واحدة لذلك هي ظهور فكرة إله عظيم
واحد . وببني أن نتعرف بها كذكرى — ذكرى محرفة حقيقة ،
ولكنها رغم ذلك ذكرى . وهي ذكرى لما صفة مزججة ؛ وبساطة
يعنى الاعتقاد فيها . وبمقدار ما يبلنه التصريف الذي أصابها قد نسي
وهما ؛ وبمقدار ما تدفع من الماضي إلى دائرة الضوء يبني أن نسي
حقيقة . وتتضمن الهم للرضى النفسى كذلك جزءاً من الحقيقة ؛
وبنوع اقتناع المريض من هذا ، ويمتد إلى كل الباء الزيف الومى
الذى يحيط بالهم .

وتحتوى الصفات التالية على صورة مكررة ، يكاد يذكر التنوير
الذى تناولها ، لما قلته في القسم الأول . وفي سنة ١٩١٢ حاولت في
كتابي « العوالم والحرم » أن أعيد بناء الموقف القديم الذى خرجت
منه كل هذه النتائج . وفي ذلك الكتاب استخدمت بعض الأفكار

النظرية التي قال بها شارلز دارون ، و ج . أنكسونس ، وبخاصة
 روبرت سميت ، وربطتها بالأكتشافات ، والأفكار المستخلصة من
 ممارسة التحليل النفسي . ومن دارون أخذت فكرة أن البشر عاشوا في
 أول الأمر في عشائر صغيرة ، وكانت كل عشيرة تحت حكم ذكر أكبر
 سنا ، وكان يحكم بالقوة الفاشية ويستحوذ على كل الإناث ، ويعتمد
 أو يقتل كل صغار الذكور ، بما فيهم أبنائه هو نفسه . ومن أنكسونس
 أخذت فكرة أن هذا النظام الأبوي وصل إلى نهايته شمر الأبناء
 الذين اتحدوا ضد الأب وتكاثروا عليه وأكلوا جثته . وقلت
 متابعا لنظرية روبرنسون سميت في الطوطم أن هذه العشيرة التي كان
 يحكمها الأب سابقا أعقبتها عشيرة أخوية طوطمية . وبعد الإخوة
 للنصر ، لكي يكون بوسمهم أن يعيشوا معا في سلام ، النساء
 اللاتي من أحلهن قتلوا الأب ، ووافقوا على أن يتزوجوا من خارج
 عشيرتهم ، وهكذا تددت سلطة الأب ، ودخل التنظيم الأمرى من
 طريق النظام الأموى . وظل هناك إحساس لدى الأبناء ، بعراض
 كل منهما الآخر تجاه الأب ، ويسيطران على الأبناء على مدى التطور
 اللاحق . وبدلا من الأب أعلن عن قيام طوطم من حيوان معين ،
 حل محل جدهم والروح الحامية لهم ، وما كان مسموحا لأحد أن
 يؤذنه أو يقتله . وكانت العشيرة تلتصق مرة كل عام تحتل بطوطمها .
 وفي الاحتمال يتضع الطوطم للقدس قصفا ومؤكل ، وما كان من

السوح لأحد أن يتمتع عن للمشاركة في هذا الاحتمال ، وكان
تكرارا مقدسا لاغتيال الأب ، هذا الاغتيال الذى بدأ به التنظيم
الاجتماعى والقوانين الأخلاقية والدين . وخطرت فكرة التشابه بين
عيد الطوطم (طبقا لوصف روبرتسون سميت) ، وبين المناولة المسيحية
لكثير من المؤلفين قبلى .

وما أزال حتى الآن أعتقد في هذه النتيجة العكسية ، وكثيراً
ماوجه لى بحماس اليوم لعدم تعبيرى أمكارى فيما تلا ذلك من طبعات
لكتابتى ، طالما أن الرهد من علماء علم الأجيال المحدثين قد طرخوا
بلا استثناء نظريات روبرتسون سميت ، وأحلوا محل جزء منها نظريات
أخرى تختلف عنها اختلافاً واسماً . وإنى لأجيب على هذا العقاب
بأنى أعرف جيداً هذا التضخم المزعوم في العلوم ، ولكنى لم أفتح
بصوابه ولا بتهملته لروبرتسون ، وليس معنى التناقض دائماً الرفض ،
ولا يعنى قيام نظرية جديدة أنها بالضرورة علامة على التقدم ،
ثم أنى مع ذلك لست من علماء علم الأجيال ، ولكنى محلل قوى .
ومن حقى الكامل أن أحتار من المواد التى يقدمها علم الأجيال
مايخدم بحثى التحليلي ، ولقد رددت كتابات روبرتسون سميت
صاحب اللوحة الكبيرة بنقاط قيمة تتصل بالمادة السيكلولوجية
للتحليل . وبأفكار نفهمها ، ولا أستطيع أن أقول «س الشئ» من
نظريات خصومه .

٩ - التطور التاريخي

ولا يمكنني هنا أن أعيد عرض محتويات كتاب « العلوم والحرم » ، ولكنني يجب أن أحاول بيان الذي حدث في الفترة الطويلة التي وقعت بين الأحداث التي اقترحت أنها حدثت في العصور البدائية ، وبين انتصار التوحيد في العصور التاريخية . وسد أن قام التماس بين عشرة الأخ والقبيلة الأموية والزواج من غير الأقارب والطوطية ، بدأ هناك تطور يمكن أن يوصف أنه « عودة بطيئة للمكبوت » . ولا يستخدم هنا اصطلاح « مكبوت » بتمامه التكميلي . إنني أعني هنا أنه شيء ماض ، قد احتفى ، وأمكن التقلب عليه في حياة الشعب ، وهو ما أتجراً على أن أعلمه كساو المادة المكبوتة في الحياة العقلية للفرد . وليس بوسعنا الآن أن نصف الشكل البيولوجي الذي وحد فيه الماضي خلال فترة الغلام التي عاش فيها . وليس من السهل ترجمة معاهيم علم النفس الفردي إلى معاهيم لعلم نفس جماعي ، ولا أظن أننا نستعيد شيئاً كثيراً بإدخال مفهوم اللاشعور « الجماعي » - فحتوى اللاشعور على أي حال جماعي ، وهو ملكية عامة للبشرية . ولذلك فإن استخدام التشبهات أثناء ذلك يجب أن يساعدنا على الفهم . والعمليات التي ندرسها هنا في حياة شعب من الشعوب نشبه كثيراً تلك العمليات التي ندرسها

من علم الطب النفسى ، ومع ذلك فعلى ليست نفسها تماماً ، وينبغى أن نخلص من ذلك إلى أن للتخلف العقلى من تلك المصور البدائية صار موراثاً لا يحتاج مع كل جيل جديد للمعادة تحصيله بل لإبقائه . وقد تفكر هنا فى مثل رمزية الكلام ، وتبدو تأكيداً كما لو كانت شيئاً نواد به . ومع ذلك فعلى نشأ أصلاً فى وقت تطور الكلام ، وهى شئ ، يألفه كل الأطفال دون الحاجة إلى أن يتلقوا تعليمات به . وهو نفس الشئ لدى كل الشعوب برغم الاختلافات فى اللغة . وما يمكن أن ينقصنا مع ذلك من الناحية البقية قد نحصل عليه من النتائج الأخرى لبعوث التحليل النفسى . ونعلم أن أطفالنا فى عدد من العلاقات ذات الأهمية لا ينفعلون تجاهها كما تؤدى بنا تجاربهم الخاصة أن نتوقع ، ولكنهم ينفعلون تجاهها غريزياً كالحيوانات ، وهذا لا يفسره إلا ما ينتقل باليراث من صفات تشكون مع النشوء النوعى للأحياء .

وتسير عملية عودة المكبوت ببطء ، وهى لا تحدث بالتأكيد تلقائياً ، ولكن تحت تأثير كل التغيرات فى ظروف الحياة التى تكثر خلال تاريخ الحضارة . ولا أستطيع هنا أن أقدم مساهمة لشرط التى تمتد عليها ، ولا أستطيع إلا أن أعطي إحصاءاً بسيطاً للمراحل التى تسير فيها عملية العودة . لقد صار الأب مرة أخرى رعي الأسرة ،

ولكنه لم يجد صاحب السلطان المطلق مثلاً كان الأب في العشرة البدائية . وفي المراحل الانتقالية الرواحية والسلم بها طرد الإله الحيوان الطوطى وحل محله ، ولكن الإله وقد تشكل في شكل إنسانى كان ما يزال يحمل في أول الأمر رأس حيوان ، ثم من بعد ذلك دأب على أن يتشكل في هيئة نفس الحيوان ، ثم صار الحيوان من بعد مقدساً بالنسبة له ورفيقه الأثير ، أو أنه استهزأ به بدمه للحيوان عندما أضاف اسم الحيوان إلى اسمه . وبين الحيوان الطوطى والإله ظهر البطل ، وكثيراً ما كان ذلك في مرحلة مبكرة من مراحل تقديس الآلهة . ويبدو أن فكرة الكائن الأعلى ظهرت مبكرة ، وكانت في أول الأمر فكرة صبايية وخالية من أى ارتباط مع اهتمامات البشر اليومية . وأثناء عملية انصهار القبائل والشعوب معاً في وحدات أكبر ، نظمت الآلهة كذلك في أسر ومراتب كهنوتية . وكثيراً ما كان يرفع أحدها ليكون كبيراً للآلهة والبشر^(١) . ثم اتخذت البشرية في تردد الخطوة الثانية لعبادة إله واحد ، وأخيراً تقرر التنازل عن كل سلطة لإله واحد فقط ، وعدم قبول أى إله آخر إلى حواره . وحينئذ فقط أعيد مجد الأب البدائى ، وكان من الممكن أن تتكرر العواطف التى تدور حوله .

(١) أحد درويش هذه الفكرة من تصوير القرآن الراجح لموقف إبراهيم .

وكان الأثر الأول للاتحاد من جديد بما افتقده البشر وتغناه من زمن طويل قويا لدرجة كبيرة ، وكان صورة طبق الأصل لما يصوره تراث نزول الشريعة على جبل سيناء . وكان هناك إعجاب ورهبة وامتنان من أن الشعب نال الاستحسان في عين الرب . ولا تعرف ديانة موسى إلا هذه للشاعر الإيمانية تجاه الإله الأب .

وكان اقتناع الابن العاشر للرموب من سلطة الأب التي لا راد لها في القبيلة ، وبالمنحصر لإرادته كاملا ، ولكن ما كان من الممكن أن يكون هذا الاقتناع وذلك المنحصر بشكل أكثر اكتمالا عما كان عليه هنا مع الشعب اليهودي ؛ ولم يصبح شيئا يمكن إدراكه بشكل تام إلا بالتحول داخل الوسط البدئي الطفلي ، فالشاعر الطفلي أكثر عنفا وأبعد حمقا لا ينضب ، من شاعر البالغين ، ولا سبيل إلى استعادة هذا العنف في للشاعر إلا بالحماس الديني ، ومن ثم كان تحول الولاء إلى استجابة للمودة إلى الأب العظيم .

وهكذا تمجد اتحاد هذه الديانة الأبوية للأبد ، ولكن تطورها لم ينته عند ذلك ، فمكتنزة الضدين ينتهي إلى جوهر علاقة الأب-بالابن ، فقد كان يحدث أن تنار عبر الزمن المداوة التي دفعت الأبناء أن يذبحوا آبائهم الذي يكونون له في أنفسهم الإعجاب به والغشية منه ، وفي آبائهم في ديانة موسى نفسها ، لا يكن هناك مجال للتعبير للناشر .

عن الكراهية القائمة للأب . وما كان من الممكن أن يظهر فيها إلا رد فعل قوى لهذه الكراهية : الشعور بالذنب بسبب تلك الكراهية ، وتأنيب الضمير لأن صاحبه قد أثم في حق الإله واستمر في إتيان الإثم . وهذا الشعور بالذنب الذي أبقاه الأنبياء حياً باستمرار ، والذي سرعان ما صار جزءاً لا يتجزأ من النظام الديني نفسه ، كان له دافع آخر سطحي أخفى بذكاء الأصل الحقيقي للشعور ، فقد صادف الشجب أوقاتاً عصيبة ؛ وكان تحقق الآمال للقصور على استعسان الإله لم تحقاً ببطيئاً ، وصار من غير السهل الاستمرار في الاعتقاد في الوهم الذي كانوا يحبونه فوق كل شيء آخر ، بأنهم شجب الإله المختار . وإذا كانوا راغبين في البقاء صمداء فإن الشعور بالذنب حينئذ ، لأنهم هم أنفسهم كانوا خطاة على قدر كبير ، بقدم عنراً مقبولا لقسوة الإله . ولم يستحقوا شيئاً أفضل من أن يكون الإله هو الذي يقوم بمعايبتهم ، لأنهم لم يراعوا شرائعه . ودفعتهم الحاجة إلى إرضاء هذا الإحساس بالذنب ، الذي ينبع من مصدر أشد حقا ولا يمكن إشباعه ، إلى جعل شرائعهم الدينية أصلب فأصلب دائماً ، وأكثر دقة ، ولكنها أقل شأناً ؛ وفرض اليهود دوماً على أنفسهم شعوراً متجدداً بجملة الزهد ، طرحة للفرائض ؛ وبذلك وصلوا — على الأقل من ناحية المذهب والشرائع — إلى سوامق أخلاقية ظلت

بمناى عن تناول الشعوب القديمة^(١). ويشير الكثير من اليهود هذه التطلعات السمة الثانية الكبرى، وللتبيز الثاني، لملاتهم. ويريدف بمحتنا إلى بيان كيفية ارتباطها بالسمة الأولى، وهى فكرة الإله الواحد الأحد. ولا يمكن مع ذلك إنكار خروج هذه الأخلاقيات من للتأمر بالذنب الراجعة إلى الملاء المكبوت للإله. وهو عداء من صفة تألفها فى تشكيلات الفصل العصاب المصرى^(٢).

والتطور اللاحق يتجاوز اليهودية. والعناصر الأخرى التى تتأود الظهور من الدراما التى تدور حول شخص الأب البدائى لم يكن هناك سبيل إلى التوفيق بينها وبين الملائنة الموسوية. ولم يعد الشعور بالذنب فى ذلك المضمر مقصوراً على اليهود، فكان قد تمكك كل شعوب البحر الأبيض، كشعور غامض يلقهم، ونذير سوء طالع يتوقعونه، ولا أحد يدرى له سبباً. ويصف التاريخ الحديث الثقافة

(١) التهمة المصرية واضحة من جديد، رغم الحقيقة التاريخية التى تحدث عنها فرويد نفسه، والتى تدفع ديموية اليهود «أفئططمون أن يؤسوا لكم وقد كان فريق منهم يمشون كلام الله ثم يمررونه من يدهما علقوه وهم يظنون». (الآية ٧٥ سورة البقرة)، «أدكلاً جاءكم رسول بما لا نهوى أنفسكم استكرهتم فريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون» وقالوا ظنونا ذلك بل لنهم الله يكفرهم غلباً لا مائة. (الآيات ٨٧ و٨٨ سورة البقرة) وشبه به كلام كثير تمثله فى التوراة نفسها ويتألف مرويده. (المفسر).

(٢) العصاب المصرى Obsessional Neurosis : عصاب قسى يتصف بالإنكار والادواص المصرية أو القبطية. (المفسر)

القديمة بأنها قد شاخت ، وإنى لأستنجع أنها خافتة لم تدرك إلا بعض
 الأسباب المعارضة الثانوية وراء الزواج المابط الذى سار وقتذاك بين
 الشعوب . وجاء تخفيف ذلك الضيق ابتداء من اليهود . ورغم أن
 تلك الفكرة نفذت على إشارات موحية كثيرة من مصادر مختلفة ،
 فإن إدراكها لم يبرز كالتبرع إلا لقل يهودى يدعى شاول الطرسوسى
 الذى تسمى فيما بعد ببولس ، عندما صار مواطناً رومانياً ، حيث قال :
 « لأننا قتلنا الله الأب فإننا فى غاية الندامة » . ويتضح الآن لنا تماماً
 سبب أنه لم يستطع أن يدرك هذه الحقيقة فى أى شكل آخر سوى
 هذا الشكل الوهمى المتع ، الذى يحمل فى طياته أخباراً سارة ، حيث
 يقول : « لقد تخلفنا من كل ذنب منذ أن وهب واحد منا حياته
 ليكفر عن ذنوبنا » . وفى هذه الصيغة لم يذكر طبعاً مقتل الإله ،
 ولكن الجريمة التى يقتضى التكفير عنها بالموت الكفارى ، لا يمكن
 إلا أن تكون جريمة قتل . وعلاوة على ذلك ، فإن الارتباط بين
 هذا التصور وبين الحقيقة التاريخية قد تم عقده بتأكيد أن الأنصية
 الكفارية هى ابن الإله . ومكنت القوة التى استمدتها هذا الايمان
 من التغلب على كل الموانئ ، وفى مكان الشهور الفياض بالنشوة
 بأهمهم هم الشعب المختار ، حل الآن اعتناق بواسطة الخلاص . وكان
 على جريمة اغتيال الأب عند معاودة ظهورها فى ذاكرة البشرية أن

تتغلب على عوائق أعظم من المائق الذى شكل جوهر التوحيد ،
قد كان عليها أن تمر بتعريف أوسع . وحلت عقيدة تقوم على
إدراك غامض نوعا للخطيئة الأصلية محل الجريمة التى ما كان أحد يجرؤ
على ذكرها .

وصارت الخطيئة الأصلية ، والغلاص بالموت الكفارى أساس
الديانة الجديدة التى أرمى بولس قواعدها . والسؤال عما إذا كان
هناك زعيم ومحرض على الجريمة بين عشيرة الأخوة الذين تمردوا على
الأب البناى ، أو ما إذا كانت تلك الشخصية قد أبدعها من بعد
الشعراء الذين تمثلوا أنفسهم فى البطل ، ومن ثم اندمجوا فى التراث ،
ينبغى أن يظل بلا جواب ، فبعد أن فجر المذهب السيسى أسوار
اليهودية ، امتصت مكونات أخرى من مصادر أخرى كثيرة ، من
محات التوحيد الخالص ، واتجهت فى تفاصيل كثيرة الطقوس الدينية
لشعوب البحر الأبيض الأخرى . وكان كالألو أن مصر قد توصلت
إلى أن تنزل انتقامها بورقة أخناتون . وإن الطريقة التى توصلت
بها الديانة الجديدة إلى التوافق بين الصفتين المتعارضتين والمتكافئتين
التدينيتين اتت تنصف بهما علاقة الأب — الابن الجديدة بالملاحظة ،
وكان المبدأ الأساسى الذى تبشر به هذه الديانة هو التأكيد على
مصالحة الإله الأب ، والتكفير عن الجريمة التى ارتكبت فى حقّه ،

ولكن الجانب الآخر من العلاقة أظهرت نفسها في الابن الذي حمل
الذنب على كنفه فصار إلها هو نفسه إلى جانب الأب ، وفي الحقيقة
في مكان الأب . وتحولت المسيحية — وهي أصلا ديانة أب — إلى
ديانة ابن ، ولم يكن في وسعها أن تفلت من قدرها في الإحلال
حمل الأب .

ولم يقبل للذهب الجديد إلا جزء من الشعب اليهودي . والذين
رفضوا قبوله لا يزال أغلبهم يهودا . ومن خلال هذا القرار لا يزالون
معزولين عن بقية العالم بشكل أكثر عن ذي قبل . وكان عليهم
أن يحتملوا قد الجالية الدينية الجديدة — التي بالإضافة إلى اليهود
كانت تضم مصريين ورومانيين وسوريين ورومانيين — بأنهم
قتلوا الإله . ويمى هذا النقد في صيفته الكاملة : « أنهم لن يترفوا
بأنهم قتلوا الإله ، بينما نحن نعترف بذلك وأنتا برثون من ذنبه ^(١) » .
ومن ثم فمن السهل فهم أى نوع من الحقيقة يكن خلف هذا النقد .
وقد يكون سبب هجر اليهود عن المشاركة في التقدم القدي يشير إليه
هذا الاعتراف بقتل الإله (برغم كل التحريف الذي اعتراه)
موضوعا لبحث خاص . ومن خلال ذلك العجز احتمل اليهود ، إذا

(١) لاحظ كيف يقلب فرويد التهمة من اليهود على غير اليهود مسبقاً
أساليبه في التطليل النفسي ، ولاحظ كيف يهون الكلام سوفا ويصوغه سياحة ،
ومو قس ما يتبهم علم الدعاية اليوم . (الحنفى) .

جاز التمييز التمييز ، ذنبا مضجعا ، وكتب عليهم أن يتأسروا
بهبه جشنة .



وربما كان بحثنا قد أتى بعض الضوء على للسألة التي يثيرها
الكتاب ، وهي الصفات التي تميز صفات اليهود . وأما مشكلة
استطاعتهم الاستمرار في الحياة حتى اليوم كجموعة لها وجودها
للفضل ، قد ثبت صمودها حلها^(١) . ولا نحسب أن في الوسع الطالبة
بإجابات مستفيضة لمثل هذه الألفاظ أو توقعها ، وكل ما يمكن أن
أقدمه هو مساهمة بسيطة يبنى الثناء عليها مع الاعتبار الواجب
للحدود النقدية التي سبق أن ذكرتها .

[تم الكتاب]



(١) هنا نمر على السليبات التي تميز بها اليهود ، وذلك يرفض فرد أن يقال
لأن الخوس فيها ، وخاصة أنها لن تعدم بدفوع يندفع بها عن اليهود ويقيم بها غير
اليهود ، ولأنه يرفض دخول ميدان سيصفد فيه موقف الدافع فقط ، وليس موقف
الهاجم . (الحنفى)

فهرس

| صفحة | |
|------|--|
| ٢٣ | الجزء الأول : موسى مصرى |
| ٤٧ | الجزء الثانى : إذا كان موسى مصرياً |
| ١٢٠ | الجزء الثالث : موسى وشعبه والديانة التوحيدية |
| ١٢٠ | ملحوظات استهلالية |
| ١٢٧ | القسم الأول |
| ١٣٧ | ١ - المقدمات التاريخية |
| ١٤٠ | ٢ - فترة الكون والترات |
| ١٥١ | ٣ - تشابه |
| ١٦٦ | ٤ - التطبيق |
| ١٨٩ | ٥ - مصاعب فى التطبيق |
| ٢٠٦ | القسم الثانى |
| ٢٠٦ | ١ - موجز |
| ٢٠٩ | ٢ - شعب إسرائيل |

| صفحة | |
|------|----------------------------------|
| ٢١٣ | ٣ — الإنسان العظيم |
| ٢٢١ | ٤ — التضميد في الروحانية |
| ٢٢٧ | ٥ — النبذ عكس الاشباع |
| ٢٣٨ | ٦ — الحقيقة في الدين |
| ٢٤٢ | ٧ — عودة الكبروت |
| ٢٤٧ | ٨ — الحقيقة التاريخية |
| ٢٥٤ | ٩ — التطور التاريخي |
| ٢٦٥ | فهرس |



كتب المترجم

مؤلفات :

- ١ - فن التأليف والإخراج والتمثيل للتليفزيون - دار الكتاب العربي
- ٢ - جان بول سارتر : حياته وفنه وفلسفته - مؤسسة التأليف
- ٣ - ألير كامي : حياته وفنه وفلسفته - مكتبة راديو
- ٤ - تيارات ومذاهب فنية وأدبية حديثة
مطبعة المنار للصربية للطباعة والنشر والتوزيع
- ٥ - في النظرية الماركسية : الثنائية والمادية - مكتبة راديو
- ٦ - معنى الوجودية - مكتبة راديو

مترجمات :

- ٧ - ما فوق مبدأ اللذة لفرويد - مكتبة راديو
- ٨ - معنى الوجودية لجان فال - مكتبة راديو
- ٩ - البهجة لأدثر ميلر - مؤسسة التأليف
- ١٠ - رجال وقتران لجون شتاينيك - مؤسسة التأليف

- ١١ - الأنفواء اللامجدية (مسرحية) لسيمون دى يوفوار -
 مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع
- ١٢ - للتمرد لأليير كاي - مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع
- ١٣ - أسطورة سيزيف - مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع
- ١٤ - ثلاث مسرحيات لكاي - مكتبة راديو
- ١٥ - الوجودية منعب إناني لارتر -
 مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع
- ١٦ - الماركسية والثورة لارتر -
 مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع
- ١٧ - المادية الماركسية والثورة لارتر - مكتبة راديو
- ١٨ - الماركسية والوجودية لارتر - مكتبة راديو
- ١٩ - ثلاث مسرحيات لارتر - مكتبة راديو
- ٢٠ - المومس المحترمة لارتر - مكتبة راديو
- ٢١ - دور الأدب والفن في الاشتراكية
- لكارل ماركس - مكتبة الأنجلو
- ٢٢ - سجناء الطوفان لارتر - عالم الكتب
- ٢٣ - اليهودية في ضوء التحليل النفسي - سيجموند فرويد
- (موسى والتوحيد) - الدمياطى للطبع والنشر

من مطبعات

مطبعة الدار المصرية

للطباعة والتشريع والتوزيع

- طبر
١٥٠ الحب في زمن الحرب (شعر) - تأليف مجدى نجيب
الجنس والشباب المثقف - كولن ويلسن
١٥٠ ترجمة دكتور صلاح عيسى
ماكس وموريس (٧ حكايات مصورة للأطفال)
٢٠٠ للكاتب الألماني فيلهلم بوش ترجمة دكتور سعد المدام
مشاكل في التخطيط الاقتصادى - تأليف إيفان دورين
٥٠٠ ترجمة أحمد وضوان عز الدين
تخطيط الإحتياج فى الدولة الاشتراكية - تأليف أوسكار لانج
٢٥٠ ترجمة أحمد وضوان عز الدين
مدخل إلى الفلسفة - تأليف جون لويس
٥٠٠ ترجمة أبو عبد الله
الأحوة الأعداء - تأليف نيكوس كازنتراكى
٤٠٠ ترجمة إسماعيل الهدوى
نضال العرب ضد الاستعمار - للدؤرخ السعودى
٢٥٠ اللواء محمد عبد الله لسان
٣٠٠ عمارى منصور : قصة خيالية ١ - تأليف شوقي عمرات

الجنس والجسد - تأليف دكتور هنري دارون

١٥٠ ترجمة محمد النسياطي

تجارة الجنس في أمريكا - تأليف جاري جوردون

٢٥٠ ترجمة زينب الصباغ

الحياة الجنسية في الزواج - تأليف دكتور ج. ريتشارد

١٥٠ ترجمة عوفى رياض السنوسي - مراجعة محمد النسياطي

الأحاسيس الجنسية - تأليف دكتور ج. لومبارد كيلي

١٥٠ ترجمة لشوق رياض السنوسي - مراجعة محمد النسياطي

صالح مفلح عن الجنس - وضع واختيار جمعية دراسات الطفولة

١٥٠ بأمريكا ترجمة هشوى رياض السنوسي - مراجعة محمد النسياطي

الجنس والأمرة - تأليف يوسف ميخائيل أسعد - مراجعة محمد النسياطي

تحت الطبع

ميكولوجية الجنس - تأليف دكتور صلاح عيسى

جان دارك : عرض وتحليل وتقيب - بقلم عبد اللطيف النسياطي

من الأعماق DE PROFUNDIS لأوسكار وايلد

. ترجمة عبد اللطيف النسياطي

مأساة الإنسان المعاصر في شعر عبد الوهاب البياتي

. إعداد واختيار محمد النسياطي

أنت أسود (قصص قهيرة) - ترجمة مرقن المسيني ومحمد النسياطي

فكر عبد الناصر - تأليف حسين الطنطاوى

في رحاب شهر القرآن - تأليف حسين الطنطاوى

عوى يا شديا الصغيرة - تأليف وليم افنج

. وفاة بائع متجول - لأرثر ميلار ترجمة محمد النسياطي

- علم
- رجال وخنازير (قصص قصيرة) - لـ دكتور سعد الخادم ١٥٠
- الأم شجاعة وأولادها (مسرحية) - تأليف برتولد بريخت
- ٢٠٠ ترجمة دكتور سعد الخادم
- الناس التي تحت والناس التي فوق (مسرحيتين في مجلد واحد)
- ٢٥٠ تأليف ليمان عاشور
- البطل في الزريبة (مسرحية كوميدية) - تأليف فريدريخ ديرنمات
- ١٥٠ ترجمة دكتور سعد الخادم
- الذئب (مسرحية) - تأليف جان بول سارتر
- ١٥٠ ترجمة محمد الصباغ
- كلمة سلام (أشعار بالعامية المصرية - صلاح جاهين) ١٥٠
- قصائيم ورق (أشعار بالعامية المصرية - صلاح جاهين) ١٥٠
- الأرض والعيال (أشعار بالعامية المصرية - عبد الرحمن الأبنودي) ١٥٠
- صياد وجنيبة (أشعار بالعامية المصرية - سيد حجاب) ١٥٠
- الضيق (أشعار كتبت في المنفى)
- ١٥ للشاعرة العراقية هند فوري المبدان
- وتبقى الأرض للشعب (أشعار بالعامية الليبية)
- ٢٥٠ للشاعر الليبي عمر بالعيد الزوغني
- ليبيات (أشعار بالعامية الليبية)
- ٣٥٠ للشاعر الليبي بشير الخباش
- ١٥٠ تأليف الحسيني علي فرعون

يصدر قريبا

لألموس

علم النفس

انجليزى - عربى

اعداد وترجمة عبد النعم الحفنى

به ثبت كامل لما يزيد عن
عشرة آلاف مصطلح من مصطلحات

علم النفس

نشر وتوزيع :

مطبعة النور المصرية للطباعة والنشر والتوزيع

٢٢ شارع سامى - لافوغلى ٢٠٨٢٨ / ٣٢٠٧٨ - القاهرة

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية

١٥٢٣ لسنة ١٩٧٣